

الطريق إلى الخلافة

تاريخ الحركات الجهادية من الإخوان المسلمين إلى الجهاد الشامي

يحيى بن طاهر الفرغلي





دار الكتاب العالمي



تأليف الشيخ يحيى بن طاهر الفرغلي

المعروف بأبي الفتح الفرغلي



دار الكتــاب العالمــي

سلسلة كتب الشيخ أبو الفتح الفرغلي الكتاب (٣)

تصميم عبدالله الشامي
Tel:
+306987395082

الطبع والتجليد:
Step Ajans Matbaa Ltd. Şti.
Göztepe Mah. Bosna Cad. No: 11
Bağcılar / İstanbul
Sertfika No: 45522

عنوان دار الكتاب العالمي:

Yamanevler Mah. Küçüksu Cad. No: 9/1
Ümraniye/İstanbul

Tel:
+90 539 762 66 59

bilgi@kureselkitap.com
www.kureselkitap.com

إسطنبول
١٤٤٣ هجري
٢٠٢٠ ميلادي

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

قام بعض الإخوة الأفاضل -جزاهم الله خيراً- بتفريغ حلقات "الطريق إلى الخلافة: تاريخ الحركات الجهادية من الإخوان المسلمين إلى الجهاد الشامي" والتي كنت بدأت في نشرها سنة ١٤٤٠هـ الموافق ٢٠١٩م، ولأن الحلقات أصلها مرئي مسرودة بطريقة تناسب العرض المرئي وما يرافق ذلك من صور ومقاطع إيضاحية فلابد أن يضع القارئ الكريم في ذهنه أن هذا الكتاب ليس إلا تفريغا لهذه الحلقات وقد تعمدت عند مراجعة هذا الجهد المبارك ألا أعدل في الصياغة كثيراً لتظل أصل الحلقات كما هي، وإن كنت قمت ببعض الإضافات المهمة والتصويبات والتعديلات التي لا تغير من أصل فكرة العمل وروحه.

وأكرر التنبيه على ما نبهت عليه كثيراً أثناء الحلقات أن هذا مختصر قصير للغاية لتاريخ ثري طويل، الغرض منه فقط إضاءات أو بالأحرى ومضات وإشارات عن هذا التاريخ، أو هو نوع من النظرة العامة الشاملة (بانوراما) لهذا التاريخ، ولهذا أشير في ثنايا كل مرحلة وجيل للمراجع والمصادر التي بإمكان من أراد المزيد أن يعود إليها.

مقدمة

قام أتاتورك منذ ما يقارب مئة سنة بإعلان إلغاء الخلافة الإسلامية فأحدث صدمة في العالم الإسلامي لأن الإسلام منذ عهد النبي ﷺ وعلى مدى ١٣٠٠ سنة كان دينًا ودولة، سياسةً وجهادًا وعبادة، وتحقيق هذا لابد أن يكون تحت ظل خلافة، فحمل شبابٌ مسلمٌ مخلصٌ على عاتقه واجب إعادة الخلافة الإسلامية للوجود مرة أخرى، وتسلم شعلة هذا الواجب والشرف جيلٌ وراء جيل إلى يومنا هذا.

ما قصة هذه الأجيال؟ وماذا قدموا؟ هذا ما سنعرض له باختصار في حلقاتٍ بعنوان الطريق إلى الخلافة: تاريخ الحركات الجهادية من الإخوان المسلمين إلى الجهاد الشامي.

الجيل الأول
جيل التنظيم الأم

سنبدأ بإذن الله في حلقات قصيرة نتحدث تحت عنوان "الطريق إلى الخلافة" عن تاريخ الحركات الجهادية من الإخوان المسلمين إلى الجهاد الشامي المعاصر، تعمدت أن أقسم هذه الحلقات إلى خمسة أجيال:

١ - **الجيل الأول**: " جيل التنظيم الأم " تحدثت فيه عن التنظيم الساعي لإعادة الخلافة وكان يقوم بواجبات الدعوة والسياسة والجهاد أثناء سعيه إلى هدف إقامة الخلافة وهو جيل الإخوان المسلمين.

٢ - **الجيل الثاني**: " جيل التنظيم الجهادي الواحد " أي تنظيم واحد في الساحة مهتم بالجهاد فقط كوسيلة لإعادة الخلافة، وهذا كان في سبعينيات القرن الماضي إلى أواخر ثمانينيات القرن الماضي.

٣- **الجيل الثالث**: " جيل التنظيمات الجهادية المتعددة ". يبدأ من أوائل تسعينيات القرن الماضي إلى أواخر تسعينيات القرن الماضي.

٤ - **الجيل الرابع**: "جيل الجهاد العالمي" ، يبدأ من أواخر تسعينيات القرن الماضي إلى ٢٠١٠م.

٥ - **الجيل الخامس**: "جيل المناطق المحررة "، جيل الجهاد الشامي، سنتحدث فيه إلى بداية تأسيس هيئة تحرير الشام سنة ٢٠١٧م، ولن نتحدث فيما بعد ذلك لأسباب من أهمها: أن أغلب ما أتحدث عنه هو عن مراحل مضت وانتهت فيكون الحديث فيها أكثر أريحية، ويكون قبول الكلام أكثر، وفي نفس الوقت لا يُتهم أحد بالتحيز وما شابه ذلك من الأمور، أيضًا أنتهز فرصة أنني في أرض الشام ولا توجد أي ضغوطات عليّ -بفضل الله تعالى - وأتحدث عن أمور صارت

تاريخًا، وهذا يساعد أن أتحدث بحيادية وأن أُسمع بحيادية أيضًا.

سأعتمد في المصادر التي أتحدث عنها بالنسبة للجيل الأول والثاني على آلاف الأوراق التي قرأتها عن هذين الجيلين بالإضافة إلى بعض شهود العيان، أما في الأجيال الثلاثة الأخر فأمثل شاهد عيان في أغلبها ولهذا سيكون هناك جزء من الكلام عبارة عن سيرة ذاتية وسأعتمد أيضًا على شهود عيان آخرين شهدوا هذه الأجيال بالإضافة إلى بعض المراجع التي سأشير إليها بإذن الله تعالى.

بداية سميت هذه السلسة بـ "الطريق إلى الخلافة" لأن هدف الحركات الإسلامية الأساسي منذ انتهاء الخلافة الإسلامية إلى الآن إعادة الخلافة الإسلامية،

ولهذا لابد أن نتحدث أولًا عن جريمة إلغاء الخلافة والتي قام بها كمال أتاتورك، حين أعلن إلغاء الخلافة في ٣ مارس ١٩٢٤م، وكانت صدمة كبيرة للعالم الإسلامي كله بل إن من يتبنى الفكر العلماني شعر بأزمة وصدمة شديدة عند إعلان إلغاء الخلافة، لا شك أنه قبل ذلك كان هناك تمهيد على مدى قرنين من الزمن سُعي فيهما إلى علمنة الخلافة العثمانية بوسيلة أو بأخرى، لكن المسلمين اعتادوا على مدار ١٣٠٠ سنة أن يعيشوا في ظل خلافة إسلامية، فحين يأتي أحد ويقول أنهينا الخلافة تكون صدمة مريعة، ونضرب مثالًا ليُتخيل عِظّم هذا الموقف على الناس، تخيل أنك في دولة ما، في سوريا في مصر في الجزائر في أي دولة كانت، وأتى فجأة رئيس الدولة وأعلن إلغاء الدولة، وكل محافظة تستقل بذاتها، هذه صدمة عظيمة جدًا شعر بها جميع العالم الإسلامي بمختلف اتجاهاته، وكرد فعل سريع على هذا الأمر أعلن "الشريف حسين" [ملك الحجاز] نفسه خليفة للمسلمين، والأزهر -في مصر- بعد أربعة أيام من إلغاء الخلافة أعلن إبطال هذا الإجراء لأن الخليفة انتُخب من قبل الأمة فلا يصح عزله إلا من قبلها، ثم أعلن أنه بعد سنة سيُعقد مؤتمر للعالم الإسلامي كله يعلن في هذا المؤتمر الخليفة الجديد وهو " فؤاد الأول " ملك مصر، أي أن مصر أعلنت أن " الملك فؤاد" سيُعين خليفة في هذا المؤتمر الذي سيرأسه شيخ الأزهر -وقتها- الشيخ

محمد أبو الفاضل الجيزاوي، لكن المؤتمر لم ينعقد بسبب قلة الحضور.

هناك سبب أساسي لفشل تنصيب الشريف حسين أو الملك فؤاد، وهو أن باعث الشريف حسين وباعث الملك فؤاد لم يكن باعثًا دينيًا، وأصل الخلافة الباعث الديني، فمنذ ١٣٠٠ سنة كان مبعث الخلافة مبعثًا شرعيًا عليه إجماع المسلمين جميعًا، فحين حاولوا إعادتها مرةً أخرى بأساس غير الأساس الذي أسست عليه فشلوا تمامًا.

ألف في هذا الوقت شخص يسمى "علي عبد الرازق" كتابًا سماه "الإسلام وأصول الحكم"، أراد في هذا الكتاب أن يثبت أن مسألة الخلافة ليست مسألة دينية بل مسألة سياسية يمكن الاستغناء عنها، وأصدر هذا الكتاب في ١٩٢٥م، رد عليه علماء الأزهر وأزالوا منه شهادة الدكتوراه الأزهرية (تسمى الشهادة العالمية)، ورد عليه الشيخ محمد الخضر حسين بكتاب "نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم" وأهدى هذا الكتاب إلى الملك فؤاد الأول بصفته مرشح –أو كان مرشحًا– لإعادة الخلافة.

الشاهد أن المحاولات الرسمية لإعادة الخلافة فشلت تمامًا، وهنا بدأ دور المحاولات الشعبية، رائد هذه المحاولات شاب يسمى "حسن عبد الرحمن البنا الساعاتي"، ولد حسن البنا في مصر محافظة البحيرة سنة ١٩٠٦م، نشأ نشأة إسلامية والتحق بكلية دار العلوم في محافظة القاهرة عام ١٩٢٢م وكان أول دفعته في كل سنة، حدث إلغاء الخلافة أثناء دراسته حين كان في الفرقة الثانية، تخرج سنة ١٩٢٧م وكان هناك سؤال يُسأل لكل متفوق متخرج من دار العلوم: ما هو أكثر بيت أثر في حياتك؟ وعندما وُجه لحسن البنا هذا السؤال قال: أكثر بيت تأثرت به قول طرفة بن العبد في معلقته

إذا القوم قالوا من فتى خِلت أنني عُنِيت، فلم أكسل ولم أتبلّدِ

حسن البنا

هذا البيت في الحقيقة كان شعار حياة حسن البنا من أولها لآخرها، اعتقد أنه هو وفي هذا السن الصغير الموكول به إعادة الخلافة مرة أخرى إلى الأمة الإسلامية.

عين بعد تخرجه مدرسًا في مدرسة ابتدائية بمحافظة الإسماعيلية وانتهز هذه الفرصة وفي خلال سنة واحدة أسس جماعة الإخوان المسلمين في مارس سنة ١٩٢٨م في محافظة الإسماعيلية وكان معه في بداية عمله ستة أفراد فقط، وكان نشيطًا للغاية في عمله يتميز بذكاء خارق وإخلاص شديد نحسبه والله حسيبه، سواء اتفقنا مع الرجل أو اختلفنا لكن له فضل كبير على الحركة الجهادية لا ينكره إلا جاحد، لابد أيضًا حين نقيّم مرحلة حسن البنا أن نتصور جيدًا الواقع الذي كان فيه، كانت الخلافة قد سقطت وحدثت صدمة كبيرة في العالم الإسلامي -كما بينا-، نتيجة لهذه الصدمة حدث رد فعل عكسي وبُعد كبير عن الدين بين عموم المسلمين وصل -عند كثيرين- لدرجة الانسلاخ من الدين، وبدأت تظهر الخمّارات المرخصة ورُخصت بيوت للدعارة لدرجة أن الأستاذ محمود عبد الحليم في كتابه "الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ" [وهو كتاب يقع في ثلاثة مجلدات كبيرة يحكي فيه تاريخ الإخوان من ١٩٢٨م إلى ١٩٧٠م وهو مرجع مهم جدًا في الفترة ما بين إنشاء الإخوان إلى ١٩٥٤م أي إلى محنة الإخوان الأولى، وهو مصدر أساسي نعتمد عليه في حديثنا عن هذه المرحلة وهناك مصادر أخرى مهمة عن هذه المرحلة مثل "مذكرات الدعوة والداعية" للشيخ حسن البنا رحمه الله، وهذا أيضًا كتاب مهم كتبه حسن البنا نفسه يحكي فيه مذكراته الشخصية وتاريخ نشأة الإخوان، بالإضافة ل"ابن القرية والكتاب" وهو مذكرات الدكتور يوسف القرضاوي يحكي فيه عن هذه الفترة، وأيضًا "الإخوان المسلمون" لريتشارد ميتشل وغير ذلك من الكتب الكثير]، الشاهد أن محمود عبد الحليم يقول في كتابه أنه التحق بكلية الزراعة بجامعة القاهرة سنة ١٩٣٦م وكان يستتر بالصلاة لأنهم إذا رأوا أحدًا يصلي يسخرون منه يكون محلًا لسخرية الطلاب، أي كانت الصلاة في هذا الوقت داخل الجامعة منكرًا، لنتخيل هذا الوضع عند تقييم تاريخ حسن البنا رحمه الله وفضله على هذه الحقبة من حقب العمل الإسلامي تقييمًا صحيحًا.

حسن البنا بعد أن قام بنشاط كبير في مرحلة تأسيس الإخوان المسلمين حدث تضخم كبير في الجماعة،

كان الناس متعطشين لهذه الفكرة، متعطشين لإعادة الخلافة مرة أخرى، فقرر في عام ١٩٣٢م –بعد التضخم الكبير في الجماعة– أن ينقل مركزها الرئيسي إلى محافظة القاهرة، بعد ذلك ازداد النشاط كثيرًا وتشعب لينتشر في كل العالم العربي والعالم الإسلامي، يُحكى أن عدد الإخوان في مصر بلغ الملايين وفي خارج مصر كذلك، وقد حضر المؤتمر العام الخامس للإخوان المسلمين سنة ١٩٣٩م في القاهرة عدد ضخم للغاية قدر بمئات الآلاف من الإخوان، في هذا المؤتمر ظهر جليًا أن حسن البنا يرى أن إعادة الخلافة الإسلامية مرة أخرى للوجود لن يكون إلا عن طريق الجهاد، كان يرى هذا منذ أن بدأ بتأسيس الإخوان المسلمين ولكن –لعل– هذا أول إعلان علني رسمي عن هذا الأمر، قال في هذا المؤتمر:

"يا معشر الإخوان في الوقت الذي يكون منكم ثلاث مئة كتيبة (الكتيبة قدرها رحمه الله ب ٤٠ فردًا) جهزت نفسها روحيًا وفكريًا وجسديًا، حينئذ مروني أن أخوض بكم لجج البحار وأغزو بكم عنان السماء وأغزو بكم كل عنيد جبار فإني فاعلٌ إن شاء الله، كما قال رسول الله ﷺ {لن يُغلبَ اثنا عشر ألفًا من قِلة}، إني أقدر لذلك وقتًا ليس بطويل تستطيعون أنتم معشر الإخوان أن تقصروا هذا الوقت"

واضح من خطابه أنه في هذا الوقت كان الإخوان يستحثونه "نريد أن نقيم الخلافة، نريد أن نعيدها مرة أخرى"، وكان هذا رده عليهم، أنه ينتظر إلى أن يبلغ عدد الإخوان المسلمين العاملين المنظمين في كتائب عسكرية اثني عشر ألفًا، كان عدد الإخوان أكثر من ذلك بكثير –كما قلت وصلوا إلى ملايين– لكن لا يكّون جيشًا من اثني عشر ألفًا المشار إليه في حديث الرسول ﷺ {لن يُغلبَ اثني عشر ألفًا من قِلة} [والحديث صحيح، لي رسالة أحقق فيها هذا الحديث وأتحدث عن أقوال اهل العلم فيه [1]].

الشاهد أن الشيخ حسن اعتمد على هذا الحديث في تحديد الوقت الذي يبدأ فيه الحراك العسكري ليعيد الخلافة مرة أخرى ونص الحديث كاملًا:

١ " نظرية النصر في الإسلام "كتاب منشور ليحيى بن طاهر الفرغلي

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال {خير الصحابة أربعة وخير السرايا أربع مئة وخير الجيوش أربعة آلاف ولن يُغلبَ اثنا عشر ألفًا من قِلة} [٢].

مسألة تحديد العدد الذي بعده نبدأ العمل العسكري مسألة محورية متكررة في أجيال الحركة الجهادية التي تسعى لإعادة الخلافة، هل العدد اثنا عشر ألفًا؟ هل ثلاث مئة وسبعة عشر [كعدد أهل بدر]؟ هل غير محدد؟ هذه مسألة محورية سنجدها مكررة كثيرًا في تاريخ أجيال الحركات الإسلامية.

في ١٩٤٠م قرر حسن البنا أن ينشئ النظام الخاص، وهو التنظيم العسكري للإخوان المسلمين بهدف تحرير مصر من الاحتلال الإنكليزي وإعادة الخلافة مرة أخرى، معنى إعادة الخلافة هو إعادة تحكيم الشريعة، وهو كما قلنا هدف إنشاء جماعة الإخوان المسلمين، عهد الشيخ حسن برئاسة النظام الخاص إلى عبد الرحمن السندي، وبالطبع فإن الأمير المباشر لعبد الرحمن السندي هو الشيخ حسن البنا، هذا التنظيم ضم نخبة النخبة من الإخوان المسلمين، لأن قول النبي ﷺ "لن يغلب اثنا عشر ألفًا من قِلة" يفهم منه أنه قد يغلبون بسبب المعاصي، فلهذا يُختار أفضل عناصر الإخوان ويُلحقون بهذا التنظيم، وبالفعل كان هذا التنظيم العمود الفقري للإخوان المسلمين، ولتدرك درجة ثقافة هذا التنظيم لك أن تتخيل أن كتاب "فقه السنة" الذي ألفه الشيخ السيد سابق كان مؤلفًا خصيصًا لتثقيف الإخوان المسلمين داخل النظام الخاص شرعيًا، ثم بعد ذلك طُبع لعموم المسلمين، هذا التنظيم كان يعلم بوجوده قلة قليلة من الإخوان، بل الإخوان في مجلس شورى الجماعة لم يكونوا على علم بهذا التنظيم وبوجوده، ومن يعلم بوجوده منهم لا يعلم شيئًا عن تفاصيله.

قام هذا التنظيم على فكرة الهيكلة العنقودية، فكرة التنظيم العنقودي هي فكرة مكررة في أجيال التنظيمات الجهادية ولنا وقفات معها لابد أن نركز فيها جيدًا، وقد بدأها في التنظيمات الجهادية الشيخ حسن البنا رحمه الله.

الفكرة أن تجعل مثلًا في الصف الأول خمسة هم قادة العمل أو قادة النظام الخاص، تحت كل

٢ رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وصححه ابن خزيمة وابن القطان والضياء المقدسي وغيرهم كثير.

واحد من هؤلاء الخمسة يوجد فرع فيه خمسة أيضًا، الخمسة في هذا الفرع لا يعرفون أحدًا من قادة التنظيم إلا قائدهم المباشر فقط وتحت هؤلاء الخمسة خمسة أخر بنفس الطريقة ثم خمسة أخر ثم خمسة أخر...إلخ، بهذه الطريقة يُضمن أنه إذا قُطع (اكتشف) أحد فروع العنقود لا يؤثر هذا على باقي التنظيم ويمكن أن يُفصل هذا الفرع تمامًا ولا يؤثر على باقي التنظيم.

هذه فكرة التنظيم العنقودي التي ظلت مستمرة في أجيال أربعة من أجيال الحركة الجهادية لإعادة الخلافة مرةً أخرى.

بعد أن أُسس النظام الخاص بهذه الطريقة، قام التنظيم بعمليات كثيرة ضد الإنكليز؛ قام بتفجير نوادي الإنكليز وتفجير أقسام شرطة للحكومة العميلة للإنكليز التي كانت تحكم مصر في هذا الوقت، دمر أيضًا الشركة الشرقية للإعلانات وهي شركة يهودية ... إلخ، استمرت مثل هذه العمليات إلى عام ١٩٤٨م، في هذه السنة قام قاضٍ يسمى أحمد الخزندار بإصدار حكم بالأشغال الشاقة المؤبدة على اثنين من جماعة الإخوان المسلمين نتيجة لأعمال المقاومة ضد الإنكليز، صُنّف القاضي لهذا السبب بأنه خائن للدين وخائن للقضية الوطنية، فقام الإخوان باغتياله، وتسبب هذا في مشكلة كبيرة، لأن اغتياله حدث بدون علم الشيخ حسن البنا -على الأرجح- وكانت هذه بداية انحراف التنظيم عن أوامر الشيخ حسن وتسبب هذا في المحنة الأولى للإخوان.

أفضل ما كُتب في تاريخ النظام الخاص هو كتاب "النقط فوق الحروف -الإخوان المسلمون والنظام الخاص-" لأحمد عادل كمال، أحد قادة النظام الخاص وأحد مؤسسيه أيضًا، وهو في نفس الوقت مؤرخ [كتابات هذا الرجل في التاريخ الإسلامي رائعة أنصح بقراءتها جميعًا].

أما كتاب محمود عبد الحليم "الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ" فقد تحدث عن النظام الخاص أيضًا لكن من وجهة نظر مخالفة، حيث حدث خلاف بين أحمد عادل كمال وبين الإخوان المسلمين كما سنبين بإذن الله تعالى.

لابد أن نشير -أيضًا- إلى أمر مهم للغاية، وهو أن النظام الخاص كان من أعضائه جمال عبد

الناصر الرئيس المصري السابق وأنور السادات الرئيس المصري السابق كذلك، وكان لهم دور كبير فيما حدث بين النظام الخاص وباقي الإخوان كما سنبين أيضًا بإذن الله.

لم يكن الشيخ حسن البنا على علم بعملية قتل القاضي أحمد الخزندار بل لم يرضها عندما حدثت وأظهر غضبًا شديدًا على هذا العمل لأسباب كثيرة لا مجال لذكرها الآن، في هذه السنة أيضًا ١٩٤٨م كان الإخوان قد أرسلوا مجموعات تقاتل في فلسطين ضد اليهود وكانت الجيوش العربية مشتركة أيضًا في هذه الحرب وهي حرب ١٩٤٨م الشهيرة، واكتشف الجميع أن مجموعات الإخوان المسلمين أفضل المجموعات المقاتلة على الإطلاق، هذا لفت أنظار الإنكليز إليهم بشدة، ولفت أنظار الحكومات العميلة وشعروا بخطر هذه الجماعة وقرروا حل جماعة الإخوان المسلمين، لكن كانوا يبحثون عن فرصة، في هذه السنة أيضًا قام الأمن المصري بالاستيلاء على سيارة (جيب) بها أوراق تتضمن تفاصيل التنظيم السري لجماعة الإخوان المسلمين، وهكذا أصبحت أدق تفاصيل النظام الخاص للإخوان في يد الأمن المصري.

انتهز النقراشي باشا -رئيس وزراء مصر في هذا الوقت ووزير داخليتها أيضًا- فرصة مقتل الخزندار ليعلن في ٨ ديسمبر١٩٤٨م حل جماعة الإخوان المسلمين، بطبيعة الحال لم يُرض هذا الأمر النظام الخاص والذي كان في عز عنفوانه وقوته، وبعد عشرين يوما تحديدًا ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨م قام النظام الخاص باغتيال النقراشي، حيث تنكر عبد المجيد أحمد حسن في زي ضابط شرطة ودخل إلى وزارة الداخلية واغتاله بالمسدس.

قُبض على عبد المجيد وتعرض لتعذيب شديد (شديد نسبيًا حيث في هذا الوقت لم يكن التعذيب بالدرجة التي صار إليها بعد الانقلاب العسكري الذي حدث في ١٩٥٢م)، لكنه صبر على التعذيب ولم يتكلم بشيء.

في هذا الوقت قام الشيخ حسن البنا بنشر مقال عنونه "ليسوا إخوانًا وليسوا مسلمين" يشجب فيه مقتل النقراشي رئيس الوزراء ووزير الداخلية.

نشير هنا أنه عندما قام النقراشي بحل جماعة الإخوان المسلمين في ٨ ديسمبر ١٩٤٨م، لم يكتف بهذا فقط بل قام باعتقال عدد كبير من الإخوان وأصر ألا يعتقل حسن البنا رحمه الله، فسر هذا حسن البنا بأنهم سيقومون باغتياله بعد ذلك بل عرّض نفسه للاعتقال قائلًا للشرطة –أثناء اعتقال بعض الإخوان أمامه– "لماذا لا تعتقلوني؟" لكن رفضوا اعتقاله، فتأكد لديه أنهم سيقتلونه، وعندما حدث مقتل النقراشي تيقن حسن البنا بأنهم سيسعون للقضاء التام على جماعة الإخوان المسلمين، ولهذا كتب هذا المقال "ليسوا إخوانًا وليسوا مسلمين"، ولابد أن نشير أيضًا أن مقتل النقراشي لم يكن حسن البنا على علم به ولم يكن راضيًا عنه، لكن النظام الخاص كان قد بدأ فعلًا يخرج عن سيطرة الشيخ حسن رحمه الله.

عندما عرض الأمن هذا المقال على عبد المجيد–قاتل النقراشي– انهار واعترف بصلته بالإخوان المسلمين، واعترف على كثير من أعضاء النظام الخاص، ففاقم هذا من محنة الإخوان وأدى إلى القبض على العديد من عناصر الإخوان.

– وهنا علامة لابد أن نضعها في أذهاننا:

إن كلام القائد على الإعلام قد يكون سببًا في انهيار الأفراد، مهما كان قصد القائد حسنًا ويريد بذلك إنقاذ المجموع والتعريض بالكلام والسياسة وما إلى ذلك، إلا أن هذا قد يؤدي إلى تفاقم البلاء على جماعته وعلى جنوده.

فالجندي قد يصبر على أهوال مثل الجبال فلا يتأثر لكن ينهار ولا يصبر ساعة إن رأى الدنية من قائده أو مثله الأعلى.

في شهر فبراير سنة ١٩٤٩م قام النظام المصري باغتيال الشيخ حسن البنا، وبدأت مرحلة أخرى من مراحل الإخوان المسلمين ظلوا فيها تنظيمًا محظورًا إلى أن سمحت الحكومة المصرية بعودته – رسميًا– مرةً أخرى عام ١٩٥١م، وهنا بايعوا مرشدًا جديدًا للإخوان وهو حسن الهضيبي رحمه الله، وقد كان قاضيًا واعتزل القضاء بعد توليته منصب الإرشاد في الإخوان المسلمين.

الفكرة الأساسية عند حسن الهضيبي -في هذا الوقت- كانت إعادة النظام الخاص مرةً أخرى تحت السيطرة، لم يرد أن يلغي النظام الخاص أراد أن يعيد هيكلته تحت نفس الاسم، فعزل عبد الرحمن السندي وولى مكانه يوسف طلعت، وبدأ في اتخاذ إجراءات كثيرة لإعادة التنظيم مرةً أخرى إلى السيطرة التامة تحت يد المرشد العام للإخوان، في هذه الفترة عام ١٩٥٢م كان جمال عبد الناصر عضوًا في النظام الخاص، وكان على علاقة جيدة بعبد الرحمن السندي، وكانت له مرتبة كبيرة في الإخوان المسلمين بل كان مرشحًا لإمارة النظام الخاص نفسه. عبد الناصر عرض على حسن هضيبي سنة ١٩٥٢م أن يقوم بانقلاب عسكري ضد الملك فاروق ملك مصر وقتها، حسن الهضيبي توجس خيفة من الأمر وقال: "إن جماعة الإخوان جماعة كبيرة إذا فشل هذا الانقلاب سيحدث بلاء كبير للإخوان المسلمين، ولكن قم أنت بهذا الانقلاب ..."، عبد الناصر كان منتميًا للإخوان المسلمين وكان منتميًا أيضًا لتنظيم آخر داخل الجيش يسمى تنظيم الضباط الأحرار، تنظيم الضباط الأحرار لم يكن جزءًا من الإخوان المسلمين ولكن من يسيطر عليه هم أعضاء في الإخوان المسلمون.

الشاهد أن الشيخ حسن الهضيبي قال له: "قم أنت بالانقلاب، فإن نجح أيدناه ووفرنا له غطاء شعبيًا، وإن فشل تتحملوا أنتم فقط (الضباط الأحرار) تبعات هذا الفشل". بالفعل قام عبد الناصر في ٢٣ يوليو ١٩٥٢م بانقلاب عسكري على الملك ونجح الانقلاب، ووضعوا اللواء محمد نجيب رئيسًا شكليًا للبلاد، وقد كان قائد الجيش في هذا الوقت، لكن الأمور كلها كانت تحت يد عبد الناصر.

الإخوان في هذه الفترة نزلوا إلى الطرقات وأيدوا الانقلاب، نزلوا بأعداد كبيرة جدًا واستطاعوا أن يحشدوا الشعب وراء الانقلاب، ليتحول في عرف الناس إلى ثورة قام بها العسكر ودعمها الشعب، ومن وراء كل هذا جماعة الإخوان المسلمين.

بدأ بعد ذلك الإخوان يلحون على عبد الناصر: "وصلنا إلى السلطة -واقتربنا من إعلان الخلافة الإسلامية- بقي أن يُعلَن تحكيم الشريعة الإسلامية ثم بعد ذلك تعلن الخلافة"،

ألحوا عليه مرةً بعد أخرى: "يا عبد الناصر أين ما وعدتنا به؟، أعلن تحكيم الشريعة الإسلامية"، وظل عبد الناصر يتملص من وعوده مرةً بعد أخرى إلى أن بدأ الصدام بينه وبين الإخوان المسلمين كما سنرى.

بعد أن شعر الإخوان بتملص عبد الناصر بدأوا يفكرون في تحرك ضده، هنا بادر هو بالتحرك وأصدر قرارًا بحل الإخوان المسلمين في يناير ١٩٥٤م وجمعهم ووضعهم في السجون فترة قصيرة كتهديد بسيط، حيث مكثوا في المعتقلات شهرين فقط. بعد اعتقال الإخوان بشهر واحد -ومن أجل أن يبين أو يدلل على ولائه للفكر الإسلامي- قام بزيارة قبر الشيخ حسن البنا -رحمه الله-، وصورة زيارة عبد الناصر لقبر الشيخ حسن صورة موجودة منشورة مشهورة، لا ينكرها أحد.

بعد أن قام عبد الناصر بإخراج الإخوان في مارس ١٩٥٤م، قام المستشار عبد القادر عودة الذي كان متقلدًا منصب نائب المرشد العام للإخوان المسلمين وهو -أيضًا- أحد كبار الفقهاء في العالم الاسلامي، وأحد كبار القضاة الشرعيين في العالم الاسلامي، قام بقيادة مظاهرة إلى القصر الجمهوري تهتف "إسلامية إسلامية قرآنية قرآنية"، تطالب بأن يفي عبد الناصر بوعده ويحكم الشريعة الإسلامية، ووصلوا بالفعل إلى القصر الجمهوري وأحاطوا به، وهنا قام عبد الناصر باستدعاء عبد القادر عودة من المظاهرة إلى داخل القصر ووعده أنه سيُحكّم الشريعة: "فقط اصرف الناس من حول القصر وسنقوم بتحكيم الشريعة"، قام الشيخ عبد القادر عودة بالخروج مع عبد الناصر ومعهم محمد نجيب (رئيس مصر الشكلي وقتها) إلى شرفة القصر، وقفوا جميعًا في الشرفة وأمروا الناس بالانصراف.

وهنا خدع عبد الناصر الإخوان للمرة الثانية، مر الشهر تلو الشهر وعبد الناصر يصر على عدم تنفيذ وعده بل بدأ يسيطر أكثر وأكثر على الدولة.

أراد الإخوان حل هذه الأزمة بأي طريقة من الطرق، ولم يجدوا حلًا إلى أن قام عبد الناصر في أكتوبر ١٩٥٤م بتوقيع معاهدة الجلاء مع الإنكليز.

كان في هذه المعاهدة شرط قوبل باستنكارٍ شعبي، ينص على دخول الإنكليز مرة أخرى إلى مصر وأخذ قواعد فيها عندما تدعو الضرورة إلى ذلك إذا حدثت حرب عالمية ثالثة.

هنا فكر رجل يسمى هنداوي دوير –وهو عضو في جماعة الإخوان المسلمين– أن يغتال عبد الناصر ليريح البلاد من شره.

هنداوي دوير

كانت المعادلة –في ذهنه– بسيطة واضحة: البلد تريد تحكيم الشريعة الإسلامية، الناس عندهم سخط شديد على عبد الناصر، لماذا لا نتخلص من عبد الناصر؟ ونحكّم الشريعة الإسلامية.

عرض هنداوي دوير فكرة اغتيال عبد الناصر على قيادات جماعة الإخوان، الذين رفضوا الفكرة تمامًا لما قد تجره عليهم من بلاء.

هنداوي دوير محام معتد برأيه ذكي جريء، قرر أن ينفذ هذه الفكرة بنفسه مهما كانت العواقب، سيقتل عبد الناصر في عملية مضمونة من وجهة نظره، ثم بعد ذلك يُحل كل شيء.

كان عند هنداوي دوير في شعبته في جماعة الإخوان شخص يسمى محمود عبد اللطيف، وكان من أمهر رماة الإخوان إن لم يكن أمهرهم على الإطلاق، بل كان يشهد على مهارته عبد الناصر نفسه الذي أراد استخدامه في إحدى العمليات ضد الإنكليز قبل قيام ثورة ١٩٥٢م، وكانت قد ظهرت مهارة محمود عبد اللطيف في حرب ١٩٤٨م ضد اليهود.

محمود عبد اللطيف

حصل هنداوي دوير –بطريقة أو بأخرى– على مسدس وأعطاه لمحمود عبد اللطيف، بطبيعة الحال لم يستطع الحصول على المسدس من جماعة الإخوان، حيث كان هناك رفض لهذه

العملية، وللأسف هنداوي دوير في بحثه عن المسدس وفي محاولته الحصول على إذنٍ للعملية ثرثر كثيرًا حولها، والأرجح أنها كُشفت قبل أن تتم.

في ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤م كان مقررًا أن يخطب عبد الناصر في جموع المصريين في محافظة الإسكندرية محاولًا التسويق لمعاهدة الجلاء التي وقع عليها، وعلم هنداوي بالأمر وأرسل محمود عبد اللطيف بمسدسه ليغتال عبد الناصر أثناء خطابه الجماهيري، والعجيب أنه أرسل أخًا واحدًا فقط رغم أنه يستطيع أن يرسل أكثر من هذا بكثير وهذه علامة استفهام.

محمود عبد اللطيف قام بإطلاق ثمان رصاصات على عبد الناصر لم تصب أيًا منها عبد الناصر بأذى، بل أكثر من ذلك، فإن عبد الناصر توقف حتى انتهى إطلاق النار (الثمان رصاصات) ثم استمر في خطبته مظهرًا نفسه بطلاً شجاعًا، وأخذ يقول "أنا سأفدي هذا الشعب، أنا حياتي من أجل هذا الشعب"، وقد اكتسب شهرة وشعبية كبيرة بعد هذه الفعلة واستطاع أن يسوّق معاهدة الجلاء للشعب المصري، وقُبض على محمود عبد اللطيف من مكان الحادث، وتحت التعذيب الشديد دل على هنداوي وعندما ضغط على هنداوي وعُذب تعذيبًا شديدًا (والتعذيب في أيام عبد الناصر أشد بكثير من أيام الملك فاروق) قام بتوريط كل جماعة الإخوان المسلمين في هذه الحادثة.

خطاب جمال عبد الناصر يوم حادث المنشية

قيل الكثير من التفسيرات عن هذه الحادثة، أشهر هذه التفسيرات:

- تفسير الأمن المصري الذي أعلنه للعموم: إن هذه عملية قام بها الإخوان المسلمون بأمر من مرشدهم العام إلى هنداوي دوير ومحمود عبد اللطيف، وأن اغتيال جمال عبد الناصر قرار جماعة الإخوان كلها. هذه الرواية مطعون فيها كثيرًا وشديدة الضعف كما سنوضح بإذن الله تعالى.

- التفسير الثاني: رواية إخوانية تقول إن هنداوي عميل لعبد الناصر، وعبد الناصر كما أشرنا قبل كان عضوًا في النظام الخاص للإخوان فله علاقات كثيرة مع قاداته وعناصره، وقد يكون استطاع من خلال هذه العلاقات أن يجند هنداوي، وهذه الرواية أيضًا نستبعدها، بل واستبعدها الدكتور يوسف القرضاوي –أيضًا– في كتابه "ابن القرية والكُتّاب" –مذكراته–، واستبعدها محمود عبد الحليم في " الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ" واستبعدها أحمد عادل كمال في "النقط فوق الحروف" الذي أشرنا أنه كتاب مهم جدًا في تاريخ هذه الحقبة من حقب الإخوان.

- والتفسير الأشهر –الثالث– وهو الأقرب للحقيقة فيما نرى: أنه استُبدلت الطلقات من مسدس محمود عبد اللطيف ووضعت طلقات مزيفة (فشنك أو خلابية) وهذا ما يفسر عدم إصابة محمود عبد اللطيف الهدف، أقول هذا الأقرب لأننا في أرض الجهاد ومعنا مسدسات وندرك جيدًا أن المسافة التي أطلق منها محمود عبد اللطيف الطلقات وهي خمسة عشر مترًا، يصيب منها أي رام، لا تحتاج إلى رام ماهر، فما بالنا إذا كان من أمهر الرماة.

ولو قلنا بالرواية الأخرى –في تحديد مسافة الرمي– أنها ثلاث مئة متر، فهذه المسافة قطعًا لا يمكن أن يطلق رام أو يجرؤ رام يعرف مدى رمي المسدسات منها طلقة، لأنه يعرف أن الرصاصة لن تصل أصلًا. [مدى المسدس القاتل لا يزيد على ١٠٠ متر والإصابة من هذه المسافة صعبة للغاية مهما كانت مهارة الرامي] وهذه كانت بداية المحنة الكبرى الأولى للإخوان المسلمين، المحنة السابقة في عام ١٩٤٨م كانت محنة صغيرة كانت المحنة الأولى ولكنها صغيرة، أما المحنة الكبرى الأولى فكانت عام ١٩٥٤م.

صدر حكم في ديسمبر ١٩٥٤ م –بعد ثلاثة أشهر من العملية– بإعدام سبعة أشخاص من الإخوان المسلمين منهم: المرشد العام حسن الهضيبي لكن خفف حكمه إلى الأشغال الشاقة المؤبدة –وهو الوحيد الذي خفف حكمه– بينما حكم بالإعدام وقتل كل من يوسف طلعت بصفته رئيس النظام الخاص، وهنداوي دوير بصفته الرئيس المباشر لمحمود

عبد اللطيف، ومحمود عبد اللطيف الذي باشر العمل بنفسه، والشيخ محمد فرغلي وهو من كبار مشايخ الإخوان المسلمين وكان مرشحًا لتولي مشيخة الأزهر وله نشاط جهادي في حرب ١٩٤٨م فأراد عبد الناصر أن يقتله، والشيخ محمد فرغلي بلا شك ليس له أي صلة بالعمل من قريب أو بعيد لكن أراد عبدالناصر قتله ليقتل الفكرة و الروح الجهادية عند الإخوان أو يقلع عامودًا من أعمدة الجهاد عند الإخوان، وأيضًا حكم بالإعدام وقتل المستشار عبد القادر عودة وهذا على خلفية المظاهرة التي قام بها في مارس التي تحدثنا عنها قبل، فقرر عبدالناصر


الشيخ محمد الفرغلي

قتله لشعبيته الكبيرة دون أن يكون له أي صلة مطلقًا بالعملية، المحصلة قتل ستة من الإخوان –منهم رموز وقامات ضخمة– جراء هذه العملية وتعرض باقي الإخوان –عشرات الآلاف من الإخوان– لسجن طويل.

هذه محنة الإخوان الكبرى الأولى على يد جمال عبد الناصر على إثر تكليف هنداوي دوير وهو قيادي من قيادات الإخوان لمحمود عبداللطيف باغتيال عبدالناصر، وقلنا إن هناك شكوكًا حول هنداوي دوير داخل الإخوان بعضهم كان يقول إنه متعامل مع الأمن، وبعضهم يقول في الأصل لم يكن عميلًا للأمن وبعد أن قبض عليه وازداد التعذيب أُقنع بفكرة أن يكون شاهد ملك بمعنى أن يشهد أو يدلي بشهادات في المحكمة على إخوانه في سبيل أن يُخفف عنه الحكم، ومما يؤيد هذه الفكرة أنه عندما كان يسحب لتنفيذ حكم الإعدام فيه صرخ "ما اتفقناش على كده! ما اتفقناش على كده!!"، وهذا زود الشكوك عند الطرفين، الطرف الذي يقول إنه عميل أصلي للأمن، والطرف الذي يقول إنه اقنع بفكرة أن يكون شاهد ملك.

على كل حال سيظل موضوع هنداوي دوير عليه علامات استفهام كثيرة كما يقول الدكتور

القرضاوي في مذكراته، وإن قال إنه يرجح من خلال معرفته بهذا الأخ أنه في الأصل لم يكن عميلًا للأمن ولم يصبح بعد ذلك أيضًا، إلا أنه تحت الضغط والإكراه اضطر إلى أن يأتي بالاعترافات المفصلة التي ورطت الجماعة.

– لماذا أركز على مسألة هنداوي دوير؟

أركز عليها لأن شخصية هنداوي دوير –الشخصية القيادية التي يقبض عليها فتثرثر كثيرًا في تحقيقات أمن الدولة تحت ضغط التعذيب ويدور حولها شبهات–، شخصية مكررة في تاريخ الحركات الجهادية، سبق وتحدثنا عن شخصية مماثلة وهي شخصية عبد المجيد في عام ١٩٤٨م في اغتيال النقراشي ثم تكررت هذه الشخصية في ١٩٥٤م في هنداوي دوير ثم سنجدها تتكرر في تنظيم ١٩٦٥م ثم في التنظيمات التي بعد ذلك.

هذه مسألة تحتاج إلى علاج، نحتاج أن نحل هذه المشكلة، مشكلة الشخصية التي تسبب هذا البلاء وهذا الأذى للحركة ككل هذه نقطة.

النقطة الثانية: أن فكرة التنظيم العنقودي كانت مستمرة في ١٩٤٨م ومستمرة في ١٩٥٤م ومستمرة أيضًا فيما بعد ذلك، ولم تغن هذه الفكرة في دفع الضر عن التنظيمات، سبب عدم غنائها أنه يُقبض على شخصية مفصلية من هرم العنقود فتؤدي –تحت التعذيب– إلى القبض على باقي العنقود ولا يحقق التنظيم العنقودي الغاية منه، بل إذا قُبض على شخصية غير محورية –طرف صغير– في العنقود، فإنه تحت التعذيب –أيضًا– يأتي بمن فوقه ثم بمن فوقه ثم من فوقه إلى أن يصلوا إلى رأس العنقود، ثم ينهار رأس العنقود أو ينهار أحد رؤوس العنقود فيأتي بكل التنظيم العنقودي.

هذه المسألة أيضًا نحتاج أن نجد لها حلًا في التنظيمات الجهادية.

بعد محنة ١٩٥٤م حدث شبه توقف لنشاط الإخوان المسلمين في جميع القطر المصري، قضت قوة عبد الناصر وطغيانه على نشاطهم، وظهر طغيانه على جميع أرجاء القطر المصري، بل بدأ يحاول

إجبار الشعب على اعتناق الفكر الشيوعي و معلوم ما يتطلبه ذلك من سلطة دكتاتورية قوية.

لكن الإخوان كانوا منتشرين في جميع أرجاء القطر المصري فلم تستطع هذه الإجراءات القمعية أن تقضي عليهم تمامًا بل كان ما يزال يوجد جيوب، قامت هذه الجيوب بإعادة إنتاج الإخوان مرةً أخرى، وأنشأت النظام الخاص مرة أخرى أيضًا، أُنشئ أو أُعيد إنشاؤه في ١٩٥٧م على يد مجموعتين منفصلتين لم يكونوا على علم ببعضهم البعض ثم بعد ذلك توحدتا، لكن قبل أن نتحدث عن إعادة إنشاء هذا التنظيم نتحدث عن شخصية محورية في التنظيم الجديد وهي شخصية الشيخ سيد قطب رحمه الله.

سنعتمد في الحديث عنه على كتاب "سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد" لصلاح الخالدي، هذا الكتاب رسالة دكتوراه قدمت في الجزيرة وكان مشرفًا على هذه الرسالة الشيخ محمد قطب، وهو أخو الشيخ سيد قطب، ومن هنا تكتسب هذه الرسالة أهمية كبيرة، أيضًا سنعتمد على مصادر أخرى نذكرها في حينها بإذن الله تعالى.

سيد قطب

ولد سيد قطب في ١٩٠٦م في محافظة أسيوط في صعيد مصر، التحق أيضًا بدار العلوم مثل حسن البنا، لكنه تخرج في ١٩٣٣م في هذا الوقت كان سيد قطب له اتجاه مختلف تمامًا عن اتجاه الحركة الإسلامية، وإن كان يميل للفكر الإسلامي ولكن من وجهة نظر أخرى قريبة من فكر العسكر وعبد الناصر، وكان مقربًا جدًا من الضباط الأحرار، في عام ١٩٤٩م كان في أمريكا في بعثة عندما سمع خبر مقتل الشيخ حسن البنا رحمه الله ووجد ابتهاجًا في الولايات المتحدة الأمريكية نتيجة هذا الاغتيال، كانت الولايات المتحدة الأمريكية خارجة منتصرة لتوها من الحرب العالمية الثانية، وكانت تعتبر أقوى دولة في العالم في هذا الوقت، الشاهد أنه تعجب جدًا أن تهتز هذه الدولة طربًا بسبب موت رجل في مصر، كان يسمع عن حسن البنا بل وهاجمه في بعض المقالات، لكن حسن البنا بذكائه وفراسته أمر بعدم الرد عليه قائلًا

" أشعر أن هذا الرجل سيكون معنا في يومٍ من الأيام" وقد كان.

وكان مقتل حسن البنا إيذانًا بميلادٍ جديد للشيخ سيد قطب رحمه الله، ظل يحاول الاقتراب من الإخوان ويتردد في هذا الأمر إلى أن قامت ثورة ١٩٥٢م، بعد الثورة صار مقربًا أكثر من الإخوان المسلمين بل صار عضوًا من أعضاء الجماعة، عضوًا مقدمًا، حاول العسكر استمالته وإرجاعه إليهم مرةً أخرى، عرضوا عليه أن يكون رئيسًا للإذاعة، لكنه رفض هذا وأصر على الاستمرار مع جماعة الإخوان المسلمين.

قبض على الشيخ سيد قطب عام ١٩٥٤م كباقي الإخوان، وحكم عليه بالسجن خمس عشرة سنة، كانت ظروف سجنه صعبة وشديدة وتعرض للكثير من التعذيب، لكن من بين ظلمات ومآسي سجنه خرجت أفضل كتبه، خرج كتابه "في ظلال القرآن" وخرج أيضًا كتابه "هذا الدين" و"المستقبل لهذا الدين" وغيرهم، وخرج كتابه القنبلة الفكرية "معالم في الطريق".

تشفّع الكثير من الرؤساء العرب –حيث كانت لسيد قطب شهرة عربية كبيرة ككاتب وأديب ومفكر قبل أن ينتمي لجماعة الإخوان المسلمين– في خروجه من السجن، استجاب عبد الناصر عام ١٩٦٤م لشفاعة عبد السلام عارف الرئيس العراقي وأفرج عن الشيخ سيد قطب إفراجًا صحيًا.

خرج الشيخ سيد في ١٩٦٤م ليقود النظام الخاص الجديد للإخوان المسلمين.

فبعد الضربة القاصمة التي تلقاها الإخوان في ١٩٥٤م –كما ذكرنا– أعادت مجموعتان من مجموعات الإخوان تشكيل فكرة النظام الخاص، وفي هذا الوقت كانت الدعوة ممنوعة ولم يكن يُسمح أبدًا حتى بذكر اسم الإخوان المسلمين، فكان ما يُنشأ في هذا الوقت هو دعوى سرية في إطار فكرة النظام الخاص. هاتان المجموعتان اتحدتا في ١٩٦٢م تحت قيادة شاب يسمى علي عشماوي، كان هذا الشاب صغيرًا في السن لم يستطع قيادة التنظيم كما ينبغي بسبب صغر سنه، وكان هناك ملاحظات كثيرة عليه، وأراد أعضاء التنظيم أن يكون هناك قائد كبير للتنظيم، وفي هذا

التوقيت كان حسن الهضيبي المرشد العام للإخوان المسلمين بعد أن حكم عليه بالسجن المؤبد في ١٩٥٤م قد أخرجه عبد الناصر ليمضي بقية حكمه تحت الإقامة الجبرية في بيته بسبب كبر سنه، كان عمره تجاوز السبعين سنة حين خرج من السجن عام ١٩٦١م.

وعندما خرج -كما أسلفنا- سيد قطب في ١٩٦٤م كلفه المرشد العام للإخوان بمنصب أمير النظام الخاص، وكان سيد قطب في سجنه قد أخرج كتابه "معالم في الطريق"، هذا الكتاب كان كتابًا فكريًا تنظيميًا للنظام الخاص، أراد به أن يحل مشكلة كبيرة واجهت النظام الخاص، فعند إنشاء النظام الخاص في عهد حسن البنا، كان الهدف إعادة حكم الشريعة الإسلامية إعادة الخلافة الإسلامية مرةً أخرى وكان الأمر متقبلًا على المستوى الشعبي ومتقبلًا في أوساط الإخوان، لأن الحاكم كان الإنكليز، والإنكليز ليسوا من المسلمين ووجوب الخروج عليهم لا يوجد فيه إشكال أبدًا، أما الآن فالحاكم يقول إنه يشهد "أن لا إله الا الله وأن محمدًا رسول الله" بل كان عضوًا سابقًا في النظام الخاص بالإخوان المسلمين، والإشكال الوحيد أنه لا يحكم بشرع الله عز وجل، فهل هذا يبيح الخروج عليه؟؟

حل كتاب "معالم في الطريق" هذا السؤال وبين وجوب الخروج عليه، وأن المجتمع الذي لا يحكم بشرع الله هو مجتمعٌ جاهلي ولو كان حاكمه يدعي الإسلام.

الشيخ سيد –بلا شك– لا يكفر المجتمع لكن يصف حالة هذا المجتمع بالعموم وليس حال أعيان المجتمع، أو بتعبير أدق مثل ما يتحدث جمهور الفقهاء عن دار الكفر ويقولون إنها التي تعلوها أحكام الكفر وإن كان أغلب أهلها مسلمين، هذا كان مقصد الشيخ رحمه الله في وصف المجتمع بالجاهلي.

عند خروج الشيخ سيد في ١٩٦٤م وتوليه رئاسة النظام الخاص كان الرئيس التنفيذي للتنظيم هو علي عشماوي أمير النظام الخاص السابق قبل خروج الشيخ سيد. وهنا نرجع مرة أخرى إلى فكرة العدد، ما العدد الذي نبدأ بعده الخروج على الحاكم لتحكيم الشريعة؟

وضح سيد قطب رحمه الله مسألة العدد في كتاب "معالم في الطريق" فقال: "إذا بلغ المسلمون العاملون للدين ثلاثة فإن العقيدة تقول لهم أنتم الآن أصبحتم مجتمعًا ثم الثلاثة يصبحون عشرة والعشرة يصبحون مئة والمئة يصبحون ألفًا والألف يصبحون اثني عشر ألفًا ويتقرر ويثبت وجود المجتمع المسلم".

يلمح إلى أن هذا هو التوقيت الذي يصح لنا أن نخرج على الدولة فيه وننتصر إعمالًا لحديث الرسول ﷺ {لن يغلب اثنا عشر ألفًا من قلة}.

لكن علي عشماوي لأنه شاب ومتحمس استعجل الصدام مع الدولة، أما الشيخ سيد قطب رحمه الله فكان يرى تأجيل الصدام، بل كان ينتمي للنظام الخاص عضو يسمى إسماعيل الفيومي كان في الحرس الخاص لعبد الناصر ويستطيع اغتياله وقت أن يحب، لكن سيد قطب كان يرى أن اغتيال عبد الناصر لن يؤدي إلى إقامة المجتمع المسلم، بل الدولة المترسخة الآن في مصر لن تسمح بظهور الإسلاميين مرةً أخرى، وسيُستبدل عبد الناصر بمن قد يكون أسوأ من عبد الناصر، وتتكرر محنة الإخوان مرة ثانية.

إسماعيل الفيومي

علي عشماوي لم يعجبه هذا الكلام وجمع كمية من الأسلحة: ثلاثة رشاشات وبعض المسدسات ووضعها في حقيبة ثم دار بها في القطر المصري يدرب مجموعات الإخوان على فك وتركيب هذه الأسلحة واعتبر بهذا أنهم قد دُربوا وصاروا مستعدين للانقلاب على الحكم.

هكذا حماسة الشباب إن لم تلجم بحكمة وخبرة الشيوخ تجلب الكوارث، كما أن حكمة الشيوخ إن لم تجد شبابًا يجرون في عروقها حماستهم لتكون واقعًا معاشًا اندثرت وماتت.

وكما هو متوقع شعر النظام المصري بوجود هذا التنظيم لكنه لم يمسك بعد طرف الخيط الذي يؤدي للقبض عليه.

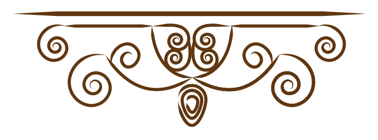
وُضعت خطط كثيرة للانقلاب على الحكم في إطار هذا التنظيم ولم ينفذ منها شيء، فكما أسلفنا فإن الشيخ سيد قطب كان يصر على تأجيل الصدام إلى أن يصل إلى العدد المطلوب، لكن قبض على الشيخ سيد في ١٩٦٥م على إثر احتجاجه على القبض على أخيه الشيخ محمد قطب وليس بسبب قيادته للنظام الخاص، فقد كان أرسل مذكرة احتجاج للأمن فقام الأمن بالقبض عليه، وبعد ذلك بأيام قبض على علي عشماوي، وكالعادة لم يقبض عليه مباشرةً بل قبض على فرع صغير من فروع العنقود وهذا الفرع جاء بالذي بعده ثم الذي بعده إلى أن وصلوا إلى علي عشماوي، وتحت التعذيب انهار علي عشماوي وتكررت قصة هنداوي دوير مرة أخرى وقصة عبد المجيد اللتان تحدثنا عنهما قبل، وورط علي كل تنظيم الإخوان مرة ثانية في محنة كبرى ثانية، وكانت أشد المحنتين. حكم بالإعدام وقتل نتيجة لاكتشاف هذا التنظيم الشيخ سيد قطب رحمه الله مع اثنين آخرين من قادة التنظيم، وصدر حكم الإعدام على علي عشماوي أيضًا ولكنه خفف للمؤبد، وثار مرة أخرى داخل الإخوان خلاف: هل علي عشماوي كان عميلًا من الأساس؟ أم صار عميلًا للأمن بعد دخوله السجن وبعد الضغط عليه ولهذا كوفئ بتخفيف حكم الإعدام عنه؟

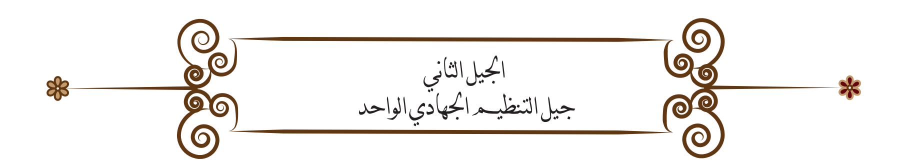
أيًا كان الأمر فإن علي عشماوي نفسه ألف كتابًا تحدث فيه عن النظام الخاص الثاني للإخوان المسلمين، وكتاب علي عشماوي قد نستفيد منه في توثيق بعض المعلومات، لكن الرجل عليه شبهات كثيرة بما في ذلك دينه والتزامه الشرعي، وعلى الأرجح أنه انقلب بعد القبض عليه ولم يكن عميلًا من البداية. تحدث أيضًا عن النظام الخاص للإخوان المسلمين في ١٩٦٥م أحمد عبد المجيد في كتابه "الإخوان وعبد الناصر"، هذا الكتاب كتاب موثق، الشيخ أحمد عبد المجيد من الثقات، وهذه طريقتنا في معرفة أو في حل تضارب الروايات، نرجح بنفس طريقة ترجيح صحة الأحاديث؛ نرجح بالأوثق والأعدل فأحمد عبد المجيد نحسبه والله حسيبه من العدول، وتحدث عن هذه التنظيم أيضًا أحمد رائف في كتابه "البوابة السوداء" ، وتحدثت زينب الغزالي في كتابها "أيام من حياتي"، أيضًا يوجد كتاب لمحمد الصروي بعنوان "الصحوة والزلزال" تحدث فيه عن تنظيم ١٩٦٥م، كل

هذه الكتب استقينا منها الملخص الذي ذكرناه هنا.

بعد هذه المحنة الثانية الكبرى عام ١٩٦٥م انتهى الجيل الأول جيل التنظيم الأم أو التنظيم الشامل، لأن الإخوان أصبحوا لا يستطيعون بل لا يريدون -لأنه أصبح عندهم إشكال فكري- إنشاء تنظيم جهادي مرةً أخرى.

فإنه بعد قتل الشيخ سيد قطب في ١٩٦٦م حدثت مشاكل داخلية وانشقاقات في الإخوان، وبدأت مرحلة جديدة أو جيل جديد من الطريق إلى الخلافة، في هذا الجيل كان التنظيم الجهادي منفصلًا عن التنظيم الأم لكنه كان تنظيمًا جهاديًا واحدًا كما سنفصل بإذن الله تعالى.





الجيل الأول كان جيل التنظيم الأم الذي يهتم بالجهاد والدعوة وطلب العلم والسياسة وسائر الأمور في سعيه إلى إعادة الخلافة مرةً أخرى، أما هذا الجيل فهو جيل التنظيم الجهادي الواحد، هنا يوجد تنظيمٌ واحد يهتم بمسألة الجهاد حصرًا، يقتصر على وسيلة الجهاد.

كانت إرهاصات هذا الجيل موجودة في الجيل الماضي، نتيجة للمحنة الشديدة الطويلة التي تعرض لها الاخوان والتي بدأت من ١٩٥٤م وظلت مستمرة على أغلب أعضاء الإخوان إلى ١٩٦٥م حين قُبض على النظام الخاص الثاني للإخوان المسلمين فأدى ذلك إلى ازدياد المحنة على من كان في السجون وإضافة أعداد كثيرة أخرى إليهم.

سنتحدث عن ثلاث إرهاصات أساسية كانت سببًا في ظهور الجيل الثاني.

- الأولى: لها أثر قليل نوعًا ما، وهي قديمة أيضًا قبل محنة١٩٥٤م تقريبًا في ١٩٥٣م، حين اغتيل السيد فايز والذي كان عنصرًا مهمًا من عناصر النظام الخاص للإخوان المسلمين، وقد ذكرنا أن النظام الخاص بدأ يخرج عن طوع الشيخ حسن البنا وقرر الهضيبي [الذي تولي منصب المرشد العام بعد الشيخ حسن –رحمه الله–] أن يعيده مرةً أخرى تحت سيطرة القيادة العامة للإخوان المسلمين، وفي سعيه لهذا الأمر استعان بالسيد فايز أحد الكواد رالمهمة للنظام الخاص الذي أعطاه أغلب أسرار النظام الخاص، نتيجة لهذا الأمر بعد فترةٍ وجيزة قُدم طرد للسيد فايز، فتح هذا الطرد فانفجر في وجهه وقتل رحمه الله . اتهم الإخوان عبد الرحمن السندي مؤسس النظام الخاص وأحمد عادل كمال أحد كبار أقطاب النظام الخاص بمقتل السيد فايز، هذا الاتهام –عند التحقيق– نجد أنه بعيد عنهما، فنحن أبناء الحركات الجهادية نعلم جيدًا أنه من الصعب جدًا إن لم يكن مستحيلًا

أن يقوم أحد المجاهدين بقتل أخيه المنضوي معه في نفس التنظيم، هذا أمر يحتاج فتاوى ويحتاج سلسلة طويلة من التحضيرات الفكرية والنفسية التي لا يمكن أن توجد في هذا الوقت، والراجح أن التهمة قريبة من بعض الضباط الأحرار الذين كانوا داخل النظام الخاص ثم تركوه بعد نجاح انقلاب ١٩٥٢م، بل دائرة الاتهام تشير إلى أنور السادات تحديدًا الذي سيكون رئيس مصر بعد ذلك، وذلك ليحدثوا انشقاقًا داخل الإخوان المسلمين.

الشاهد أن هذا أثر كثيرًا في بنية الإخوان المسلمين حيث فُصل عبد الرحمن السندي ووُقف أحمد عادل كمال، وكان شرخًا كبيرًا عند الإخوان المسلمين.

– الثانية: بعد مقتل الشيخ سيد قطب في ١٩٦٦م وازدياد المحنة بشدة على جماعة الإخوان المسلمين، بدأت تظهر نبتة الغلو في صفوف الجماعة داخل السجون، كان من تولى كبر هذه النبتة شخص يسمى شكري مصطفى، شكري مصطفى من مواليد محافظة أسيوط ١٩٤٢م، وفي سنة ١٩٦٣م أي وعمره واحد وعشرون عاماً تقريبًا كان يعلق منشورات تدعو لجماعة الإخوان، نتيجة لتعليق هذه المنشورات قُبض عليه وهو طالب في كلية الزراعة وزج به في السجن وتعرض لتعذيب شديد استمر من سنة ١٩٦٣م إلى ١٩٧١م فقط لأنه كان يعلق بعض المنشورات، فكر شكري مصطفى بالطريقة التالية:


شكري مصطفى

" من يعذبني يعذبني لأجل ديني الإسلام فبالتالي هو ليس من المسلمين هو كافر، ومن أمره بتعذيبي أيضًا كافر، ومن لم يكفر هؤلاء الكفرة كافرٌ مثلهم"

نتيجة لهذه المقدمات صار كل المجتمع عند شكري كافر لأنهم لا يكفرون هؤلاء السجانين ولا يكفرون رئيس الدولة ولا من يأمر هؤلاء السجانين إلى آخر ذلك من هذه السلسلة المشؤومة، لم يفطن شكري مصطفى (بسبب الهوى وضحالة علمه) لمسائل العذر بالجهل ومسائل العذر بالتأويل

ومسألة أن "من لم يكفر الكافر فهو كافر" مختصة بالكافر المقطوع بكفره لأن هذا تكذيب لله عز وجل ولا تتناول هذه القاعدة المختلف في تكفيرهم ولا من كفرهم لا يظهر لعموم الناس أو يجهله عموم المسلمين فيعذرون بجهلهم في عدم تكفيرهم.

نتيجة انتشار هذا الفكر داخل صفوف الإخوان المسلمين قام المرشد العام للإخوان حسن الهضيبي بتأليف كتاب سماه "دعاة لا قضاة"، في هذا الكتاب ناقش مسألة العذر بالجهل والعذر بالتأويل وأفاد وأجاد في هذه المسألة لكنه للأسف الشديد في نفس الكتاب تحدث عن مسألة تكفير الحاكم المستبدل بطريقة ميّعت هذه القضية، وكما ذكرنا في آخر الجيل الأول فإن مسألة تكفير الحاكم الذي يحكم بالقانون الوضعي مسألة مهمة جدًا للحركات الجهادية ، تُستخدم من أجل تبين مشروعية الخروج على الحاكم، ولهذا فالحكومات الطاغوتية تضع نصب أعينها ألا تفرج عن الحركات الإسلامية ولا تخفف عنها العذاب والبلاء إلا إذا حدث تمييع عندها في هذه القضية لتضمن بعد ذلك عدم خروج هذه الجماعات مرة أخرى عليها.

في كتابه "دعاة لا قضاة" لم يصرح الهضيبي حقيقةً بعدم تكفير الحاكم المستبدل لكنه قال ما معناه "إن هذه مسألة لا تعنينا نحن دعاة فقط".

تحدثنا عن مسألتين مسألة السيد فايز وهو خلاف قديم كما قلنا، ومسألة كتاب "دعاة لا قضاة" الذي فيه رد على الغلاة الذين خرجوا من الإخوان، وفيه رد أيضًا على الجهاديين الذين يرون تكفير الحاكم، وكان تمهيدًا لأن يقول الإخوان إننا لن نسعى في هذا الطريق –طريق الجهاد– مرةً أخرى.

– الثالثة: ما قام به الشيخ حسن البنا –رحمه الله– في ١٩٤٢م حين ترشح للانتخابات البرلمانية، وهذا كان أول إسلامي يترشح للانتخابات البرلمانية، هو من سنّ هذه السنة نسأل الله عز وجل أن يغفر له هذه الزلة، عندما فعل هذا الأمر حدثت ضغوطات كثيرة عليه من الدولة ليسحب ترشحه فسحب ترشحه مقابل أن تُغلق بيوت الدعارة، كانت بيوت الدعارة يسمح بها بتصريح رسمي من الحكومة المصرية وتكون معلنة يعلن عنها في الجرائد وغيرها من وسائل الدعاية، فأُغلقت وجُرمت

بيوت الدعارة من هذا الوقت إلى الآن مقابل انسحاب الشيخ حسن البنا من الانتخابات البرلمانية، وطلب أيضًا أن يفسح المجال لدعوته أكثر وأكثر فحدث، طبعًا هذه الفوائد الكبيرة كانت في ذهن الشيخ حسن البنا ولم يكن بعد ظهر أن هذا الطريق لا يؤدي أبدًا إلى تحكيم الشريعة بل يؤدي إلى التلبيس على عموم المسلمين، وكان الوضع في هذه الأوقات بيوت الدعارة منتشرة، الخمارات منتشرة، الدعوة مضيق عليها بوسيلةٍ أو بأخرى، فظن نظرًا لكل هذه المصالح مشروعية هذا الأمر وتأول هذا التأويل، ثم بعد ذلك ترشح للانتخابات مرة أخرى سنة ١٩٤٤م وزُورت الانتخابات فرسب فيها.

كانت هاتان المحاولتان هما ما قام به الشيخ حسن البنا طوال حياته في مسألة الانتخابات البرلمانية، صارت بعد ذلك هاتان المحاولتان هما النهج الجديد لجماعة الإخوان المسلمين، عندما قرروا ترك طريق الجهاد.

قالوا إنهم سيعتمدون وسيلة التغيير السلمي عن طريق البرلمانات وما شابه من الأمور اعتمادًا على الزلة التي وقع فيها الشيخ حسن رحمه الله، والتي لا تقاس بحال بالزلات التي سيقعون فيها بعد ذلك، خاصة أن الوضع في مرّتيّ الشيخ حسن كان أول تجربة ولم تكن ظهرت المفاسد العظيمة جلية بعد ولا أن هذا طريق مسدود يستحيل أن يوصل لتحكيم الشريعة، وهذا أيضًا يبين وجهة بعض الفتاوى التي تنقل عن الشيخ أحمد شاكر أو غيره بإباحة هذه الانتخابات، فالوضع لم يكن قد اتضح بعد وكان هناك مكاسب كثيرة ممكن أن تتحقق فعلًا للإسلام والمسلمين، وكان هناك أمل حقيقي أن يصل الإسلام للحكم عن طريق هذه البرلمانات، وإن كان كل هذا لا يبرر الدخول فيها لكنه يخفف -نوعًا ما- من الإنكار على الشيخ حسن البنا رحمه الله.

الشاهد أن هذه الروافد الثلاثة رسمت الطريق الجديد لجماعة الإخوان المسلمين، جماعة لا تتبنى الفكر الجهادي للتغيير، وتسير في طريق البرلمانات من أجل التغير، لهذا لن نتحدث

بعد ذلك عن جماعة الإخوان في زمرة من يسعون إلى إعادة الخلافة مرة أخرى، نظرًا لعبثية الطريق الذي ساروا ويسيرون فيه، وهم أنفسهم اعترفوا بهذا وقالوا "إننا نعلم أن هذا الطريق لا يوصل إلى تحكيم الشريعة -طبعًا بعد مرات من التجارب-"، لكن قالوا "نسعى به إلى تخفيف الضرر وجلب بعض المصالح للإسلام والمسلمين" الخلاصة كما يقول الشيخ محمد قطب في كتابه الرائع واقعنا المعاصر ما معناه "حدث نوع من الإرهاق والتعب وقرر الشيوخ الذين أرهقهم الطريق ألا يذوقوا مرة أخرى مرارته"، وإن كان هذا هو الطريق الوحيد الذي يوصل.

هلك جمال عبد الناصر في ١٩٧٠م وحدثت مظاهرات كبيرة حزنًا على هلاكه، بعض هذه المظاهرات كانت مصطنعة وبعضها كان حقيقيًا، لأن جمال عبد الناصر كان قد تحكم في وسائل الإعلام تمامًا طوال هذه الفترة ومنع الدعوة تمامًا واتبع الطريقة الشيوعية في البروباجندا وغسيل الأدمغة والسيطرة الديكتاتورية على البلاد.

بعد موت جمال فكرت مراكز القوى في نظامه في من تختار ليخلفه ويتبع سبيله وفي نفس الوقت يكون تحت تحكم هذه المراكز؟، فاستضعفوا أنور السادات وولوه حكم مصر، لكن السادات كان أذكى منهم جميعًا وأظهر الضعف في البداية ثم سعى بعد ذلك إلى القضاء على مراكز القوى، من وسائله للقضاء على هذه المراكز أنه انتقل من المعسكر الشيوعي الذي يقوده الاتحاد السوفيتي إلى المعسكر الغربي الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية، كان يحتاج هذا الانتقال ليستطيع تحجيم مراكز القوى، ولا نتعجب كثيرًا فإن هؤلاء الضباط يتبنون الفكر البراغماتي وإلههم مصلحتهم، عندما تكون المصلحة أن يكون إسلاميًا يكون إسلاميًا وقد ذكرنا من قبل أن السادات كان منضمًا للنظام الخاص للإخوان المسلمين وبايع الشيخ حسن البنا على السمع والطاعة واضعًا يده على المصحف والمسدس، وعندما يجد مصلحته في المعسكر الشرقي معسكر الشيوعية يصبح شيوعيًا، وعندما يجد مصلحته في

المعسكر الغربي يمسي مُنضمًا للمعسكر الغربي والرأسمالية، لا يفرق الأمر معه كثيرًا.

لكنه بعد أن فعل ذلك خشي أن يحدث انقلاب عليه، لأن الشيوعية كانت متغلغلة كثيرًا في جميع ربوع القطر المصري، ففكر في طريقة يستطيع بها مقاومة الشيوعية، وكان يعلم يقينًا أنه لا يمكن أن يُقاوم الفكر الشيوعي في البلاد الفقيرة إلا بالوازع الديني، فقرر أن يقوي الفكر الإسلامي والحركات الإسلامية لتقاوم الفكر الشيوعي، وكان من تقويته للحركات الإسلامية أن أفرج عن جميع الإخوان المسلمين في ١٩٧١م.

خرج أغلب الإخوان في هذا الوقت من السجون وبقيت مجموعة قليلة جدًا من التي عليها أحكام طويلة لتخرج بعد ذلك في ١٩٧٤م، وكان مِن مَن خرج من السجن شكري مصطفى وهو مفصول من جماعة الإخوان المسلمين بسبب غلوه، خرج بفكر تكفير المجتمع، وقرر شكري أن يؤسس تنظيمًا يعتمد على فكرة تكفير المجتمع، وخرج معه -أيضًا- بعض من أقنعهم بفكره وأنشأوا تنظيمًا سموه "جماعة المسلمين" في إشارة أنهم هم فقط المسلمون وباقي المجتمع خارج الإسلام وبدأوا في دعوة الناس للدخول في هذا التنظيم.

وقد كانت فكرة شكري مصطفى التنظيمية كالآتي: "المجتمع المصري مجتمع كافر بأعيانه فيريد أن يهاجر من هذا المجتمع ويذهب في الصحاري لينشئ نوعًا من أنواع الدولة"، في هذه الدولة بايع نفسه أميرًا للمؤمنين وعين ولاة على المحافظات المصرية، شعر بهم الأمن المصري في ١٩٧٣م فقبض عليهم وقدمهم للمحاكمة، لكن في ١٩٧٤م أصدر السادات عفوًا عامًا عنهم جميعًا وعمن تبقى من الإخوان المسلمين بمناسبة ما تحقق في حرب أكتوبر ١٩٧٣م.

يُلاحظ أن الدول المعادية للفكر الإسلامي تتسامح عادةً مع الفكر التكفيري، لأنها تعلم أنه خنجر في ظهر الحركات الإسلامية.

عندما خرج شكري مصطفى من السجن للمرة الثانية انتقل إلى محافظة المنيا في الجبال هناك، وقرر أن ينشئ دولته في هذه المنطقة، شعر به الأمن المصري بعد ذلك بسنوات وكان عدد

تنظيمه قد كثر في هذه الفترة فقام الأمن بالقبض على الكثير من جماعته، وهنا قام شكري مصطفى بإرسال مفرزة من جنوده واغتالوا الذهبي وزير الأوقاف المصري. مؤكد حدث نوع من تسهيل هذا الاغتيال من قبل الدولة، لا نقول إن الدولة تآمرت معهم، ولكن تقوم بتخفيف الحراسة على من ترى أن اغتيالهم سيكون فيه فائدة لصالحها بوسيلة أو بأخرى، كما سنبين –بإذن الله– في قضية نجيب محفوظ في الجيل الثالث.

الشاهد أنه بعد أن أُغتيل الذهبي اشتد طلب الأمن لشكري مصطفى فخرج بتصريحات يقول فيها "إنه متأكد تمامًا أنه لن يقتل ولن يقبض عليه لأنه هو جماعة المسلمين، والمسلمون سيظلون ظاهرين إلى قيام الساعة" فبالتالي لن يُقضى عليه الآن أبدًا، بعد هذا التصريح بأسبوع قبض عليه وقدم للمحاكمة، وفي ١٩٧٨م قُتل شكري مصطفى شنقًا مع أربعة من أفراد تنظيمه بعد محاكمته على قتل الذهبي وزير الأوقاف، أحدثت هذه المسألة تشويهًا كبيرًا للحركات الإسلامية داخل المجتمع المصري.

مهم أن ننوه أن شكري مصطفى عندما نتحدث عنه فهو خارج حديثنا في مسألة الطريق إلى الخلافة، لا نعتبر جماعات الخوارج جزءًا من الطريق إلى الخلافة، لكنهم كما قلنا خنجراً في ظهر الحركات الإسلامية وسنستفيض في حديثنا عنه بإذن الله تعالى في الجيل الخامس، أما رائد الجيل الثاني أو عند التحقيق أول من أعاد فكرة التنظيمات الجهادية مرة أخرى إلى الساحة المصرية بعد خمود الإخوان هو الشيخ صالح سرية وتنظيمه تنظيم "شباب محمد" الذي سمي بعد ذلك بتنظيم الفنية العسكرية.

وقبل الحديث عن الشيخ صالح وتنظيمه نشير إلى أن الإخوان خرجوا من السجون وقد انقسموا ثلاثة أقسام، القسم الأول: قرر ترك طريق الجهاد استثقل هذا الطريق بعد المحنتين الشديدتين اللتين مروا بهما، وهذا هو القسم الغالب في جماعة الإخوان المسلمين.

القسم الثاني: قسم تيار الغلو الذي خرج مطرودًا من جماعة الإخوان المسلمين على رأسه

شكري مصطفى، وهذا القسم لا يدخل في حديثنا، بل هو خنجر –كما أسلفنا– في ظهر الحركات الجهادية.

القسم الثالث: القسم الذي قرر الاستمرار في طريق الجهاد، سُمي هذا القسم بالتيار القطبي، جزء منه ظل داخل جماعة الإخوان المسلمين وجزء ترك جماعة الإخوان المسلمين، التيار القطبي نسبة إلى سيد قطب وإلى كتابه معالم في الطريق تحديدًا.

كتاب "دعاة لا قضاة" الذي ألفه حسن الهضيبي بمعونة ابنه مأمون الهضيبي –والذي سيصبح المرشد السادس للإخوان بعد ذلك–، هذا الكتاب كان يرد أيضًا على الفهم الخاطئ لكتاب "معالم في طريق" والذي ممكن أن يُفهم منه تكفير المجتمع، حسن الهضيبي كان من الذين أقروا كتاب معالم في الطريق وهو الذي اعتمده ليكون مرشدًا فكريًا للتنظيم في ١٩٦٥م، لكن حدث فهم خاطئ للكتاب، فصحح هذا الفهم في كتاب "دعاة لا قضاة" لكن زاد عليه تمييع قضية الحاكمية كما أسلفنا.

عبد الكريم قاسم

عندما قرر الاخوان –كجماعة– ترك طريق الجهاد ظهرت شخصية في الساحة المصرية وهي شخصية الشيخ صالح سرية، الشيخ صالح سرية من مواليد مدينة حيفا في فلسطين سنة ١٩٣٦م، هاجر إلى العراق في ١٩٤٨م، انضم هناك إلى جماعة الإخوان المسلمين، ثم التحق بكلية الشريعة أو كلية التربية، المصادر مختلفة لا تحسم هذه المسألة لكن على الأغلب التحق بكلية التربية وذلك لأنه سيحضر الدكتوراه بعد ذلك في مادة التربية، وبصفته عضوًا في جماعة الإخوان المسلمين في العراق شارك في الانقلاب الذي قام به عبدالكريم قاسم (الذي كان أحد قادة الجيش العراقي) سنة ١٩٥٨م على نظام الحكم هناك مشاركةً مع الإخوان المسلمين، لكن عبدالكريم قاسم فعل كما فعل عبدالناصر وخدع الإخوان المسلمين ولم يحكّم الشريعة الإسلامية، ولم يشركهم معه في السلطة.

فكر صالح سرية هو ومجموعة من ضباط الجيش باغتيال عبد الكريم قاسم، ولكن الشيخ عبد الكريم زيدان أمير جماعة الإخوان المسلمين في العراق [وهو علم مشهور له كتاب مشهور في أصول الفقه] منعهم من ذلك، هنا هاجر الشيخ صالح سرية من العراق وبعد سلسلة من الهجرات المختلفة استقر به المقام في مصر في ١٩٧١م ، وتقدم للحصول على رسالة الدكتوراه في التربية من جامعة عين شمس في القاهرة وحصل عليها بالفعل في ١٩٧٢م.

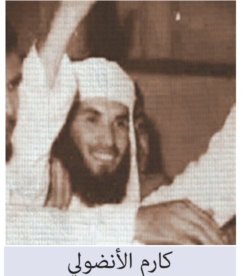
الشيخ عبد الكريم زيدان

عندما وصل صالح سرية إلى مصر كان في ذهنه فكرة إعادة الجهاد مرةً أخرى إلى مصر والخروج على الحاكم الكافر الذي يحكم هذه البلاد –السادات في هذا الوقت–.

اتصل بجماعة الإخوان المسلمين، وكانوا قد خرجوا من السجن لتوهم وقرروا كمجموع ترك العمل الجهادي، لكنهم لم يبخلوا عليه بالمعونة والمساعدة خاصةً الأخت زينب الغزالي على كل ما تعرضت له من تعذيب رهيب تحدثت عنه في كتابها الشهير "أيام من حياتي"، وقد ساعدته في الوصول إلى المرشد العام للإخوان حسن الهضيبي، الهضيبي لم يقبل أن يشترك الإخوان مع صالح سرية في فكرته لكنه بارك فكرته، والراجح أنه تعامل معه كما تعامل مع الضباط الاحرار من قبل عام ١٩٥٢م، "قم أنت بهذا العمل فإذا نجح سنؤيدك ونقف في ظهرك وإن لم ينجح فجماعة الإخوان المسلمين غير مستعدة لدخول محنة جديدة أخرى"، وصّلته زينب الغزالي بالكثير من مجموعات الإخوان التي مازالت مصرة على الفكر الجهادي، كان من هذه المجموعات مجموعة طلال الأنصاري في الإسكندرية و ومجموعة يحيى هاشم وغيرهم كثير.

بدأ صالح سرية في تأسيس تنظيم جديد سماه "شباب محمد" هذا التنظيم يتبنى العمل الجهادي فقط، وكان هو التنظيم الوحيد الموجود في الساحة، ولهذا قلنا إن هذا هو جيل التنظيم الجهادي الواحد، كان صالح سرية عنده فكرة تنظيمية وهي أنه يريد أن يصل بعدد التنظيم إلى عدد أهل بدر، ثلاث مئة وسبعة عشر أو ثلاث مئة وتسعة عشر وبعدها يشرع في الخروج على الحاكم.

الشيخ حسن البنا كان يريد اثني عشر ألف مقاتل والشيخ سيد قطب أيضًا اثني عشر ألف مقاتل اعتمادًا على حديث الرسول ﷺ "لن يغلب اثنا عشر ألفًا من قلة" لكن الشيخ صالح وضع في ذهنه عدد أهل بدر، ولا نعرف تحديدًا مستنده الشرعي في هذا العدد إلا إنه في الغالب من باب التفاؤل، وفي نفس الوقت صعوبة الحصول أو الوصول إلى عدد اثني عشر ألفًا، صحيح أن في هذا الوقت كان عند الإخوان عدد كبير من الأفراد لكنهم لن ينضموا للشيخ صالح ، أيضًا قد لا يوجد فيهم الشروط النخبوية المطلوبة في الاثني عشر ألفًا.



كارم الأنضولي

تنظيم الشيخ صالح كان به كادر عسكري قوي وهو كارم الأناضولي، الذي كان طالبًا في الفرقة النهائية في كلية الفنية العسكرية وكان تحت قيادته العديد من طلبة الفنية العسكرية، هذا بالإضافة لعدد كبير –نسبيًا- من الإخوان أصحاب الفكر الجهادي المتحمسين الذين انضموا للتنظيم.

هؤلاء جميعًا استعجلوا الشيخ صالح بل قاموا بنوع من المؤامرة –كما يصف ذلك طلال الأنصاري في مذكراته وهي من أهم المصادر التي نعتمد عليها في تاريخ الفنية العسكرية، مذكرات طلال الأنصاري بعنوان "صفحات مجهولة من تاريخ الحركات الإسلامية المعاصرة"- الشاهد تآمروا على صالح سرية ليستعجلوه فلا ينتظر إلى أن يصل العدد إلى عدد أهل البدر.

حتى هذا العدد –القليل- حماسة الشباب لم تتحمل انتظاره، ونذكّر أن نفس الأمر حدث مع الشيخ حسن البنا حينما كانوا يستعجلونه لكن الشيخ رفض الانصياع إلى هذه الضغوطات، أما الشيخ صالح سرية فضغطوا عليه وعيروه ببناته، هكذا يقول طلال الأنصاري بمذكراته "قلنا له أنت تخاف على بناتك ولهذا لا تريد أن تبدأ بالعمل" –كان

عنده رحمه الله ست بنات-، فرضخ لضغوطهم وقرر استعجال العمل، وكانت الخطة كالآتي: وصل إليهم خبر من الصحف أن السادات سيلقي خطابًا في الاتحاد الاشتراكي [هو اشتراكي لكن يتبنى الفكر الغربي!!، كما قلنا هناك كثير من عدم الأدلجة وافتقار المنهجية، هي فقط أفكار براغماتية تثور في عقل الحاكم ليحقق مآربه فيحكم بها البلاد بأي شكل كان] بتاريخ ١٨ \ ٤ \ ١٩٧٤م، فقرر صالح سرية أن يقبض على السادات أثناء الخطاب لأن الاتحاد الاشتراكي كان قريبًا -نوعًا ما- من كلية الفنية العسكرية التي بها عدد كبير من عناصر تنظيم شباب محمد، ووضع خطة بمساعدة قادة تنظيمه للاستيلاء على الحكم في هذا التاريخ.

كانت تفاصيل الخطة كالآتي: في فجر ١٨\ ٤ \ ١٩٧٤م يُستولى على كلية الفنية العسكرية بالاستعانة بالطلبة الموجودين داخلها وبعض المدنيين المنتمين للتنظيم من خارج الكلية، عندما يُستولى على الكلية يُستولى على الأسلحة الموجودة فيها، ومن ضمن هذه الأسلحة أكثر من أربعين دبابة، ثم يُنطلق بهذه الأسلحة إلى مبنى الاتحاد الاشتراكي وتقوم مجموعات من التنظيم تحت قيادة صالح سرية باقتحام الاتحاد الاشتراكي بعد تحييد الحرس، أما كيفية تحييد الحرس فهي أنهم سيرتبكون -هكذا يفكرون- من هذا الدخول المفاجئ ونتيجة الارتباك لن يطلقوا النار، وسيكون الاقتحام بأربع مجموعات مجموعتان تطوقان القاعة من اليمين واليسار للسيطرة عليها وعلى الحرس، ومجوعتان تتقدمان مع صالح سرية نحو رئيس الجمهورية، ويقبض الشيخ صالح ومن معه من رجال على رئيس الجمهورية السادات ويجبرونه على إعلان استقالته، ويعلن صالح سرية نفسه رئيسًا لمصر، ويعلن تشكيل حكومة جديدة، فإذا رفض رئيس الجمهورية أن يعلن بيان الاستقالة، يقوم صالح سرية بإحضار وزير الخارجية أو وزير الإعلام ويجبره على إعلان تنحية رئيس الجمهورية ثم يعلن صالح سرية نفسه رئيسًا للجمهورية.

ومن أجل أن يضمنوا السيطرة على كلية الفنية العسكرية قاموا بإرسال حلوى فيها منوم إلى حرس الكلية عن طريق أحد طلاب الكلية، لماذا وضعوا منومًا ولم يضعوا سمًا؟ لعل السبب أنهم يعتبرون تقديم الطعام نوعًا من الأمان ولا يجوز خفر الأمان. لكن هذا المنوم لم يؤثر في حرس الكلية وأدى لمأساة كبيرة سنذكرها لاحقًا، لكن نشير الآن لسبب عدم تأثير المنوم في حرس الكلية وذلك لأن هذا الأمر تكرر بعد ذلك في واقعة اغتيال السادات سنة ١٩٨١م، وتكرر معي شخصيًا أثناء الاعتقال حين حاولت الهروب باستخدام المنوم للحرس، العلة باختصار تدور على أمرين:

الأمر الأول: أن هؤلاء الحرس أغلبهم يتعاطون المواد المخدرة فلا تؤثر فيهم جرعة المنوم المعطاة لهم، يحتاجون إلى جرعة مضاعفة، والأمر الثاني: أن أغلب الأدوية الموجودة في البلدان النامية يحدث نوع من الغش في مكوناتها يؤدي هذا الغش إلى أن تفقد الكثير من فاعلياتها، أحد هاتين العلتين أو كلتاهما مجتمعتان أديا في النهاية إلى عدم نوم هؤلاء الجنود، وعدم نوم الجنود بعد ذلك في ١٩٨١م، وعدم نوم الجنود الذين كانوا في حراستي عندما كنت معتقلًا.

ذكرنا –قبل– كيف تآمر تنظيم شباب محمد ليستعجلوا الشيخ صالح للخروج ضد النظام الحاكم، وهي ظاهرة مكررة عند الشباب، الشيخ صالح سرية كان مقررًا ألا يبدأ العمل إلا في ١٩٧٥م، لكنهم استعجلوه فبدأ العمل في ١٨\٤\١٩٧٤م، بالخطة التي وضعها، هذه الخطة –بلا شك– تتسم بالسذاجة بسبب أن أغلب واضعيها ليسوا من العسكريين، بناء الخطة على خطوات مركبة يعتمد بعضها على بعضها يؤدي إلى حتمية أن فشل أي جزء من الخطة فشل للخطة كاملة، أيضًا كان لا يوجد فيها خط رجعة أو خطة انسحاب أو خطة بديلة حقيقية وهذه من أهم عناصر أي خطة ناجحة.

بعد تحديد ساعة الصفر بسويعات قليلة – حُددت ساعة الصفر قبل البدء بيوم — ذهب

اثنان من أعضاء التنظيم ليبلغوا الدولة المصرية بالأمر، أحدهم ذهب إلى أمن الدولة والآخر ذهب إلى أمن رئاسة الجمهورية، وأبلغوهم بتفاصيل الخطة، هؤلاء لم يذهبوا لأنهم مخبرون تابعون لهذه الجهات، بل ذهبوا خوفًا ورعبًا، فوجئوا بهذه الطريقة في التخطيط فخشوا على أنفسهم، بل برر أحدهم أن هذا خشية على باقي التنظيم من هذه الطريقة الجنونية، لأن بدء العمل سيكون عن طريق السكاكين أي أن الذين سيهجمون على كلية الفنية العسكرية سيتسلحون بالسكاكين ثم بعد السيطرة على الكلية يتسلحون بالسلاح الموجود في الكلية، لكن الأمن لم يعر اهتمامًا لهذين البلاغين ظنًا أن هذا كلام جنوني لا يفكر فيه عاقل، لكن ربما يكون قد أخذ بعض الاحتياطات في الكلية وإن كان لم يأخذ الأمر على محمل الجد، ربما رفع الجاهزية فقط داخل الكلية.

كما ذكرنا فشلت مرحلة تخدير الحرس، لم يدر عناصر التنظيم المدنيون بهذا الفشل واقتحموا مبنى الكلية مسلحين بالسكاكين، وحدث اشتباك بينهم وبين حرس الكلية وشارك معهم طلبة الكلية المنضمون للتنظيم، أدى هذا الاشتباك إلى قتل ١٨ من المجاهدين والحرس إجمالًا، تقريبًا ١٠ من المجاهدين و٨ من حرس الكلية، هذه تقديرات الداخلية المصرية، قد تكون هذه التقديرات قللت العدد المقتول من الحرس، ووجد ٦٨ إصابة وقُبض على الشيخ صالح سرية وأغلب التنظيم.

لابد أن نشير أن الشيخ صالح سرية كان قد وضع كتابًا فكريًا للتنظيم سماه "رسالة الإيمان" تحدث فيه عن تكفير الحاكم المستبدل، وكما قلنا هذه مسألة محورية للغاية، أيضًا تحدث عن جواز دخول البرلمانات من أجل تحكيم الشريعة، هذه الفقرة تحديدًا في رسالة الإيمان ربما كانت سببًا في عدم نشر رسالته بعد ذلك في الحركات الجهادية، كانت هذه الفقرة هي الصلة



تنظيم الفنية العسكرية

الفكرية الوحيدة الواصلة بين هذا التنظيم الجهادي وبين جماعة الإخوان المسلمين، بعد ذلك نبذت الجماعات الجهادية هذه الفكرة تمامًا، لكن الشاهد أن هذا الكتاب كان الكتاب الفكري لجماعة تنظيم الفنية العسكرية.

كان يوجد العديد من الكوادر داخل هذا التنظيم منهم طلال الأنصاري وهو ابن شاعر سكندري مشهور ومنهم كارم الأناضولي، كارم الأناضولي أثناء محاكمة الفنية العسكرية ألقى خطابًا شهيرًا، سُجل هذا الخطاب وانتشر وكان من روافد أفكار الحركات الجهادية، كان خطابًا حماسيًا للغاية، أيضًا كان من أعضاء تنظيم الفنية العسكرية حسن الهلّاوي الذي اشتهر بعد ذلك بما أطلق عليه الأمن اسم "التوبة" أي التوبة من العمل للدين "والمراجعات "وقد تولى كبر هذا الأمر فترة من الفترات، أيضًا من أعضاء تنظيم الفنية العسكرية الشيخ محمد شاكر الشريف وهو متخصص في السياسة الشرعية له كتاب ألفه بعد أحداث الفنية العسكرية بعنوان "إن الله هو الحكم" يتحدث فيه عن مسألة الحاكمية وهو من أفضل ما كُتب في المسألة.

قبل أن تنتهي محاكمة الشيخ صالح وتنظيمه كان أحد أعضاء التنظيم واسمه يحيى هاشم لم يقبض عليه عندما قبض على أغلب أعضاء التنظيم، وهذا التنظيم كان تنظيمًا عنقوديًا مثل التنظيم الأول والثاني للإخوان ولم تغن عنهم العنقودية شيئًا، كما ذكرنا أن التعذيب الشديد يؤدي إلى القبض على رأس التنظيم العنقودي وهو بالتالي يأتي بباقي التنظيم أيضًا، وتكرر في هذا التنظيم أيضًا قصة هنداوي دوير وعبد المجيد وعلي عشماوي وذلك في صورة الاثنين الذين ذهبا للتبليغ عن التنظيم وأدى هذا إلى كشف التنظيم، سواء قبل العمل، ثم بعد العمل أيضًا كُشف علي يديهما باقي التنظيم، لكن استطاع الشيخ يحيى هاشم الإفلات من قبضة الأمن وذهب إلى محافظة المنيا حيث يوجد بعض الجبال، وقرر أن يبدأ حرب عصابات هناك، قام الأمن بمداهمة المنطقة –التي لا تسمح حقيقة بهذا النوع

من الحروب- واستطاع قتله رحمه الله، وفي عام ١٩٧٦م صدر الحكم بالقتل على الشيخ صالح سرية وعلى طلال الأنصاري وعلى الشيخ كارم الأناضولي ثم خُفف الحكم عن طلال الأنصاري بسبب تدخل والده الشاعر الكبير ونُفذ الحكم في الشيخ صالح والشيخ كارم.



حادثة الفنية العسكرية على سذاجة الفكرة كانت من أهم الروافد الفكرية لهذا الجيل جيل التنظيم الجهادي الواحد، وكانت أساسًا في تكوين التنظيم الجهادي الجديد الذي سيحمل هذه الراية في ١٩٨١م، إرهاصات التنظيم الجهادي الجديد تجدها في كلام الشيخ أيمن الظواهري في كتابه "فرسان تحت راية النبي ﷺ" الذي بين فيه كيف تأثر بشخصية صالح سرية الكاريزمية والذي التقاه مرة واحدة وذكر أنه كانت له كاريزما شديدة، وقد تحدث عنه كثيرًا في كتابه هذا، وتحدث عنه كثيرون ممن عاشره كما تحدثوا عن رسالة الإيمان وعن خطبة كارم الأناضولي.

في هذا التوقيت حدثت بعض التطورات السياسية داخل القطر المصري وخارجه ساهمت في تأسيس التنظيم الجهادي الجديد، من هذه التطورات قيام السادات بتوقيع معاهدة "كامب ديفيد" مع اليهود بإشراف أمريكا والتي اعُتبرت خيانة للقضية المصرية والعربية والإسلامية سواءً داخل الجيش حيث حصل سخط كبير أو في المجتمع المصري ككل أو في العالم العربي والإسلامي كله، أيضًا في ١٩٧٩م حدثت الثورة الإيرانية الثورة الإسلامية الإيرانية، هذه الثورة قام بها الروافض فلهذا لا نعتبرها جزءًا من الطريق إلى الخلافة، لكن هذه الثورة كانت مؤثرة على عموم العالم الإسلامي وبدأ الجميع يفكر:

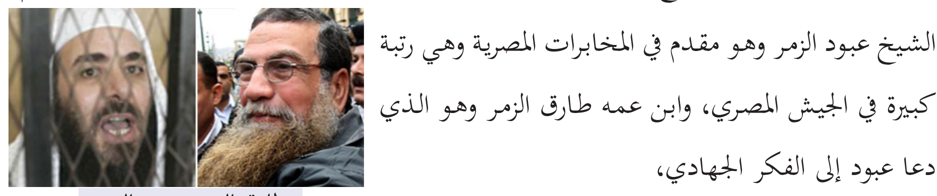
لماذا لا نقوم بثورة مثل هذه الثورة الناجحة ونحكّم الإسلام السني؟

أيضًا قام السادات بإهانة العلماء والإعلان عن علمانية الدولة في خطاباته المرئية فقال "لا سياسة

في الدين ولا دين في السياسة" وكرر هذه الجملة كثيرًا وهذا ساعد في الحكم بتكفيره، ومن أشهر من حكم بتكفيره في هذا التوقيت الشيخ ابن باز مفتي المملكة العربية السعودية -رحمه الله -، حين ذهب له وفد من الجماعات الجهادية داخل مصر واستفتوه في حكم السادات، هذا الكلام وثقه لي الشيخ محمد الظواهري أسأل الله ﷿ أن يفرج عنه، وثقه لي أيضًا الشيخ أبو الحارث المصري. استفتوه في أقوال السادات فقال لهم "قائل هذا الكلام كافر"، أيضًا ممن كفر السادات الشيخ الدكتور عمر عبد الرحمن، والشيخ عمر من مواليد محافظة الدقهلية بمصر سنة ١٩٣٨م، فقد بصره بعد عشرة أشهر من ولادته، التحق بالأزهر الشريف وتخرج منه في ١٩٦٥م، عُيّن في الأوقاف وأكمل دراسته في الأزهر وحصل على الماجستير والدكتوراه، كانت رسالته في الدكتوراه بعنوان "تعامل القرآن مع خصومه في ضوء سورة التوبة" واضح أن هذا موضوع جهادي بامتياز، الشيخ الدكتور عمر عبد الرحمن في ١٩٧٠م حين مات عبد الناصر صعد على المنبر وأفتى بعدم جواز الصلاة عليه لأنه كافر مرتد بسبب عدم تحكيمه للشريعة، وكان هذا سببًا في اعتقاله فترة وجيزة، ثم خرج بعد ذلك من السجن بعد تصالح السادات مع الإسلاميين -كما سبق وذكرنا-، أعير الدكتور بعد ذلك إلى السعودية ومكث فيها بعض الوقت ثم رجع إلى مصر ليعين مدرسًا في كلية أصول الدين، هذ السيرة لفتت إليه نظر المجموعات الجهادية.

المجموعات الجهادية في هذا الوقت كانت تنقسم إلى قسمين قسم في صعيد مصر الذي يبدأ من محافظة الجيزة إلى أسوان، في هذا القسم كانت تنضوي المجموعات ذات الفكر الجهادي داخل اتحادات الطلبة في الجامعات تحت مسمى "الجماعة الإسلامية"، وقسم في الوجه البحري الذي يبدأ من القاهرة إلى الإسكندرية وكانت المجموعات الجهادية فيه تعمل تحت مسمى جماعات "الجهاد" في هذا الوقت ظهر شخص يسمى محمد عبد السلام فرج سعى إلى توحيد هذه المجموعات تحت مظلة واحدة.

الشيخ محمد عبد السلام فرج من مواليد محافظة البحيرة سنة ١٩٤٢م، خريج كلية هندسة، ألف كتابًا سماه "الجهاد الفريضة الغائبة" هذا الكتاب صغير ٣٢ صفحة تقريبًا، لكنه عظيم الفائدة، تحدث فيه عن مسألة الحاكمية وبين كفر الحاكم المستبدل ووجوب الخروج عليه وأن الجهاد هو السبيل الوحيد لتحكيم شرع الله ﷻ، سعى لجعل هذا الكتاب المظلة الفكرية التي تجتمع تحتها التنظيمات الجهادية في جميع القطر المصري، كان أبرز الكوادر الموجودة في الوجه البحري هم:


طارق الزمر وعيود الزمر

الشيخ عبود الزمر وهو مقدم في المخابرات المصرية وهي رتبة كبيرة في الجيش المصري، وابن عمه طارق الزمر وهو الذي دعا عبود إلى الفكر الجهادي،

أيضًا كان يوجد الشيخ صلاح جاهين وغيره من كوادر الوجه البحري، وكان من كوادر وجه قبلي الشيخ عاصم عبد الماجد والشيخ عصام دربالة وللمفارقة كانا من مؤيدي الفكر الناصري وكان لهما نشاط كبير في هذا الاتجاه ثم تحولا بعد ذلك إلى الفكر الجهادي الإسلامي، كان أيضًا موجود ناجح إبراهيم وكرم زهدي والشيخ أسامة حافظ وفؤاد الدواليبي وغيرهم كثير، كل هؤلاء اجتمعوا في مجلس شورى واحد ترأسه المهندس محمد عبد السلام فرج لكنهم أرادوا أن يكون هناك عالم يقود هذا التنظيم يكون أميرًا لهذا التنظيم، فكروا في عدة بدائل منها الشيخ رفاعي سرور والشيخ المحلاوي والشيخ حافظ سلامة والدكتور عمر عبد الرحمن، وبالطبع رجحت كفة الدكتور عمر عبد الرحمن لأنه دكتور جامعي في الأزهر ويجهر بالحق كثيرًا ويتبنى الفكر الجهادي، أيضًا في رسالته للدكتوراه التي ذكرناها من قبل تبنى فكرة تكفير الحاكم المستبدل لشرع الله ﷻ، بالتوازي مع هذا التنظيم كان يوجد تنظيم آخر داخل الجيش لمصري يقوده الرائد عصام القمري في سلاح المدرعات، الرائد عصام القمري كان له فكرة مختلفة نوعًا ما، كان يفكر في الصعود والترقي في مناصب الجيش المصري والتغلغل داخل الجيش إلى أن تسنح له الفرصة للقيام بانقلاب عسكري ولو أخذ الأمر عشر سنوات أو أكثر، لكن تنظيمه كان له شق مدني،

الشق المدني استعجل الشق العسكري مطالبًا له أن يتدرب تدريبًا عسكريًا، يريدون أن يتدربوا عسكريًا الآن ولو كان تنفيذ الانقلاب سيتأخر سنوات، وهناك لوم من الشق العسكري على الشق المدني أن هذا الاستعجال أدى إلى كشف التنظيم بعد ذلك، حكى لي هذا الأمر بعض أعضاء هذا التنظيم من العسكريين، الشاهد أن الشق العسكري أعطى بعض الكتب والخرائط للشق المدني، ونتيجة لعدم احتراز المدنيين قبض الأمن المصري على بعض هذه الكتب وبعض الخرائط، الشخص الذي قُبض عليه ومعه الحقيبة التي تحتوي على الخرائط والكتب هرب وترك الحقيبة، لكن الأمن المصري عرف من الكتب والخرائط أن في الجيش تنظيمًا يسعى لقلب نظام الحكم وعرف أن صاحب هذه الكتب هو فلان في الجيش المصري في صفوف سلاح المدرعات، فلان هذا غير الرائد عصام القمري وطلب مني ألا أذكر اسمه وهو شاهد عيان في كثير من الوقائع التي سأذكرها، وقد قبض عليه على إثر ذلك في الشهر الثالث من سنة ١٩٨١م، عندما قبض عليه كان التعذيب في المخابرات المصرية ليس كبيرًا كما كان في الماضي على عهد عبد الناصر، نتيجة لقيام السادات بمعاقبة من قام بتعذيب الإخوان على عهد عبد الناصر، فأُخذ قرار في الجيش المصري أن لا يُلجأ إلى التعذيب إلا في حالات نادرة وبدرجة قليلة نسبيًا .

المهم أنهم لم يصلو عن طريق الأخ الذي قبض عليه إلى الشيخ عصام لكنهم سعوا بتحريات مختلفة إلى أن وصلوا إليه عبر هذه التحريات، حيث وُجد على الخرائط عبارة "عدو" مكتوبة أمام مقر الحرس الجمهوري، فقارنوا هذا الخط بخطوط رفاق الأخ الذي قبض عليه فوجدوه يتطابق مع خط عصام القمري، فقرروا القبض على عصام لكن كما ذكرنا كان هناك سخط شديد في الجيش المصري ضد السادات فقام أحد ضباط المخابرات الكبار –وهو غير معروف للمخابرات إلى هذه اللحظة– بالتواصل مع الأخ الذي قبض عليه وقال له "أريد أن ينجو عصام من القبض عليه فأعطني رسالة أرسلها له ليهرب"، وبالفعل أعطاه رسالة وأوصل هذه الرسالة إلى الشيخ عصام فقام بالهروب بعد أن كُشفت الكثير من الخيوط الخاصة بهذا التنظيم، لكنه سيقبض عليه بعد ذلك عند

اغتيال السادات، ما يهمنا هنا أنه بوسيلة أو بأخرى التحق عصام القمري وتنظيمه بالتنظيم الكبير الذي كان بقيادة الدكتور عمر عبد الرحمن، لكن في هذه الفترة بدأ الأمن يشعر بوجود تنظيم كبير يسعى لقلب نظام الحكم وبدأ يسعى حثيثًا للقبض على خيوط هذا التنظيم، كان الشيخ عبود الزمر بصفته أعلى رتبة عسكرية في هذا التنظيم وضع خطة للخروج على السادات تنفذ سنة ١٩٨٥م أي بعد أربع سنوات من كشف تنظيم عصام القمري، كان يريد في هذه الخطة أن يتم في نهايتها الاستيلاء على الحكم وتحكيم الشريعة الإسلامية، لكن نتيجة لشعور الأمن بوجود تنظيم جهادي يسعى ويفكر بهذه الطريقة وشروع الأمن في القبض على كثير من المنتمين لهذا التنظيم، بدأت قيادات التنظيم التفكير بطريقة أخرى، قالوا "لو انتظرنا لهذا الوقت –خطة المقدم عبود الزمر– قد يقبض علينا جميعًا كما حدث مع تنظيم ١٩٦٥م مع الشيخ سيد قطب ونتعرض للتعذيب ونتعرض للقتل ولا نستفيد شيئًا في النهاية" فأرادوا استعجال العمل، لم تظهر هنا مسألة العدد الذي نبدأ بعده الخروج كما في التنظيمات السابقة، لأن التنظيم لم يأخذ فرصته بعد في التكوين والتأصيل الفكري، صادف هذا الوقت في الشهر العاشر سنة ١٩٨١م بأن الدولة كانت تحتفل في السادس من هذا الشهر كل سنة بما تسميه انتصارات حرب أكتوبر وذلك عن طريق تنظيم عرض عسكري، وطُلب من الملازم خالد الاسلامبولي حضور هذا العرض، الملازم خالد كان عضوًا في تنظيم الجهاد ووجد هذه فرصة كبيرة لتنفيذ فتوى الشيخ ابن باز رحمه الله التي ذكرناها بكفر

الشيخ خالد الإسلامبولي

هذا الطاغوت، وفتوى الدكتور عمر عبد الرحمن، وأيضًا إنقاذ التنظيم من المصير الذي ينتظره بعد كشف أمره، فأخبر التنظيم أنه سيسعى لقتل السادات في هذا العرض مهما كانت العواقب، وجد التنظيم فعلًا هذه فرصة جيدة ليبدؤوا العمل ضد السادات قبل أن يبدأ هو ضدهم، كان السادات أيضًا قبل ذلك بشهر قد سعى في اعتقال عدد كبير من معارضيه أغلبهم كان من الإسلاميين، وكان موضوع على قائمة الاعتقال الدكتور عمر عبد الرحمن لكنه استطاع الفرار، اعتقل السادات

أكثر من ثلاثة آلاف رمز من رموز الحركة الإسلامية والمعارضة عمومًا، في المحصلة أدى الأمر إلى شعور التنظيم الجهادي بأن نهايته قد اقتربت في أي لحظة من اللحظات، فوضع خطة لاغتيال السادات والسيطرة على الدولة.

اغتيال السادات لم يكن هدف التنظيم الأكبر، بل كما يرى الشيخ سيد قطب عن عبد الناصر "اغتيال عبد الناصر هدف صغير حقير نحن نريد أن تحكم البلاد بشرع الله ﷻ"، نفس الشيء هذا التنظيم قال "إن اغتيال السادات هدف صغير لم نسع إليه إلا خوفًا من اكتشاف التنظيم والقضاء عليه دون إحداث أي نكاية، ومع ذلك لن يكون العمل على اغتيال السادات فقط بل سنسعى للسيطرة على جميع البلاد والحكم بشرع الله "، فوضعوا خطة من ثلاثة محاور:

المحور الأول: اغتيال السادات وبعد اغتياله يبدأ المحور الثاني: حيث تنطلق مجموعة إلى مبنى الإذاعة والتلفزيون وتسيطر على المبنى ويقوم الدكتور عمر عبد الرحمن بإلقاء خطاب يطلب من جموع الشعب النزول إلى الطرقات وتأييد الثورة الإسلامية التي قامت –ليحدث مثل ما حدث في الثورة الإيرانية –، المحور الثالث: –وهو أضعف محور وأكثر هذه المحاور سذاجة– يعتمد على أن تقوم مجموعة وجه قبلي (الصعيد) باحتلال محافظة أسيوط ثم الزحف من مدينة أسيوط إلى العاصمة القاهرة، وأقول هذا أكثر المحاور سذاجة لأن من يعرف الوضع في مصر يعرف جيدًا أن هذه الخطة مستحيلة، الدكتور جمال حمدان في كتابه "شخصية مصر" وهو كتاب رائع في الجغرافية السياسية المصرية يقول إن مصر هي محافظة القاهرة، سقوط أي محافظة غير محافظة القاهرة لا يمثل في الحقيقة تهديدًا كبيرًا لمحافظة القاهرة ولا يمهد تمهيدًا حقيقيًا للسيطرة على القطر المصري، فما بالنا إذا كان هناك عدد قليل من المجاهدين يسيطرون على محافظة أسيوط ثم يسعون للزحف عبر مئات كيلومترات إلى أن يصلوا إلى القاهرة [المسافة بين أسيوط والقاهرة أكثر من ٣٠٠ كيلومتر].

هذه كانت الخطة التي وضعت –بمحاورها الثلاثة– وهي خطة طوارئ كما قلنا.

نعود إلى الجزء الخاص بالشيخ خالد الاسلامبولي وهو ملازم في سلاح المدفعية –والذي كان الجزء

الأول من الخطة يعتمد عليه-، وقلنا إنه كان يريد اغتيال السادات في العرض العسكري لكن أي مشارك في العرض بسلاح كان ينزع من السلاح إبرة ضرب النار، وهي التي تقوم بالطرق على الطلقة لتنطلق، فإذا نُزعت إبرة ضرب النار من البندقية تتحول البندقية إلى قطعة حديد، فوُجد إشكال عند خالد في احضار إبرة ضرب النار، أيضًا فإن قيامه بهذا العمل بمفرده وسط الآلف من قوات الأمن والحرس والجيش كان أمرًا فوق إمكانياته بكثير ولا يتصوره عقل، ولهذا أحضر ثلاثة من رفاقه ليشتركوا في العمل معه وهم: الملازم أول احتياط المهندس عطا طايل، والرقيب المتطوع حسين عباس (وهو قناص)، والملازم أول سابقًا عبد الحميد عبد السلام، وكان قد صرف ثلاثة من الجنود الذين كانوا في سريته [أعطاهم إجازة] وأحضر هؤلاء الثلاثة مكانهم، وفّر المقدم عبود الزمر إبر ضرب النار التي يحتاجها الملازم خالد الاسلامبولي فزود نفسه ورفاقه بهذه الإبر، وزودهم أيضًا بالطلقات التي كانت تسحب من الجنود قبل العرض، كما أحضروا قنابل دفاعية ليستخدموها في العملية، القنابل الدفاعية تتميز بخروج كمية كبيرة من الشظايا القاتلة منها عكس القنابل الهجومية التي تكون ملساء ويخرج منها عدد شظايا أقل، موضوع القنابل هذا مهم في قصتنا لأن هذه القنابل كان من المفترض أن يؤتى بها من الصعيد، وكان من سيأتي بها هو الشيخ أسامة حافظ [الشيخ أسامة حافظ في وقتنا الحالي أمير الجماعة الإسلامية في مصر]، لكن وهو في طريقه إلى القاهرة قبض عليه وأخذت منه القنابل، ورغم القبض عليه لم يتحدث عن التنظيم ولا عما سيقوم به التنظيم، لكن نتيجة للقبض عليه ظنت مجموعة الصعيد أن عملية الاغتيال ألغيت وبالتالي قررت تأجيل العمل الذي ستقوم به للسيطرة على محافظة أسيوط [المحور الثالث من الخطة]، وبسبب عدم وجود وسائل تواصل آمنة في هذا التوقيت لم يبلغهم أحد أن الشيخ عبود قد وفر هذه القنابل للشيخ خالد رحمه الله.

قبل أن نبدأ في سرد تفاصيل واقعة اغتيال السادات وما سبقها وما لحقها نشير أنه يوجد روايات كثيرة مختلفة، ما أعتمده هو شهادات أكثر من خمسين من أعضاء التنظيم الذي قام بهذه الأعمال،

قابلتهم مقابلة شخصية أثناء فترة الاعتقال وفي غير ذلك من الفترات سواء في الجهاد الشامي أو في غيره، أيضًا أعتمد على بعض الكتب منها كتاب "خريف الغضب" لمحمد حسنين هيكل، محمد حسنين هيكل لا يوثق في صدقه، لكن الحق يقال إنه التزم درجة عالية من الصدق في تاريخ هذه المرحلة في كتابه المشار إليه، أيضًا هناك كتاب لسلوى العوا بعنوان "الجماعة الإسلامية المسلحة في مصر" هذا الكتاب به بعض المعلومات المفيدة وإن كان كثير منه استُقت معلوماته تحت ظروف الإكراه، حيث قامت سلوى العوا بإجراء مقابلات مع من قام بهذا العمل لكن مقابلاتها كانت في فترة مبادرة الجماعة الإسلامية وكان أغلب أعضائها في السجون، فكثير من هذه المعلومات مشوهة لكن يمكن للخبير استخلاص بعض الحقيقة منه، أيضًا من الكتب القيمة في هذا الصدد كتاب "محاكمة فرعون" لشوقي خالد.

الملازم خالد الاسلامبولي رحمه الله أعد العدة لاغتيال السادات، وكانت عدة بسيطة جدًا أربعة من الرجال فقط -هو وثلاثة معه- سيسعون لاغتيال السادات وسط كل جنوده وكل أمنه وكل ضباط الجيش وضباط الشرطة الذين يجتمعون في هذا العرض العسكري.

حضر السادات في يوم زينته دون أن يرتدي الدرع الواقي من الرصاص لأن هذا يؤثر على أناقته لدرجة أنه فُضح في تقرير الطب الشرعي بعد اغتياله الذي أشار أنه لم يكن يرتدي ملابس داخلية أيضًا حفاظًا على أناقته.

حدثت مجموعة من الكرامات للشيخ خالد الاسلامبولي:

قبل يوم العرض رأى الشيخ خالد النبي ﷺ في منامه يناوله سيفًا ويقول له "اقتل هذا الرجل وأشار بيده ناحيةً فتتبع خالد ببصره حيث الإشارة فإذا فيها السادات"، هذه الرواية حكاها لي الشيخ أبو الحارث المصري [الشيخ أسامة قاسم أحد كبار المشاركين في هذا العمل]، أيضًا الشيخ خالد في يوم العرض مر على أكثر من لجنة تفتيش قبل دخول العرض، لأنهم يضعون في ذهنهم أنه ربما يأتي أحد بإبرة ضرب نار -هذا أمر متوقع- ومع ذلك هذه اللجان لم تفتش سيارة الشيخ خالد

والذي كان في سيارة تجر مدفع عيار ١٣٠، فُتشت السيارة التي بعده والسيارة التي قبله ولم تفتش سيارته، كان خالد متوقعًا حدوث تفتيش لسيارته والتفتيش يكون في موقع بعيد عن المنصة التي يجلس فيها السادات بحوالي ٣٠٠ أو ٤٠٠ متر فكان مقررًا أنه في حالة التفتيش يقوم ورفاقه مباشرةً بإطلاق النار على السادات وقد كان معهم —كما أسلفنا– قناص اسمه حسين عباس والذي كان الأول على الجمهورية في القنص على مستوى القوات المسلحة لمدة ثلاث سنوات متتالية، فقرروا أن يطلقوا النار على السادات من هذه المسافة وقد يقتل أو لا يقتل لكن سيحصل نوع من الهرج يستفيد منه أفراد المحور الثاني والثالث من الخطة، أي أن احتمالية قتل السادات كانت بعيدة نوعًا ما في أذهانهم لكنهم سيحاولون ويبذلون وسعهم.

الشاهد أن الشيخ خالد تخطى أكثر من لجنة تفتيش إلى أن اقترب من السادات مسافة لا تتجاوز الثلاثين مترًا وهنا قام بإيقاف عربة المدفعية، سائق العربة لم يكن منتم للتنظيم فهدده الشيخ خالد فتوقفت العربة وقفز خالد من العربة هو واثنان من رفاقه عطا طايل وعبد الحميد عبد السلام، ووقف حسين عباس فوق العربة حاملًا بندقيته وصوبها من هذه المسافة باتجاه السادات، السادات أمام هذا الموقف قام واقفًا وأخذ يصيح بأعلى صوته "مش معقول! مش معقول!! مش معقول!!!" مذهولًا من هذا الموقف، وقوفه هذا جعله هدفًا نموذجيًا للقناص حسين عباس الذي صوب ناحيته البندقية لتخترق الطلقة – هي أول وآخر طلقة أطلقها حسين– السادات في رقبته وقتل



عملية اغتيال أنور السادات

على إثرها، أصيب السادات بطلقات أخرى من باقي المجموعة لكن هذه في الأغلب –كما قال تقرير الطب الشرعي– كانت الطلقة التي قتلته، هنا تقدم خالد ومعه بندقيته وقنابله الدفاعية، لك أن تتخيل أربعة رجال وسط الآلاف من جنود وضباط الجيش، ألقى خالد أكثر من قنبلة دون

أن ينزع مسمار الأمان فلم تنفجر القنابل لكنه فطن لهذا بعد ذلك وألقى قنبلتين تقريبًا بعد نزع مسمار الأمان منهما، انفجرتا داخل المنصة التي يقف بها السادات، وقام بإطلاق النار كذلك هو وعبدالحميد وعطا، وللأسف رغم أن من وضع خطة اغتيال السادات هو المقدم في المخابرات الحربية عبود الزمر والملازم في الجيش المصري في سلاح المدفعية خالد الاسلامبولي إلا أنهما لم يضعا في ذهنهما أبدًا أن يصلوا إلى هذا المكان وأن يقفزوا داخل المنصة، وثب الأربعة [حسين عباس بعد أن أطلق طلقته قفز من سيارة المدفعية وتقدم ناحية المنصة] داخل المنصة دون أن يصيب أيًا منهم أي أذى رغم كل الضباط والجنود والمخابرات والأمن الموجودين في المكان - طبعًا هؤلاء ليسوا جنود عقيدة هؤلاء الأربعة فقط هم جنود العقيدة — بل من أقدار الله ﷻ أنه عندما توقفت سيارة المدفعية كان مقدم الحفل يقرأ قول الله تعالى {إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى} فتوافق هذا الأمر مع قفز الأربعة من السيارة كأنه يتحدث عنهم وكأنها رسالة من الله لهم، وبالفعل تقدموا إلى أن سيطروا على المنصة وأخذوا يقتلون الموجودين في المنصة لكن دون ترتيب لأنهم لم يتوقعوا أبدًا أن يصلوا لهذا المكان، قتلوا أكثر من ثمانية كانوا مع السادات وبطبيعة الحال فإن أغلب كوادر الدولة المصرية كانوا موجودين في هذه المنصة منهم حسني مبارك نائب رئيس الجمهورية والذي سيكون طاغوت مصر التالي، وبالفعل أطلق الشيخ خالد النار على حسني مبارك لكن بسبب أن الرشاش الذي معه "رشاش بورسعيدي" وهو يختلف عن بندقية الكلاشينكوف —صناعة مصرية ومشهور بأعطاله الكثيرة– فإن الرشاش لم يطلق الرصاص رغم تصويبه على حسني مبارك أكثر من مرة، كما قلنا لم يكن عندهم خطة مَن يقتلون بعد السادات، إلى أن نفدت ذخيرتهم تمامًا، شعر أفراد المخابرات المختبئين تحت الكراسي –كل من في المنصة مخابرات وأمن وغيرهم اختبؤوا تحت الكراسي– بانتهاء الذخيرة فخرجوا وقاموا بإطلاق النار على خالد ورفاقه على الأرجل وفي الخصر، لم يقتلوهم لأنهم يريدون التحقيق معهم، لكن قدر الله أنه حين نفدت ذخيرة خالد أخذ رشاش حسين عباس وأمره أن ينصرف وبالفعل انصرف إلى بيته من وسط كل هذه الجموع دون أن يُقبض

عليه، ونُقل الشيخ خالد والشيخ عطا طايل والشيخ عبدالحميد عبدالسلام إلى المشفى، أثناء وجود الشيخ خالد في غرفة الإنعاش أتت إليه المخابرات -بعد أن راجعوا مقاطع التصوير حيث كان موجودًا التلفزيون الفرنسي والتلفزيون الايطالي والتلفزيون المصري صوروا عملية الاغتيال [والعملية أغلبها مصور ومنشور وموجود إلى الآن]- وقد رأوا أن المهاجمين أربعة، فأين الرابع؟ في المشفى ثلاثة فقط والرابع هرب وسط كل ما حدث وهذا عار كبير جدًا عليهم بالإضافة لعار عملية الاغتيال نفسها، فذهبوا إلى الشيخ خالد وقاموا بحيلة، قالوا له "يا خالد أنت مصاب ويوجد اثنان من رفاقك مصابون ولكن الرابع قتل ونريد أن نرسل جثته لأهله فأعلمنا من هو لنرسل هذه الجثة لأهله"، طبعًا الشيخ خالد توقع فعلًا أن حسين عباس قتل، فعندما سألوه أخبرهم أنه حسين عباس، مباشرةً ذهبت المخابرات إلى حسين عباس وألقت القبض عليه.

ماذا حدث في المحور الثاني والمحور الثالث من الخطة؟

المحور الثاني من الخطة يبدأ بعد اغتيال السادات مباشرة، كان يعتمد على تخدير مجموعة من الجنود يحرسون وزارة الدفاع حيث كان أحد أفراد جماعة الجهاد موجودًا مع هؤلاء الجنود وقدم لهم بعض الحلوى بها مخدر على أساس بعد أن يناموا يُستولى على اثني عشر بندقية منهم ثم تتوجه هذه المجموعة - المجموعة التي تستولي على البنادق- إلى مبنى الإذاعة والتلفزيون لتسيطر عليه ويلقي منه الدكتور عمر عبد الرحمن بيان الثورة الإسلامية، ولكن كما الحال في قصة الفنية العسكرية والشيخ صالح سرية لم يؤثر المخدر في هؤلاء الجنود فلم يناموا ولم تستطع هذه المجموعة الاستيلاء على هذا السلاح ولم تستطع بالتالي الاستيلاء على مبنى الاذاعة والتلفزيون، يظهر هنا سذاجة في هذه الخطة، وإن كانت أكثر تطورًا من خطة الفنية العسكرية لكن يظل الأمر في إطار السذاجة، والسذاجة هنا مبررة بسبب استعجالهم للقيام بالعمل للظروف التي تحدثنا عنها.

أما المحور الثالث من الخطة والذي كان على عاتق مجموعة الصعيد التي كان من المفترض أن تستولي على محافظة أسيوط، هذه المجموعة عندما قبض على الشيخ أسامة حافظ -كما تحدثنا سابقًا-

ظنوا أن الخطة قد ألغيت لكنهم فوجئوا من شاشات التلفاز بما حدث، فعلموا أن المحور الأول قد نجح لكنهم لم يكونوا مستعدين ليبدؤوا العمل، ثم بعد ذلك سمعوا بفشل الجزء الثاني من الخطة والقبض على كثير من المجاهدين فشعروا بالذنب لعدم مساندة إخوانهم، كما أنهم أدركوا أيضًا أنه سيقبض عليهم طال الأجل أو قصر، فقرروا أن يقوموا بالمحور الثالث من الخطة في اليوم الثامن من أكتوبر أي بعد يومين من اغتيال السادات، وهذا كان خطأ كبيرًا لأن العمل كان محكوم عليه بالفشل قطعًا، كانت الدولة قد استقرت وأُعلنت حالة الطوارئ، وكان هناك استعداد لأي عمل من هذا القبيل، بالفعل قاموا بالاستيلاء على محافظة أسيوط وقتل الكثير من جنود النظام المصري، لكن الجيش المصري أرسل مجموعات وأرسل الأمن كذلك وقاموا بالسيطرة على المحافظة منهم مرةً أخرى وقبضوا على هذه المجموعة جميعًا ونقلوهم بطائرات مروحية إلى القاهرة، هذه مجموعة الصعيد كان منهم ناجح إبراهيم وكرم زهري والشيخ عاصم والشيخ عصام وعلي الشريف إلى آخر ذلك من كوادر الجماعة الإسلامية المعروفة.

في هذا التوقيت كان الرائد عصام القمري لم يقبض عليه وكان يسعى لتفجير الجنازة التي سيشيع فيها السادات وسيحضرها الكثير من رؤساء العالم، لكن قبض عليه أيضًا قبل أن يقوم بهذا العمل ولم يغن التنظيم العنقودي شيئًا –كالعادة-، واجتمع التنظيم الجهادي كله داخل السجون لتبدأ ارهاصات الجيل الثالث.

قبل أن ننهي الحديث عن الجيل الثاني نحتاج أن نتحدث عن إرهاصات الجيل الثالث التي بدأت أثناء هذه المحاكمة والتي سميت بمحاكمة تنظيم الجهاد.

هذه المحاكمة قسمت في الحقيقة إلى ثلاثة أجزاء جزء خاص بالشيخ عصام القمري والمجموعة التي معه، وجزء خاص بالشيخ خالد الاسلامبولي والشيخ عبود الزمر، هؤلاء عسكريون فمحاكمتهم عسكرية، وجزء خاص بالمدنيين المنضويين تحت هذا التنظيم وضموا إليهم بعض العسكريين الذين حوكموا مرتين مرة محاكمة عسكرية ومرة محاكمة مدنية.

داخل هذه المحاكمات بدأت إرهاصات الجيل الثالث جيل التنظيمات الجهادية المتعددة.

أشير هنا أنه قد وجد اختراق في صفوف التنظيم قام به شخص يسمى السيسي [هذا غير السيسي الذي هو رئيس مصر الحالي]، هذا الشخص لم يستطع اختراق الصف الأول، اختراق الصفوف الأولى في الجماعات الإسلامية أمر متعذر، لأن هذه الجماعات عندما تنشأ، تنشأ في ظل خطورة شديدة لا يمكن أن يقوم بهذا الأمر إلا الأفذاذ من الرجال، كما أن الأمن إن اكتشف الجماعة في مرحلة التأسيس يقوم بالقضاء عليها ولا يحتاج لاختراقها، بعد ذلك تبدأ الجماعة في ضم الناس إليها وتبدأ في الاتساع وهنا يحاول الأمن أو المخابرات اختراقها لكن لا ينجحون في الوصول إلا للصفوف المتأخرة من هذه الجماعات لأن الصف الأول يظل هو الصف الأول من بداية إنشاء هذه الجماعة إلى أن تنتهي أو إلى أن يشاء الله، هذا أمر له مزية لأنه يمنع موضوع الاختراق، وله عيب وهو أنه يؤدي إلى عدم حدوث تجديد في الصف الأول.

أيًا كان الأمر فالسيسي هذا قام بنفس الدور الذي قام به عبد المجيد وهنداوي دوير وعلي عشماوي ولكنه كان عميلًا في الأصل بعكس هؤلاء على تفصيل ذكرناه في كل منهم.

- القضايا كما قلنا قسمت إلى ثلاث قضايا:

قضية عصام القمري بها أربعة عشر عسكريًا، كان قاضي هذه القضية يسمى شوكت، شوكت هذا ذهب لأداء العمرة قبل أن يصدر الأحكام في هذه القضية، حدثت كرامة معينة لهذه القضية إذ عندما ذهب شوكت لأداء العمرة وجد الناس في مكة يحتفلون بقتل السادات، كما قلنا حدث سخط كبير على مستوى العالم الإسلامي ضد السادات بسبب كامب ديفيد وغيرها، فوجد شوكت ابتهاجًا كبيرًا في مكة، كان الفلسطينيون يوزعون "الشربات" احتفالًا بهذه المناسبة، فأثر هذا في نفسه وعندما رجع إلى مصر أصدر حكمًا ببراءة جميع أفراد هذه القضية رغم توقعهم أن يحصلوا جميعًا على حكم بالإعدام.

- القضية العسكرية الأخرى والتي كان فيها الشيخ خالد ورفاقه والشيخ عبود صدر فيها حكم

بالإعدام على الشيخ خالد وعلى رفاقه الثلاثة وعلى الشيخ المهندس محمد عبدالسلام فرج، نفذ حكم القتل في الشيخ خالد رميًا بالرصاص لأنه كان عسكريًا وقت تنفيذ الاغتيال وهذا نوع من الشرف، العسكريون يفتخرون بأنهم ينفذ عليهم حكم القتل رميًا بالرصاص فقتل الشيخ خالد الاسلامبولي والشيخ حسين عباس رميًا بالرصاص، أما الثلاثة الآخرون فقتلوا شنقًا وكان ذلك في إبريل ١٩٨٢م، أسأل الله أن يتقبلهم شهداء.

الشيخ خالد الاسلامبولي عندما قام بهذا العمل قام به وعمره ثلاث وعشرون سنة فهو من مواليد ١٩٥٨م في محافظة المنيا.

- أما القضية الثالثة –المدنية- فكانت أمام محكمة أمن الدولة العليا طوارئ، كان القاضي في هذه القضية هو محمد عبد الغفار وكان عدد المتهمين ثلاث مئة واثنين، كان على رأس المتهمين الدكتور عمر عبد الرحمن وقد قبض عليه فور اغتيال السادات والشيخ عبود الزمر وغيرهما من قيادات العمل الجهادي، كان يوجد الكثير من الكوادر، ونحتاج أن نحكي عن هذه القضية وما جرى أثناء هذه القضية، لأن الكوادر فيها سيظل لهم تأثير في الجيل الثالث والجيل الرابع والجيل الخامس أيضًا.

من الكوادر المتهمين في هذه القضية الدكتور أيمن الظواهري، الشيخ أحمد سلامة مبروك أبو الفرج المصري الذي قتل في سورية في الجهاد الشامي بعد ذلك نسأل الله أن يتقبله شهيدًا، الشيخ رفاعي طه الذي قتل أيضًا في سورية بعد ذلك أسأل الله أن يتقبله شهيدًا، الدكتور صفوت عبد الغني، كرم زهدي، ناجح إبراهيم، صلاح جاهين، أنور عكاشة إلى أخر ذلك من الأسماء.

أثناء المحاكمة ترافع الدكتور عمر عبد الرحمن عن نفسه وعن التنظيم في كلمة فرغت بعد ذلك وطبعت في كتاب بعنوان "كلمة حق"، في هذه الكلمة أو المرافعة بيّن كفر الحاكم المستبدل للشرع الحنيف وأصبح كتاب كلمة حق كتابًا مشهورًا بين الحركات الجهادية بعد ذلك.

سبحان الله الشيخ الدكتور عمر عبد الرحمن كان موجودًا في قضية الشيخ عبود العسكرية أيضًا وحكم عليه بالبراءة فيها، وحكم عليه أيضًا بالبراءة في القضية المدنية التي نتحدث عنها وذُكر في

حيثيات البراءة أنه أفتى فقط ولم يشارك في العمل- هكذا قام القاضي بتكييف الأمر- وسنحكي عن هذا القاضي لأن له فضلًا كبيرًا على هؤلاء الإخوة.

الشيخ صلاح أبو إسماعيل

أيضًا الشيخ صلاح أبو اسماعيل -وهو والد الشيخ حازم صلاح أبوإسماعيل- وكان من كبار دعاة جماعة الإخوان ومن كبار الدعاة في مصر في هذا التوقيت عمومًا وكان باحثًا كذلك في مجمع البحوث الإسلامية وعضوًا سابقًا في مجلس الشعب عن الإخوان المسلمين، أتى وأدلى بشهادته في هذه القضية وبيّن جزئية مهمة للغاية وهي:

لو فرضنا أننا لم نكفر الحاكم الذي يحكم بالقانون الوضعي فكونه لا يحكم بالشرع لا يجعله حاكمًا يحرم الخروج عليه بل يجوز الخروج عليه في هذه الحالة لأنه لا تتناوله أحاديث المنع من الخروج عن الحكام.

وطبعت شهادته في كتاب "الشهادة" للشيخ صلاح أبو اسماعيل، وسردت هذه الشهادة في كتاب "محاكمة فرعون"، وأيضًا نقل هذه الشهادة الشيخ صلاح الصاوي في كتابه الرائع "نظرية السيادة وأثرها على شرعية الأنظمة الوضعية" والكتاب يعالج مسألة مهمة جدًا أنه ليس شرطًا أن نكفر الحاكم الذي يحكم بالقانون الوضعي لنخرج عليه بل هذا ليس حاكمًا من الأساس تتناوله أحاديث السمع والطاعة وأدلة المنع من الخروج على حكام المسلمين، أيضًا أشرت لهذه الشهادة في كتابي "دولة القرآن"[٣].

الخلاصة أن مرافعات قضية "الجهاد الكبرى" كانت ثرية فكريًا وأفادت الحركة الجهادية منها كثيرًا بعد ذلك، لكن كان هناك صراع فكري دار في أروقة السجون بين كوادر القضية أدى إلى انقسام هذا التنظيم إلى: تنظيم "الجماعة الإسلامية"، وتنظيم "الجهاد الإسلامي". قبل أن نفصل في أسباب الخلاف بين الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد والأسباب التي أدت لشق تنظيم الجهاد، أشير إشارة سريعة إلى أن جماعة الإخوان المسلمين حين خرجت من السجون في أوائل

٣ دولة القرآن، ليحيى بن طاهر الفرغلي.

سبعينيات القرن الماضي خرجوا وسنهم قد جاوز سن الشباب، فأرادوا أن يزيلوا هذه الفجوة بينهم وبين المجتمع حيث كان لا يوجد عندهم كوادر شابة، فسعوا لاستقطاب بعض المنتمين للجماعة الإسلامية التي كانت تمثل تنظيم اتحاد الطلبة التابع لأصحاب الفكر الإسلامي في هذا الوقت في مصر –كما أشرنا سابقًا– فاستقطبوا شخصيات مثل عصام العريان وأبو العلا ماضي وعبد المنعم أبو الفتوح ...إلخ بعد ذلك صارت هذه الكوادر من الكوادر المشهورة في جماعة الإخوان المسلمين، بينما ظلت باقي الجماعة الإسلامية كما هي تتبنى الفكر الجهادي إلى أن اندمجت في تنظيم الجهاد الكبير قبل أحداث ١٩٨١م.

أما أسباب انشقاق تنظيم الجهاد إلى الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد فهم أربعة أسباب أساسية –وهذا باستقراء الشهادات التي قيلت في هذا الأمر والتي سمعتها بأذني– أقل الأسباب تأثيرًا هو الخلاف المناطقي والعصبية بين وجه بحري ووجه قبلي؛ الجماعة الإسلامية أغلبها من وجه قبلي، مجموعات الجهاد من وجه بحري، فحدث خلاف: هل تكون القيادة لوجه قبلي أم لوجه بحري؟، هذا كما قلنا رافد بسيط من أسباب الخلاف، نادر أن تجد أحدًا يعتبره من أسباب الخلاف لكنه كان في أنفس البعض.

السبب الثاني: مسألة ولاية الضرير وولاية الأسير، الجماعة الإسلامية كانت تريد الدكتور عمر عبدالرحمن أميرًا لهذا المجموع، جماعة الجهاد تريد الشيخ عبود الزمر بصفته رجل عسكري وأعلى رتبة وخبرة عسكرية موجودة، احتجت جماعة الجهاد على الجماعة الإسلامية بأن الدكتور عمر ضرير وهناك حكم فقهي يقول "لا ولاية لضرير"، هذا الحكم في الإمامة العظمى لكنهم استخدموه لتبرير الانشقاق، ردت عليهم الجماعة الإسلامية –بعد أن خرج الدكتور عمر من السجن في ١٩٨٤م – وقالوا "لا ولاية لأسير"، الشيخ عبود ظل أسيرًا في السجن فترة طويلة ولم يخرج إلا في عام ٢٠١١م، فمن باب المقابلة قالوا لهم "إذا كنتم تقولون لا ولاية لضرير فنحن نحتج عليكم بأنه لا ولاية لأسير" هذا السبب –كما هو واضح– ليس سببًا محوريًا.

السبب الثالث: مسألة العذر بالجهل، كانت الجماعة الإسلامية تتوسع في مسألة العذر بالجهل لتشمل جميع الجنود في الجيش وفي الشرطة حتى وزير الداخلية ووزير الدفاع، فقط يكفرون رأس الدولة، أما جماعة

الجهاد فكانت على نقيضها لا تعذر بالجهل وتتشدد في هذا الأمر فكانت تكفر جميع جنود الجيش والشرطة بأعيانهم، اعتبرت الجماعة الإسلامية هذه مسألة عقائدية ووالت وعادت عليها وقالت "لا نقبل الاندماج مع جماعة الجهاد أو نظل معهم في تنظيم واحد وعندهم هذا الخلل العقدي"، جماعة الجهاد كانت تعتبر هذه المسألة فقهية يجوز الاجتماع مع وجود نوع من الخلاف المقبول فيها.

عند التحقيق بعد أن قابلت قادة هذه الجماعات وجدت أن هذا السبب ليس محوريًا –وإن ظهر أنه كذلك، وإن صُدّر للعناصر أنه كذلك– وذلك حين نعلم أن بعض قادة الجماعة الإسلامية يرون عدم العذر بالجهل وبعض قادة جماعة الجهاد يرون العذر بالجهل وظل هؤلاء قادة في جماعتهم وهؤلاء قادة في جماعتهم.

قبل ذكر السبب الرابع ومن باب الاستطراد البسيط في هذه المسألة فقد قام الشيخ أبو الحارث المصري [الشيخ أسامة قاسم] وهو من الشهود الذين اعتمدت عليهم في هذه الحقبة جزاه الله خيرًا، وقد حكم عليه بالسجن المؤبد في قضية الجهاد الكبرى سنة ١٩٨١م، وقد اشترط علي ألا أذكر اسمه إلا إذا قلت أنه يرى أنه ليس أهلًا لأن يُذكر اسمه وهذا من تواضعه جزاه الله خيرًا، ويقول أيضًا "لا أريد أن يذكر اسمي وأن نتحدث في هذا التاريخ حتى ننتقم لأعراض المسلمين" هذا ما شرطه علي وأنا أوفي شرطه، لكن لا شك أن فائدة ذكر هذه الأحداث التاريخية ألا نقع في هذه الأخطاء مرةً أخرى وأن نبني على الصواب الذي فيها.

الشيخ أبو الحارث المصري

الشاهد أن الشيخ أبا الحارث ألف في هذه الفترة كتابًا بعنوان "الإصلاح بين العشيرة والأهل في مسألة العذر بالجهل" في محاولة لرأب الصدع بين الجماعتين والذي بلغ الشقاق بينهما فيه مبلغا عظيمًا وظهر وقتها أن أهم أسبابه مسألة العذر بالجهل.

السبب الرابع: وهو أكثر الأسباب تأثيرًا من وجهة نظري، هو اختلاف الاستراتيجية بين جماعة الجهاد والجماعة الإسلامية؛ الجماعة الإسلامية تريد أن تعمل بالدعوة وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتهيئ

المجتمع لثورة شعبية على غرار الثورة الإيرانية، أما جماعة الجهاد فكانت تميل للعمل السري وتسعى لقلب نظام الحكم عبر الانقلابات العسكرية. وهذا في الحقيقة السبب الأكثر تأثيرًا في انفصال الجماعتين وإن كان لكل سبب من الأسباب الثلاثة الباقية تأثير.

نعود لقضية الجهاد الكبرى وقاضيها محمد عبدالغفار الذي تأثر بالدعوة التي قام بها كوادر القضية معه، ومرافعة الدكتور عمر، وأراد أن يعطيهم جميعًا حكمًا بالبراءة ولكنه قدر أن الحكم ببراءتهم جميعًا سيؤدي إلى إعادة القضية مرة أخرى أمام قاض آخر والذي قد ينفذ طلبات النيابة التي كانت تطالب بإعدام مئتين من المتهمين في هذه القضية، وقد ذكرنا قبل أن عدد المتهمين في القضية ثلاثمائة واثنان، فأصدر محمد عبد الغفار حكمًا مخففًا بدرجة كبيرة حيث حكم ببراءة مئة وتسعين وبثلاث سنوات حبس فقط على ثلاثة وثلاثين والحكم صدر في سنة ١٩٨٤م أي كانوا قد قضوا فعلًا السنوات الثلاث، يعني أكثر من مئتين وعشرين أخذوا براءة في هذه القضية –عند التحقيق–، وتراوحت الأحكام الباقية بين خمس سنوات وسبع سنوات وخمس عشرة سنة والحكم بالمؤبد.

أفرج بعد حكم القاضي –بالبراءة والثلاث سنوات– عن كثير من كوادر الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد، على رأس كوادر الجماعة الإسلامية [بالإضافة لأميرها العام الشيخ الدكتور عمر عبد الرحمن] الشيخ صفوت عبد الغني ليبدأ في تأسيس الجناح الدعوي للجماعة الإسلامية، وعلى رأس كوادر جماعة الجهاد خرج الشيخ الدكتور أيمن الظواهري ليبدأ في تأسيس الجناح العسكري لجماعة الجهاد مباشرةً لأن جماعة الجهاد جماعة جهادية فقط، أما الجماعة الإسلامية كما ذكرنا كانت تريد دعوة وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وجهاد. أيضًا خرج العديد من الكوادر الأخرى وأذكر في هذا الصدد أن الدكتور سيد إمام كان متهمًا ومطلوبًا القبض عليه في قضية ١٩٨١م، لكنه نجح في الفرار وشارك مع الدكتور أيمن في تأسيس جماعة الجهاد كما سنفصل بإذن الله تعالى.

أفرج في ١٩٨٦م عن المتهمين المحكوم عليها بخمس سنوات وكان لهم تأثير كبير في تعزيز العمل الدعوي بالنسبة للجماعة الإسلامية وفي تعزيز العمل الجهادي لجماعة الجهاد، ونحن ما زلنا إلى الآن تنظيمًا جهاديًا

واحدًا لأن الجماعة الإسلامية لم تُكوّن جناحًا عسكريًا بعد، وإن كانت تريد العمل في الجهاد فقد كانت لا تسعى إلى فكرة البرلمانات، لكن كان التنظيم الجهادي الوحيد الموجود بعد الخروج من السجن هو تنظيم جماعة الجهاد الذي كوّن أساسًا في أفغانستان كما سنبين في الجيل الثالث بإذن الله.

في ١٩٨٦م، تولى وزارة الداخلية المصرية وزير اشتهر بالقسوة والفظاظة وسوء الخلق وهو زكي بدر، زكي بدر قام باستهداف كوادر الجماعة الإسلامية وقتل العديد منهم، ووصل عدد من قتلهم إلى أكثر من ثلاثين وذلك إثر انتشار دعوة الجماعة الإسلامية انتشارًا كبيرًا لدرجة أنها بدأت تشكل بالفعل تهديدًا للنظام المصري خاصة أن فكرها جهادي وإن كانت لم تنشئ تنظيمًا جهاديًا بعد، لكن خرجت تقول نحن سنسعى بالجهاد لإقامة دولة مسلمة.

أدى استهداف كوادر الجماعة الإسلامية واستعجال الدولة المصرية الصدام معهم لشعورها بخطر حقيقي على النظام الحاكم من الجماعة الإسلامية تحديدًا، إلى قيام الجماعة الإسلامية بإنشاء جناح عسكري لها للدفاع عن الدعوة إلى حين الوصول لمرحلة الثورة المسلحة المنشودة في نهاية المسار.

فعند خروج مجموعة الكوادر المحكوم عليها بسبع سنوات في قضية ١٩٨١م (خرجوا في ١٩٨٨م) وعلى رأسهم الشيخ مصطفى حمزة أسأل الله أن يفك أسره والشيخ طلعت فؤاد قاسم أسأل الله أن يتقبله شهيدًا خرجوا بتكليف أن ينشئوا تنظيمًا عسكريًا يحمي دعوة الجماعة الإسلامية ويساعدها في إقامة شرع الله ﷻ، وبهذا صار عندنا تنظيمًا جهاديًا لجماعة الجهاد وتنظيمًا جهاديًا للجماعة الإسلامية سيؤسس في أفغانستان في معسكر اشتهر باسم معسكر صهيب كما سنبين بتفصيل أكثر بإذن الله تعالى في الجيل الثالث.

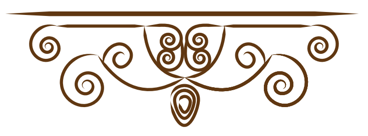
لكن قبل أن أنهي الكلام عن هذا الجيل أنبه على مسألة قد تُستدرك على كلامي وهي: لماذا لا أتحدث عن الأحداث الجهادية التي حدثت في بلدان أخرى غير مصر مثل ما حدث في سورية (مذبحة حماه التي حدث في ١٩٨٢م) وغيرها؟

قبل الإجابة أشير هنا أن أحداث حماة كانت أحداثًا جهادية حقيقية في الطريق إلى الخلافة وقد قام

بها الإخوان المسلمون في سوريا، رغم أننا قلنا إن الإخوان تركوا طريق الجهاد بعد خروجهم من المحنة الثانية في أوائل سبعينيات القرن الماضي لكن هذا كان حال إخوان مصر الذين يختلفون نوعًا ما عن الإخوان المسلمين في سوريا وعن الإخوان المسلمين في تونس وعن الإخوان المسلمين في باقي المناطق وإن كان التنظيم الأم موجودًا في مصر والفكرة الأساسية خرجت من مصر.

أما لماذا أقصر السرد التاريخي على مصر فمن باب أن مصر نموذج لغيرها لأن أغلب الأحداث التي حدثت في مصر تكررت بعد ذلك في المناطق الأخرى وكانت مصر رائدة في هذا الأمر حيث بدأ منها الشيخ حسن البنا أول دعوة شعبية جهادية لإعادة الخلافة بعد إلغائها على يد أتاتورك هذا من جهة أولى، ومن جهة ثانية أني أردت أن أحكي الأحداث التي مررت بها بنفسي أو قابلت من مر بها وكانوا شهود عيان على هذه الأحداث وهذا سيظهر أكثر في الجيل الثالث والرابع والخامس بإذن الله تعالى.

وهنا نكون أنهينا الحديث عن الجيل الثاني ونبدأ في مرحلة الجيل الثالث وهو جيل التنظيمات الجهادية المتعددة، ليس تنظيمًا جهاديًا واحدًا يعمل على إعادة الخلافة للوجود مرةً أخرى بل أكثر من تنظيم.





أود أن أشير – في البداية– إلى أمرين: الأمر الأول: أهمية ما سنذكره في هذا الجيل، أنصح جميع من يريد أن يعمل لهذا الدين ومن يريد أن يعيد تحكيم شرع الله ﷻ مرةً أخرى ومن يريد أن يسير في طريق الخلافة أن يعير انتباهه جيدًا لهذا الجيل، جنديًا كان أو قائدًا، هذا الجيل يساعدنا كثيرًا في عدم تكرار الأخطاء، للأسف الكثير من الأخطاء المذكورة تُكرر مرات ومرات، وهذا هو السبب الأساسي الذي دفعني لسرد هذا التاريخ، وقد يتعين المعرفة المفصلة بهذا التاريخ في حق القادة لئلا تُعاد الأخطاء مرةً أخرى ولتُعزز نتائج ما هو صالح من هذه الاعمال ويُبنى عليه ولا نبدأ من الصفر.

الأمر الثاني الذي أود التأكيد عليه هو أن ما سبق سرده في الجيل الأول والجيل الثاني قد تجده في الكتب، أما كثير من المعلومات المذكورة في الجيل الثالث والرابع والخامس لن تجدها إلا في هذه الفصول، فهي لم تدون بعد، وبعض المعلومات لا يعرفها إلا من يسرد لك هذه الأجيال الآن، وقد قدر الله أن أكون شاهد عيان على كثير من هذه الأمور وكثير من هذه المعلومات والتقيت بكثير ممن عاشروا هذه الأحداث.

وصفنا الجيل الثاني بأنه جيل التنظيم الجهادي الواحد حيث استلم الراية الشيخ صالح سرية ثم سلمها لتنظيم الجهاد بقيادة الشيخ الدكتور عمر عبدالرحمن والشيخ المهندس محمد عبد السلام فرج تقبلهما الله والشيخ عبود والشيخ أسامة حافظ والشيخ عاصم والشيخ عصام والشيخ الدكتور أيمن الظواهري والشيخ عصام القمري وسيد إمام وكرم وناجح وغيرهم ممن ساروا في هذا الدرب، ثم بعد ذلك داخل المحاكمات التي عُقدت لهم بعد نجاح عملية اغتيال السادات وفشل الوصول للسيطرة

على الدولة، افترقوا إلى فريقين: الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد، وقلنا إن أسباب هذه الفرقة أربعة، الأول: مناطقي: وجه قبلي منه أغلب أعضاء الجماعة الإسلامية ووجه بحري منه أغلب جماعة الجهاد وهذا سيتغير نوعًا ما بعد ذلك حيث ستنتشر الجماعة الإسلامية في جميع أرجاء جمهورية مصر العربية، لكن على كل الأحوال كان هذا سببًا ضعيفًا، الثاني: إمارة الضرير الدكتور عمر عبد الرحمن، قالت جماعة الجهاد: "لا إمارة لضرير"، وردت عليهم الجماعة الإسلامية: "لا إمارة لأسير" والأسير الشيخ عبود الزمر وهذا أيضًا بدوره ليس سببًا أساسيًا، ثم السبب الثالث وهو المعلن أنه الرئيسي والأساسي: مسألة العذر بالجهل، ضيقت فيها كثيرًا جماعة الجهاد فكفرت بالعين كل عناصر الجيش والشرطة ولم تلتمس لهم أي عذر مع انتشار الجهل كثيرًا بينهم في هذا الوقت، وتوسعت فيها كثيرًا الجماعة الإسلامية حتى شملت وزير الداخلية وقائد الجيش ووزراء الحكومة وما إلى ذلك من الأمور، أيضًا يلحق بمسألة العذر بالجهل مسألة الموالاة حيث أيضًا وسّعت كثيرًا جماعة الجهاد في التكفير بالموالاة ووسعت معنى وصور المولاة، وضيقت جدًا الجماعة الإسلامية في مفهوم التكفير بالموالاة لدرجة أن بعض قادة الجماعة الإسلامية كانوا لا يكفرون بالمظاهرة [أي إذا قاتل المنتسب للإسلام في صف الكفار ضد المسلمين] هذا الأمر حدث بسببه إشكال كبير في كتاب "الجامع في طلب العلم الشريف" للدكتور سيد إمام كما سنبين بإذن الله تعالى، وتسبب في إشكال كبير أيضًا داخل جماعة الجهاد نفسها، موضوع العذر بالجهل وإن ظهر أنه سببٌ أساسي ولكن في الحقيقة ليس كذلك حيث إن بعض قادة الجماعة الإسلامية كانوا لا يعذرون بالجهل وبعض قادة جماعة الجهاد كانوا يعذرون بالجهل، والأمر ليس بهذه الحدة التي صُدّر بها للمجتمع والعناصر، السبب الرابع هو السبب الأساسي حقيقةً: وهو اختلاف الاستراتيجية، جماعة الجهاد ترى العمل العسكري حصرًا والدعوة تكون من أجل الالتحاق بالعمل العسكري ثم يكون هذا العمل عملًا سريًا لا يظهر للعلن إلا وقت قرار إقامة الدولة عن طريق الانقلاب العسكري، أتسلل في الجيش أتسلل في مفاصل الدولة ثم بعد ذلك أقوم بالعمل العسكري فجأة، الجماعة الإسلامية

كانت ترى الانتشار عن طريق الدعوة العلنية ودعوة الناس للجهاد ثم بعد ذلك العمل للوصول إلى ثورة مسلحة إسلامية شعبية، بهذه الاستراتيجية خرجت جماعة الجهاد في ١٩٨٤م، خرج الدكتور أيمن الظواهري ليكون أمير جماعة الجهاد في الخارج هو والدكتور سيد إمام [سيد إمام لم يقبض عليه أصلًا في أحداث ١٩٨١م، وإن كان مطلوبًا القبض عليه] وكان أمير جماعة الجهاد في الداخل الشيخ عبود الزمر، وخرج من الجماعة الإسلامية الدكتور عمر عبدالرحمن —وهو الأمير العام للجماعة الإسلامية– في ١٩٨٤م، وخرج الشيخ صفوت عبدالغني ليكون الأمير التنفيذي للجماعة الإسلامية، وخرج أيضًا الشيخ أحمد عبده سليم وغيره من كوادر الجماعة الإسلامية، لكن جماعة الجهاد خرجت لتكوّن مباشرةً تنظيمًا جهاديًا أما الجماعة الإسلامية فكانت تهتم بالدعوة أساسًا الدعوة للجهاد، دعوة صريحة جدًا في مسألة تكفير الحاكم ومسألة الحل الجهادي لإقامة شرع الله ﷻ.

خرج المحكوم عليهم بخمس سنوات من الجماعتين في ١٩٨٦م، وقد تولى في هذا التوقيت —كما أشرت سابقًا– زكي بدر وزارة الداخلية المصرية وقد فوجئ بالانتشار الكبير للجماعة الإسلامية، حيث حدث نوع يشبه الانفجار في الانتشار للجماعة الإسلامية انتشرت في جميع أركان القطر المصري من أسوان أقصى الجنوب إلى الإسكندرية أقصى الشمال، مرورًا بالعاصمة القاهرة، وهذا مثل حقيقةً خطرًا كبيرًا على النظام المصري، فقرر زكي بدر أن

وزير الداخلية زكي بدر

يقوم مباشرةً بالتضييق على المساجد التي تدعو فيها الجماعة الإسلامية، ومعروف أن الدعوة العلنية تُكسب العديد من الأنصار فقد وصل أنصار الجماعة الإسلامية إلى عشرات الآلاف بل ربما مئات الآلاف، كانت دعوة شعبية لكن أغلب أنصارها كانوا في الصعيد للأسف، وأقول للأسف لأن مفتاح مصر هو مدينة القاهرة كما بينا سابقًا، الشاهد اعتمد زكي بدر مسألة اقتحام المساجد والتضييق على الجماعة الإسلامية وبدأ أيضًا بقتل كوادر الجماعة الإسلامية وكان أول قتيل أخ

يسمى شعبان راشد قتل وهو يعلق بيانًا من بيانات الجماعة الإسلامية على حائط في ١٩٨٦م، ثم استمر القتل بعد ذلك والتضييق على المساجد، وهنا قررت الجماعة الإسلامية أن تسارع في إنشاء جناح عسكري ليدافع عن الدعوة، الغرض من الجناح الدفاع عن الدعوة وليس إقامة الدولة الإسلامية، ثم بعد ذلك يُسلح الجميع عند انطلاق العمل لإقامة الدولة الإسلامية، لكن الغرض الآن الدفاع عن الدعوة، خرج في ١٩٨٨م الكوادر المحكوم عليهم بسبع سنوات في قضية ١٩٨١م بتكليف إنشاء الجناح العسكري، خرج الشيخ مصطفى حمزة وممدوح علي يوسف والشيخ رفاعي طه وخرج أيضًا الشيخ طلعت فؤاد قاسم، سافروا إلى أفغانستان حيث كانت أرضًا خصبة لإقامة الجناح العسكري والتدريب وما شابه، كان ذلك في أوج الجهاد الأفغاني وقرب انتصاره على الاحتلال السوفيتي، فكان هناك معسكر للجماعة الإسلامية سمي بمعسكر صهيب ومعسكر لجماعة الجهاد يتدربون فيه، واستمر زكي بدر في القتل والتضييق على المساجد ومن المساجد التي اقتحمها مسجد آدم في ١٩٨٨م وهو المركز الرئيسي للجماعة الإسلامية في القاهرة، كما أنه بحلول ١٩٨٩م كان قد قتل أكثر من ثلاثين من كوادر الجماعة الإسلامية، فقررت الجماعة الإسلامية اغتياله، كانت طريقة الاغتيال مفاجئة للجميع، أُرسلت سيارة مفخخة يقودها طالب في كلية طب وهو الشيخ جمال أبو رواش وقف بها بجانب جسر يسمى جسر الفردوس في وسط مدينة القاهرة، طُلب منه فور أن يمر زكي بدر أن يضغط على زر التفجير، عملية استشهادية في هذا الوقت وهو ما لم يحدث قبل من الحركات الإسلامية، فعلًا ضغط جمال على زر التفجير واحترقت السيارة ولم تنفجر بسبب استرطاب مادة التفجير (تي إن تي) التي كانت موضوعة في السيارة، قُبض على الشيخ جمال أبو رواش الذي لم يقتل نتيجة الحريق، وإن كان قد حدثت بعض الحروق في جسده، [من الطرائف أن الدكتور جمال أبو رواش يروي القصة قائلًا: "قال لي الإخوة فور ضغط الزر ستجد نفسك مع الحور العين والذي حدث أني فور أن ضغطه وجدت نفسي مع زبانية أمن الدولة المصرية في لاظوغلي –مبنى أمن الدولة وقتها–"]، لكن الأمن لم يُصعّد في هذه القضية ولم

يحاسب جمال أبو رواش بل قام بالإفراج عنه بعد ثلاثة أشهر من سجنه حيث أقيل وزير الداخلية. الأمن المصري فوجئ بهذا العمل وربما اعتقد أنه عملٌ فردي كما أنه أراد أن يعيد حساباته لأن الدولة لم تكن مستعدة لدخول معركة مع الحركة الإسلامية يُستخدم فيها مثل هذا النوع من العمليات، فلهذا لم يحاسب جمال أبو رواش، لكن بعد عشر سنوات سيحاسبه الأمن سيحكم عليه بالإعدام ويقتله في قضية ملفقة الغرض منها تصفية هذا الحساب القديم، أسأل الله أن يتقبله شهيدًا.

عندما عزل زكي بدر في ١٩٩٠م حل محله وزير داخلية آخر اسمه عبدالحليم موسى كان عبدالحليم أشرس بكثير من زكي بدر، وكان –وهو الأخطر– أكثر ذكاء وكياسة، قتل في ثلاثة أشهر أكثر مما قتله زكي بدر في ثلاث سنوات، قتل حوالي أربعين من كوادر الجماعة الإسلامية، بل بدأ يرسل تهديدات بالقتل لقيادات الجماعة الإسلامية، تهديد بالقتل للدكتور صفوت عبدالغني وهو مسؤول الدعوة للجماعة الإسلامية، وتهديد بالقتل للدكتور علاء محي الدين وهو المتحدث الرسمي باسم الجماعة الإسلامية ثم فوجئت الجماعة الإسلامية في سبتمبر ١٩٩٠م، بقتل متحدثها الرسمي الدكتور علاء محي الدين، وهنا قررت الجماعة أن تستخدم جناحها العسكري مرةً أخرى ولكن بصورة أكثر دقة حيث استُقدم بعض الكوادر الذين ذهبوا للتدريب في أفغانستان، وقبل مرور شهرين على اغتيال الدكتور علاء وتحديدًا في أكتوبر ١٩٩٠م حاولت الجماعة الإسلامية اغتيال عبدالحليم موسى وزير الداخلية، كان رئيس خلية الاغتيال الشيخ ممدوح علي يوسف وكان في هذا الوقت رئيس الجناح العسكري، حاول مرة واثنين فلم ييسر الأمر له، فشعر أن هناك مانعًا قدريًا بسبب معصية أو غير ذلك فتنحى عن العمل وتقدم مكانه الشيخ صفوت عبدالغني ليقود العمل العسكري، فعلًا وُضعت خطة وكمين محكم للغاية احترافي بدرجة كبيرة، وأُطلق النار على السيارات التي كان من المفترض أن يكون في أحدها عبدالحليم موسى، نجحت


علاء محي الدين

العملية وقتل من كان في السيارات ولكن كان فيها رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب المصري والرجل الثاني في الدولة في هذا التوقيت وليس عبدالحليم موسى، الأمن المصري فوجئ جدًا بهذا العمل وأخذ يبرر في الصحف ويقول:

"إن هذا عمل احترافي قامت به المخابرات الليبية أو المخابرات العراقية"، كانت توجد مشاكل بين مصر وليبيا والعراق في هذا التوقيت، ذُكر هذا تبريرًا للاحتراف الكبير الذي تم به العمل، لكن بعد ذلك بثلاثة أسابيع أو أكثر قبض على من قاموا بهذا العمل واكُتشف أن من قام به هو الجناح العسكري للجماعة الإسلامية، وكالعادة كانوا تنظيمًا عنقوديًا قبض عليهم بنفس طريقة القبض على كل تنظيم عنقودي، لكن الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد أيضًا كانوا قد وضعوا حلًا جزئيًا لمشكلة التنظيم العنقودي، جعلوا أمير التنظيم العنقودي الأمير الكبير للتنظيم العنقودي العسكري خارج مصر في أفغانستان، فعندما يقبض على أحد أفراد التنظيم العنقودي ويصل في الاعترافات إلى قائد التنظيم في الخارج ينقطع الخيط حيث إن قادة التنظيم في الرتبة الثانية أو الرتبة الثالثة لا يعرف بعضهم بعضًا ولا يعرفون إلا القائد الأعلى للتنظيم الموجود خارج القطر المصري، وبناء عليه كانت هذه الضربة ليست ضربة قاضية للجناح العسكري للجماعة الإسلامية، والأمن كان يعرف هذا جيدًا ولهذا سعى لهدنة مع الجماعة الإسلامية، فلم يكن يعرف أبعاد التنظيم العسكري ولا قدر قوته، الجماعة الإسلامية بها عشرات الآلاف من الأعضاء في مختلف أرجاء البلاد ربما يكون أغلبهم قد نظموا عسكريًا –هكذا يفكر الأمن–، فسعى إلى هدنة مع الجماعة عن طريق محام اسمه منتصر الزيات، منتصر الزيات كان مشهورًا بقربه من الجماعات الجهادية وكان يتوسط كثيرًا بين هذه الجماعة وبين الأمن، في النهاية قبلت الجماعة هذه الهدنة، قبلتها لأنها لم تكن تخطط للدخول في مواجهة مع النظام المصري لتقيم الدولة الإسلامية عن طريق تنظيمها العسكري الآن، كانت تريد الانتظار إلى أن تُنظم جموعها في صورة جيوش أو في

صورة ثورة شعبية، كانت لا تريد استعجال مواجهة هي غير مستعدة ولا مخططة لها، قبلت هذه الهدنة وسكنت الأوضاع إلى حين.

أود أن أشير إلى المراجع الفكرية التي اعتمدت عليها الجماعة الإسلامية في أعمالها المسلحة، فهناك جهاد بدأ وهناك عمليات تحدث ضد الدولة، فلابد أن توجد مراجع فكرية تبين أحكام ما يحدث، وكذلك المراجع الفكرية التي ألفت في هذا الوقت لجماعة الجهاد. أهم المراجع التي اعتمدت عليها الجماعة الإسلامية في جهادها ضد الدولة المصرية هو كتاب "ميثاق العمل الإسلامي" ألفه مجموعة من مشايخ ١٩٨١م، وكتاب " حكم الطائفة الممتنعة عن بعض شعائر الإسلام " تأليف الشيخ عاصم عبد الماجد والشيخ عصام دربالة، و بحث "وجوب العمل الجماعي"، وبحث "الرسالة الليمانية في الموالاة" [الليمانية نسبة إلى سجن ليمان طرة الذي كان مسجونًا فيه قيادات الجماعة ومنظريها] والتي تتحدث عن مسألة الموالاة التي استعر فيها خلاف بينهم وبين جماعة الجهاد، وأيضا بحث "في العذر بالجهل" ألفه الشيخ عبد الآخر حماد فيما أذكر.

بالنسبة لجماعة الجهاد كان عمدة الكتب عندهم هو كتاب "العمدة في إعداد العدة" للدكتور فضل – الدكتور فضل هو الاسم الحركي للدكتور سيد إمام وسُمي بعد ذلك بعبد القادر عبدالعزيز–، هناك كتب أخرى ألفت لجماعة الجهاد ولكن هذه الكتب لم تنتشر، السبب أنه لم يكن يوجد إنترنت ولا وسائل التواصل الاجتماعي الموجودة الآن فكانت الكتب تكتب ربما بخط اليد أو تطبع بصعوبة جدًا، ولكن الجماعة الإسلامية كما قلنا كانت تتبنى الدعوة العلنية فكانت كتب الجماعة الإسلامية التي تحوي أفكارها تطبع وتوزع في المساجد، أما كتب جماعة الجهاد والتي تتبنى الدعوة السرية العسكرية وُجدت صعوبة في توزيعها ونشرها، كتاب الدكتور فضل أخذ شهرة كبيرة لأنه أُلف في أفغانستان ونشر في أفغانستان، كان ميسرًا أن يحدث هذا هناك، أيضًا اشتهر كتاب "الحصاد المر: الإخوان

المسلمون في ستين عامًا" للدكتور أيمن الظواهري لأنه كُتب في أفغانستان –في الغالب أيضًا–، من الكتب الفكرية لجماعة الجهاد التي لم تنتشر ولعلها اندثرت الآن مجموعة تسمى الكتب الصفراء، لأن غلافها كان باللون الأصفر، وهي كتب صغيرة الحجم، وقد قرأتها بعد أن وصلت إلي بطريق سري في بداية مسيرتي الجهادية أوائل تسعينيات القرن الماضي، من العناوين التي أذكرها لبعض هذه الكتب " تكفير الحاكم المستبدل" [لعل العنوان مختلف قليلًا لكن هذا كان موضوعه] و"الحوار مع الطواغيت مقبرة الدعوة والدعاة".

نعود للهدنة بين الجماعة الإسلامية وبين الدولة المصرية، رغم وجود هذه الهدنة لجأ الأمن إلى أسلوب آخر بدل القتل والضرب في سويداء القلب، بدأ يعتقل كوادر الجماعة الإسلامية ولا يخرجهم من السجون أبدًا، تصدر أحكام قضائية بالإفراج عنهم ولكن لا يخرجهم الأمن من السجن بأي حالٍ من الأحوال، ويظلون في المعتقل فتراتٍ طويلة لا نهاية لها، اعتقل العشرات من كوادر الجماعة الإسلامية ربما المئات وعلى رأس من اعتقل كان الشيخ حسن الغرباوي أمير حي عين شمس والذي يعتبر أهم أحياء القاهرة بالنسبة لعمل الجماعة الإسلامية وأيضًا الدكتور أحمد عبده سليم أمير محافظة أسيوط وغيرهم كثير، هذا بالإضافة لمن قبض عليه ويُحاكم في قضية المحجوب والذين كانوا ما زالوا قيد التحقيق وهم أيضًا من كوادر وقادة الجماعة الإسلامية الكبار كالشيخ صفوت عبدالغني والشيخ ممدوح على يوسف، حاولت الجماعة الإسلامية أن تخرجهم بالمفاوضات لم يتيسر هذا الأمر وظل الوضع على هذا الحال إلى سنة ١٩٩٢م، هنا شعرت الجماعة أن أسراها لن يخرجوا من السجون بأي حالٍ من الأحوال وأن عدد الأسرى في ازدياد والكوادر في استنزاف، ثم لم يفتأ الأمن حتى رجع مرة أخرى إلى سياسة القتل (وذلك لأن الجماعة كانت مستمرة في الانتشار بشكل مرعب له رغم كل التضييقات)، وافتتح هذه السياسة بقتل الشيخ عرفة درويش بعد خطبة الجمعة في مدينة أسيوط، نزل من الخطبة وخرج عند باب المسجد فقام الأمن مباشرةً باستهدافه بطلق

ناري أدى إلى قتله وذلك سنة ١٩٩٢م، أيضًا حدث في قرية ديروط وهي من قرى محافظة أسيوط شجار بين المسلمين والنصارى تصدت له فرقة من فرق الجماعة الإسلامية مما أدى إلى قتل أكثر من أربعة عشر نصرانيًا مما وتر الوضع للغاية، واستغل الأمن الوضع للقبض على عدد أكبر من كوادر الجماعة والتجييش الإعلامي ضدها.

نتيجة كل هذه الأحداث، قتل الشيخ عرفة درويش والاعتقالات الطويلة جدًا التي لا نهاية لها، أصدرت الجماعة الإسلامية بيانًا بعنوان "الإنذار الأخير" كانت تعلن فيه أنه إذا لم يُفرج عن المعتقلين ستبدأ مرحلة جديدة من مراحل القتال ضد الدولة المصرية، الدولة المصرية لم تستجب لهذا البيان كما لم تستجب أيضًا للبيان الذي أصدرته الجماعة سابقًا قبل قتل رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب والذي كان بعنوان "مضى عهد الكلام".

بدأت الجماعة الإسلامية أعمالًا قتالية واغتيالات لعناصر الأمن، بدأت في مدينة أسيوط وفي مدينة القاهرة ، كانت هناك استراتيجية متبادلة بين الجماعة الإسلامية وبين النظام المصري، كان النظام يتعمد ألا يشتعل القتال في كل المحافظات المصرية في نفس الوقت كان يعرف أن قدرته لا تسمح بهذا الأمر وسيكون الأمر مكلفًا جدًا له، وكانت الجماعة الإسلامية كما ذكرنا منتشرة في جميع محافظات القطر المصري، فكان الأمن يغلق الدعوة بمحافظة ويعتقل الكوادر والعناصر فتبدأ الجماعة فيها أعمالًا عسكرية ويترك - في نفس الوقت- الدعوة قائمة في محافظات أخرى لئلا يُبدأ فيها أعمال عسكرية فيتشتت جهده، بدأ بمحافظة أسيوط وترك الدعوة قائمة في محافظة المنيا ومحافظة بني سويف ومحافظة سوهاج ومحافظة الإسكندرية ... إلخ، يترك الدعوة العلنية للجماعة الإسلامية وهي دعوة للجهاد وتكفير الحاكم المستبدل وللثورة على الدولة لإقامة حكم إسلامي كما أسلفنا، فتكون الجماعة بين خيارين كلاهما مر، إما أن تبدأ عملًا شاملًا في جميع القطر المصري وهي غير مستعدة لهذا العمل ولا تريده في هذا التوقيت وتخسر بالمقابل دعوتها في كل المحافظات أيضًا، وإما أن تركز العمل العسكري

في المحافظة التي يركز الأمن عليها عمله وهذا يضعف العمل العسكري كثيرًا، اختارت الخيار الثاني فكان الأمن يبدأ في محافظة فتبدأ معه في هذه المحافظة وتترك باقي المحافظات تنتشر فيها الدعوة وتحاول أن تستعين ببعض كوادر المحافظات وتزج بهم في العمل العسكري في هذه المحافظة لتعويض فارق القوة الكبير، لكن تظل محافظة القاهرة مركزًا دائمًا للأعمال العسكرية للجماعة لأنها تدرك جيدًا أهمية محافظة القاهرة، أي عمل آخر في غير القاهرة يكون أثره ضئيلًا للغاية، بل قتل لواء في محافظة غير محافظة القاهرة يستطيع الأمن أن يخفي أمره -وسائل التواصل لم تكن قد انتشرت بعد كما في وقتنا الحالي-، أما إذا قُتل جندي واحد في محافظة القاهرة تتحدث عنه جميع الوسائل الإعلامية ويكون خبرًا دوليًا مما يمثل ضغطًا على الحكومة المصرية.

لم تستهدف الجماعة الإسلامية جنود وضباط الشرطة فقط، بل استهدفت أيضًا الكتاب العلمانيين مثل فرج فودة الذي اغتيل في ١٩٩٢م على يد مجموعة من الشباب منهم الشيخ أبو العلا عبدربه الذي جاء بعد ذلك إلى الجهاد الشامي وقتل فيه سنة ٢٠١٧م أسأل الله ﷻ أن يتقبله شهيدًا [كان معروفًا في الشام بأبي العلاء المصري]، بالمناسبة فإن فرج فودة قد أصدرت جبهة علماء الأزهر بيانًا بتكفيره وذلك لوقوعه في مكفرات صريحة منها تطاوله على الشريعة الإسلامية وازدراء الحدود الشرعية ... إلخ، وفي محاكمة قتلت فرج فودة استدعت المحكمة الشيخ محمد الغزالي للشهادة فأقر بأن فرج فودة مرتد، كما استدعت الدكتور محمود مزروعة — رئيس قسم العقائد والأديان بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر- وأكد أيضًا أن فرج فودة مرتد، ومع ذلك حكمت المحكمة بإعدام المجاهدين الذين نفذا الاغتيال وأعطت باقي المشاركين أحكامًا مختلفة بالسجن الطويل.

استهدفت الجماعة الإسلامية وزراء الدولة أيضًا، واستهدفت السياحة المصرية، لكن استهداف السياحة كان خطأ استراتيجيًا كبيرًا وقعت فيه الجماعة، كانت فكرة استهداف السياحة كالآتي:

السياحة تدخل لمصر دخلًا يتراوح بين أربعة أو خمسة مليارت من الدولارات سنويًا، هذا مبلغ كبير جدًا بالنسبة لدولة نامية مثل مصر، فبالتالي استهداف السياحة سيمثل ضغطًا قويًا على الدولة، الجماعة قررت ألا تستهدف قتل السياح بل ترويعهم ليخرجوا من البلاد وإن كان الترويع لن يتأتى إلا بقتل بعض السياح فلا مانع من ذلك عندها، لكن الهدف الأساسي هو الترويع، فإذا خرجوا من البلاد خسرت الدولة خمسة مليارات من الدولارات وهذا ضغط اقتصادي قوي على الدولة المصرية لتفرج عن المعتقلين، غرضها إذًا -من هذه العمليات في هذا التوقيت- كان الإفراج عن المعتقلين والسماح بالدعوة، وليس إسقاط الدولة وإقامة دولة إسلامية، لكن الدولة المصرية كانت تدرك جيدًا أن الإفراج عن المعتقلين سيؤدي إلى إقامة دولة إسلامية ولو بعد حين ربما بعد ثلاث أو أربع سنوات، فكانت لا ترضخ ابدًا لهذا النوع من الضغط الاقتصادي، أيضًا قامت الدول الغربية وعلى رأسها أمريكا بتمويل مصر تمويلًا مفتوحًا، لم ترض هذه الدول بأن ينهار الاقتصاد المصري أو يكون البديل حكماً إسلامياً فيها ولو بعد وقت طويل، وذلك لأن مصر دولة محورية جدًا لا يمكن أن يسمح برجوعها تحت الحكم الإسلامي مرةً أخرى، عندما التحقت بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة، أدركت جيدًا أنه يستحيل بأن تسمح الولايات المتحدة أو بريطانيا بترك هذه الدولة تسقط تحت الحكم الإسلامي وستدفع بكل ما تستطيع من قوة لمنع ذلك، فخمسة مليارات من الدولارات لا تساوي شيئًا -عند هذه الدول- في سبيل منع هذا الأمر، لكن استهداف السياحة أدى إلى استعداء الكثير من الدول، السياح هؤلاء يأتون من روسيا ومن أمريكا وبريطانيا وإيطاليا وألمانيا ... إلخ، هذه الأنواع المختلفة من السياح عندما تُستهدف يحدث عداوة بين هذه الدول حكامًا وشعوبًا وبين الجماعة الإسلامية، فساعدت هذه الدول في الحملة الإعلامية الكبيرة التي قام بها النظام المصري ضد الجماعة الإسلامية والتي أفقدتها الكثير من شعبيتها.
عدد المنتسبين للجماعة الإسلامية بلغ عشرات الآلاف لكن ليس أغلبه من العاملين الفاعلين

للدين حقيقة، ليسوا من الصنف الذي كان يبحث عنه حسن البنا حين أراد أن يصل إلى اثني عشر ألفًا يبدأ بهم المعركة، كان يريد من الملايين المنتسبة للإخوان اثني عشر ألفًا ليخوض بهم معركة إقامة الدولة لكنه قتل رحمه الله قبل أن يراهم، الجماعة الإسلامية رغم عشرات الآلاف من المنتسبين بل ربما وصلوا لمئات الآلاف لم يصبر معها للنهاية أكثر من ثمانية آلاف، انفضت الجموع عند بدء القتال وبدء الاعتقالات طويلة الأمد وعند اشتداد الوطيس.

يأتي سؤال هنا: أين موقع جماعة الجهاد من كل هذه الأحداث؟

بدأت المعركة تستعر بين الجماعة الإسلامية والدولة المصرية-كما قلنا- في ١٩٩٢م واستمرت في ١٩٩٣م وهنا دخلت جماعة الجهاد في المعركة واشتركت مع الجماعة الإسلامية في القتال، حدث نزاع بين الدكتور أيمن والدكتور سيد إمام حول هذا التدخل، أيضًا نُصح كثيرًا الدكتور أيمن بألا يتدخل في هذا القتال، لكن الدكتور أيمن كانت عنده أسباب تجبره على التدخل، أربعة أسباب رئيسة ساهمت في إجباره على التدخل في هذا القتال؛ السبب الأول: جماعة جهاد تعد المقاتلين لقلب نظام الحكم لكن إلى متى سنظل نعد هؤلاء المقاتلين؟ منذ خروج الدكتور أيمن من السجن في ١٩٨٤م وتأسيس الجناح العسكري إلى ١٩٩٢م، لم يصل عدد جماعة الجهاد إلى أكثر من ألفين فإلى متى سنعد؟ حدثني الشيخ المهندس محمد الظواهري أخو الدكتور أيمن الأكبر والذي كان رفيقي في المعتقل فترة طويلة، قال "اجتمعت الشورى في جماعة الجهاد وكنا نناقش إلى متى سنظل نعد؟ وما هو الحد أو العدد الذي بعده نبدأ المعركة؟ هل نعد إلى غير غاية؟" كان هذا أحد الأمور التي حدت بي أن أؤلف كتاب "نظرية النصر في الإسلام"[٤] في هذا الكتاب حددت العدد الذي بعده نستطيع أن نبدأ أي معركة ضد أي قوة مهما عظمت، عرضت الكتاب

---

٤ كتاب "نظرية النصر في الإسلام" تأليف يحيى بن طاهر الفرغلي طباعة دار التقوى بالقاهرة ومنشورات دار الفكر الإسلامي.

على الشيخ محمد الظواهري وأعجب به جدًا، وقال ما معناه أنه لو قرأ هذا الكتاب قبل اجتماع الشورى المشار إليه كان أخذ به، هذا هو السبب الأول "إلى متى سنظل ننتظر"؟
السبب الثاني: نوع من الشهامة والرجولة، فمن الصعب أن تجد إخوانك يُقتلون ويُستهدفون وأنت جالس هكذا لا تقاتل مع كونك مشتركًا معهم في نفس البقعة الجغرافية، هذه الشهامة كانت عند الدكتور أيمن وكانت أيضًا عند عناصر جماعة الجهاد الذين طلبوا وألحوا في الطلب أن يبدأوا المعركة مساندةً لإخوانهم في الجماعة الإسلامية.
السبب الثالث: أن الدكتور أيمن كان يعلم أنه في ظل سعار الأمن وتوسيع دائرة الاشتباه سيُقبض على جماعة الجهاد شاء أم أبى، ولو التزموا الصمت والعمل السري، لأن الأمن كان يقبض على عدد كبير جدًا من الناس حتى من عوام الناس في إطار ما يُسمى بتوسيع دائرة الاشباه وسياسة تجفيف المنابع وذلك ليصل إلى كل فرد من أفراد الجماعة الإسلامية العسكريين ويجفف أي منبع أو رديف أو معين لهم، فكان الدكتور أيمن يدرك جيدًا أنه إن لم يبدأ العمل سيصل الأمن لعناصره ويكشف تنظيماته أثناء بحثه عن عناصر الجماعة.
السبب الرابع: أن هناك توازنًا موجودًا في المجتمع المصري، إزالة الجماعة الإسلامية سيجعل الأمن يستفرد بعدها بجماعة الجهاد ثم بباقي الجماعات، في هذا التوقيت كانت الدعوة منتشرة جدًا سواء الدعوة السلفية أو الإخوانية أو التبليغ والدعوة أو غيرهم، يكفي أنه كان يُسمح بدعوى الجماعة الإسلامية التي تخرج على المنابر وتكفر الحاكم وتدعو للجهاد والإعداد للثورة عليه، كانت مسألة تكفير الحاكم مؤصلة وواضحة جدًا عند الجماعة الإسلامية مذكورة في كتاب "كلمة حق" للدكتور عمر الذي كان مطبوعًا طبعته دار الاستقامة وكان يباع على أرصفة الطرقات وفي كل مكان، أصّلت الجماعة هذه المسألة أيضًا في كتاب "ميثاق العمل الإسلامي" وفي غيره من إصدارات ومنشورات ومطبوعات الجماعة، فإذا كانت تُترك هذه الجماعة تتحدث هكذا فمن باب أولى يترك السلفية والتبليغ والإخوان ... إلخ ولا يتعرض لهم

بأذى، ولكن ذلك إلى حين يُنتهى من معضلة الجماعة الإسلامية، فكان يعرف الدكتور أيمن أنه بعد الانتهاء من معضلة الجماعة الإسلامية ويتفرغ الأمن لمن بعدها سيصعب جدًا على جماعة الجهاد أن تعيد ترتيب صفوفها مرةً أخرى أو أن تصل للعدد أو الحد الذي يسمح لها بالانقلاب، فقال هذه فرصة نستغل الوضع القائم ربما نصل إلى شيء.

دخلت جماعة الجهاد المعركة في ١٩٩٣م، بدأت ببعض الأعمال وكان تركيزها في الأساس في محافظة القاهرة، وكان أول الأعمال الكبيرة التي بدأت بها هو محاولة اغتيال رئيس الوزراء المصري عاطف صدقي سنة ١٩٩٣م، وُضعت ألغام في طريقه وفُجرت، عندما انفجرت لم تصب عاطف صدقي وإن قتلت وأصابت الكثير من حرسه لكنها قتلت أيضًا طفلة تسمى شيماء، كانت مدرسة هذه الطفلة بجانب التفجير، سقط عليها لوح زجاجي من ألواح المدرسة فقتلها، فاستغل الأمن مقتل شيماء وقام بحملة دعائية كبرى ضد الجماعات الجهادية أثرت كثيرًا في العمل الجهادي، العمل الثاني الكبير الذي قامت به جماعة الجهاد في ١٩٩٣م أيضًا هو محاولة اغتيال حسن الألفي وزير الداخلية المصري حيث قام الشيخ نزيه نصحي -وهو أحد كوادر جماعة الجهاد- بتفجير دراجة بخارية يستقلها في موكب الوزير، ولم يصب الوزير إلا إصابة طفيفة وقتل أيضًا عدد من حراسه وقتل الشيخ نزيه نصحي، وفي أواخر هذه السنة تعرضت جماعة الجهاد لضربة كبرى.


رئيس الوزراء عاطف صدقي

قبل الحديث عن هذه الضربة أود أن أشير إلى أن الشيخ عبود الزمر الذي كان أميرًا لجماعة الجهاد (وكان من أسباب الشقاق بين الجماعة الإسلامية والجهاد الخلاف على إمارته وإمارة الدكتور عمر وذلك في أثناء محاكمات ١٩٨١م كما فصلنا) انضم هو وابن عمه الشيخ طارق الزمر إلى الجماعة الإسلامية قبل ١٩٩٢م، وصارا في مجلس شورى الجماعة الإسلامية. وهذا من الأمور التي تبين -أيضًا- أن مسألة العذر بالجهل لم تكن المسألة الأساسية في

افتراق الفريقين، حيث كان الشيخ عبود والدكتور طارق لا يعذرون بالجهل في هذا التوقيت.

وبهذا أصبح الأمير العام لجماعة الجهاد موجودًا في الخارج وهو الشيخ الدكتور أيمن الظواهري،

الدكتور أيمن الظواهري

الدكتور أيمن الظواهري من مواليد ١٩٥١م، في حي المعادي وهو أرقى أحياء مدينة القاهرة وينتمي لعائلتين كبيرتين من جهة أبيه ومن جهة أمه، من جهة أبيه عائلة الظواهري وهي عائلة كبيرة للغاية في مصر وأحد أجداده كان شيخًا للجامع الأزهر، وعائلة أمه عائلة عزام وهي أيضًا من العائلات الكبرى في مصر.

تخرج الدكتور أيمن من كلية الطب سنة ١٩٧٤م، وحصل على ماجستير في الجراحة العامة سنة ١٩٧٨م، بعد ذلك انشغل بالعمل الجهادي وفي قيادة تنظيم الجهاد.

كان يشاطره قيادة جماعة الجهاد –كما قلنا– الدكتور سيد إمام وهو من مواليد ١٩٥٠م، محافظة بني سويف، التحق أيضاً بكلية طب وتخرج منها وتخصص في مجال الجراحة العامة.

وفي ١٩٩٣م، ألف الدكتور سيد إمام كتابه الشهير "الجامع في طلب العلم الشريف"، هذا الكتاب أحدث إشكالاً داخل جماعة الجهاد، كان في هذا الكتاب بعض الغلو، سواءً في مسألة العذر بالجهل حيث كان لا يعذر من يشارك في الانتخابات الديمقراطية مرشحًا كان أو مُنتخِبًا، وسواء كان عن أحزاب علمانية أو أحزاب إسلامية تريد تحكيم الشريعة بهذه الطريقة المنحرفة، ويذكر في كتابه أنه يرى أن كل هؤلاءِ كفار بأعينهم وإن كانوا لا يعلمون أن هذه الانتخابات كفرية ولو كانوا متأولين أن هذا طريق لتحكيم الشريعة، أي حتى من يذهب من أجل انتخاب مرشحين إسلاميين يرى كفره بعينه –أشار أو صرح بهذا في كتابه–، واعتبر –أيضًا– الجماعة الإسلامية من غلاة الجهمية لأنهم لا يكفرون بالموالاة، هذا الكتاب كان في وقت يسعى فيه الدكتور أيمن لعمل اندماج بين الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد، يريد أن يعيد وحدة التنظيم مرة أخرى في مواجهة النظام المصري، نحن نقاتل وأنتم تقاتلون فلماذا لا نتوحد؟ فرفض الدكتور أيمن صدور الكتاب بهذه

الطريقة، وهذا أحدث شرخًا في جماعة الجهاد، أيضًا الدكتور سيد إمام كان لا يرى دخول جماعة الجهاد القتال في مصر مشاركةً مع الجماعة الإسلامية ولكن أصر الدكتور أيمن ودخل تنظيم الجهاد في القتال.

تطور الأمر أكثر بعد ذلك حين قام الدكتور أيمن مع مجموعة علمية تابعة لجماعة الجهاد بإزالة المواضع التي فيها غلو من كتاب سيد إمام، عندما نشر الكتاب دون هذه المواضع ثارت ثائرة سيد إمام، وفاصل جماعة الجهاد، والتزم العزلة أخذًا بما يروى عن النبي ﷺ "حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا، وهوى متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك – يعني – بنفسك، ودع عنك العوام" [٥]، واعتزال سيد إمام جماعة الجهاد كان تقريباً في ١٩٩٥م، وبدأ حرباً ضروساً فكرية ضد جماعة الجهاد.

نرجع إلى ما أشرنا له سابقًا عن الضربة الكبيرة والمصيبة التي تلقتها جماعة الجهاد في ١٩٩٣م، وذلك بعد محاولتها اغتيال حسن الألفي، كان الدكتور أيمن في الخارج في أفغانستان، وكان هناك من ينوب عنه في قيادة العمل العسكري في الداخل لكن بطريقة التنظيم العنقودي، فاستطاع الأمن القبض على أكثر من ألف مقاتل من مقاتلي جماعة الجهاد، كلهم عسكريون، فيما عرف بعد ذلك بتنظيم طلائع الفتح، وكان القبض عليهم بنفس الطريقة المعهودة المكررة للقبض على التنظيم العنقودي والتي أشرنا إليها كثيرًا، وكانت هذه ضربة قاصمة لجماعة الجهاد، لكنها استمرت في العمل الجهادي في مصر إلى سنة ١٩٩٥م.

قبل أن أتحدث عن أحداث ١٩٩٤م، سأسرد نُبذة عني، لأني في هذه السنة منّ الله علي بالالتحاق بركب المجاهدين وانضممت إلى من يسير في طريق إعادة الخلافة.

ولدت سنة ١٩٧٦م لأب وأم مصريين، في جمهورية أوغندا، سبب ولادتي

٥ رواه أبو داود وابن ماجة والترمذي وقال حسن غريب، وضعفه الألباني

في أوغندا أن أبي كان يكثر الترحال، انتقلت بعد ولادتي لأعيش في حي المعادي في محافظة القاهرة في جمهورية مصر، وهو محل إقامة أسرتي في مصر.

قدر الله أن يكون أبي من المنتمين لجماعة الإخوان المسلمين قبل سنة ١٩٥٤م، لكنه بعد ذلك تركهم، تركهم تنظيميًا وإن ظل مقتنعًا بفكرهم، وكان هذا سببًا في تنشئتي نشأة دينية، كان يوجد أيضًا في بيتنا مكتبة كبيرة من مختلف أصناف الكتب الشرعية والفكرية المنتمية لأفكار الجماعات الإسلامية.

طُبعت على حب القراءة قرأت الكثير جدًا من الكتب، أذكر أنني بدأت قراءة فقه السنة وأنا ابن اثني عشر سنة، وبدأت في قراءة " فتح الباري شرح صحيح البخاري " وأنا ابن خمس عشرة سنة وغير هذا من الكتب الكثير، كنت –أيضًا- أحب طلب العلم عند المشايخ، فحضرت لأغلب مشايخ القاهرة، بل ذهبت أيضًا لطلب العلم في الإسكندرية وحضرت لمشايخ الإسكندرية، حضرت في القاهرة –على سبيل المثال لا الحصر- للدكتور جمال عبدالهادي وهو من الإخوان المسلمين والشيخ وجدي غنيم وهو من الإخوان المسلمين أيضًا والشيخ حازم صلاح أبو إسماعيل وهو أيضًا من الإخوان المسلمين، حضرت لأسامة القوصي قبل انحرافه البين وكان من السلفية العلمية، حضرت للشيخ محمد عبدالمقصود وللشيخ فوزي السعيد وكانوا ينتموا للسلفية الجهادية، وللشيخ مصطفى محمد كان ينتمي لشيء وسط بين السلفية العلمية والسلفية الجهادية، وللشيخ عطاء عبداللطيف في الفقه وأصول الفقه وكان أقرب للسلفية العلمية، لم تكن هذه التقسيمات في هذا الوقت –أوائل التسعينيات- محددة متضحة كما هي الآن، حضرت للشيخ الدكتور عمر عبدالعزيز وكان من سلفية الأزهر -إن صح التعبير-، حضرت أيضًا للدكتور علي جمعة أصول الفقه وكان في هذا التوقيت قريبًا من الحركات الإسلامية قبل أن يتولى الإفتاء ويحدث له من الانحراف ما هو معروف، وفي الإسكندرية حضرت للشيخ محمد إسماعيل المقدم وكان من أعلم أهل الإسكندرية أو أعلمهم.

تعمدت عند ذكر أمثلة من المشايخ الذين حضرت لهم أن أذكر نماذج من أفكار ومدارس شتى

ومستويات علمية شتى لأبين أني كنت لا أنتمي لفكر معين في هذا التوقيت بل كنت أبحث عن الحقيقة وأبحث عن طلب العلم في مظانه.

بعد نوع من التشتت في طلب العلم والدروس المتشعبة غير المنهجية اتجهت للدراسة المنهجية على يد بعض ممن ذكرت من المشايخ، فأتممت دراسة شرح العقيدة الطحاوية وجامع العلوم والحكم وأجزاء كبيرة من فقه السنة (بشرح الشيخ مصطفى محمد) وأجزاء كثيرة من أصول الفقه ودراسات أخرى متنوعة في العقيدة والتفسير والحديث والتاريخ الإسلامي وغير ذلك من المواد الدراسية المنهجية، وكان كل هذا قبل اعتقالي ودخولي السجن، لكن في نفس الوقت كنت أحب العمل الجهادي وأبحث عن المجاهدين في منطقة المعادي، ورغم أن الدكتور أيمن الظواهري والباشمهندس محمد الظواهري كانا أبناء حي المعادي ، لكن الحي في الحقيقة كان فقيرًا في الفكر الجهادي.

كان أول احتكاك لي بالفكر الجهادي في عام ١٩٩٢م، كنت طالبًا في الثانوية العامة، قابلت أحد المنتمين لجماعة الجهاد وأعطاني بعض كتب جماعة الجهاد منها كتاب العمدة لسيد إمام وبعض الكتب الأخرى غير المشهورة [الكتب الصفراء التي أشرت إليها سابقًا وغيرها]، ومن شدة نهمي للقراءة قدر الله أن أقرأ هذه الكتب أثناء دراسة الثانوية العامة، ولكن قُبض على الأخ الذي أعطاني الكتب فانقطعت الصلة التنظيمية بيني وبين جماعة الجهاد بعد أن كنت قرأت أغلب الكتب الفكرية لها.

تخرجت من الثانوية العامة في ١٩٩٣م بمجموع يؤهلني لدخول كلية الطب وهي كلية القمة كما يسمونها، لكن لأن أغلب قراءاتي كانت المواد الشرعية والفكرية وقراءات في مادة الفيزياء حيث كنت أحب هذه المادة حبًا جمًا بالذات الفيزياء النووية، رفضت دخول كلية طب وقررت دخول كلية هندسة جامعة القاهرة، كنت قبل ذلك أود أن أدخل كلية عسكرية بهدف مشابه لهدف الشيخ عصام القمري أي أن أتسلل داخل الجيش المصري، لنحكّم

الإسلام في النهاية، لكني استشرت أحد مشايخي وهو الشيخ محمد عبدالمقصود، ذهبت إلى بيته واستشرته في هذا الأمر فسألني:

"هل أنت منتم إلى جماعة؟"

– قلت له: "لا لم أنتم لجماعة بعد"،

فقال: "إذا دخلت قد تفتن ولن تصل في الغالب إلى شيء،

فاصرف نظر عن هذا الأمر"، أخذت بفتواه وصرفت نظر عن دخول كلية عسكرية وقررت دخول كلية الهندسة نظرًا لشدة تعلقي بمادة الفيزياء، كلية هندسة فيها الكثير من الأقسام، لكن أول سنة تكون سنة تمهيدية تسمى "إعدادي هندسة" تختار بعدها –في السنة الثانية– القسم الذي تود التخصص فيه فكنت أنوي بعد انتهائي من إعدادي هندسة أن أذهب إلى الإسكندرية لأحصل على إجازة في الهندسة النووية حيث لم يكن يوجد قسم للهندسة النووية إلا في محافظة الإسكندرية، لكن حدث تطور كبير صرفني عن هذه الفكرة، هذا التطور هو انتمائي للجماعة الإسلامية التي تعرفت عليها بعد الالتحاق بكلية هندسة سنة ١٩٩٣م، [حصلت على الشهادة الثانوية في الشهر السادس ١٩٩٣م، ثم دخلت كلية هندسة في الشهر التاسع ١٩٩٣م].

تحصلت على الكتب الفكرية للجماعة الإسلامية أوائل سنة ١٩٩٤م، كانت الجماعة الإسلامية لها لقاء أسبوعي دعوي علمي في جامعة القاهرة، هذا اللقاء كان يُضيق عليه جداً، فبالتالي لم أكن أستطيع حضور هذا اللقاء إلا قليلًا وبنوع من المغامرات مثل مغافلة الأمن والقفز على سور الجامعة وما شابه، وذلك لأن مبنى كلية هندسة منفصل عن مبنى الجامعة الرئيسي، فقامت الجماعة بإعطائي الكتب الفكرية لها، قمت في هذا التوقيت بمقارنة هذه الكتب بكتب جماعة سلفية الإسكندرية، كانت سلفية الإسكندرية وقتها قريبة للغاية من الفكر الجهادي، ولكن ترى عدم الاستعجال في العمل الجهادي وتنكر على الجماعة الإسلامية استعجالها، فكان يوجد كتاب لجماعة سلفية الإسكندرية يسمى (تحصيل الزاد لتحقيق الجهاد) للشيخ

سعيد عبدالعظيم هذا الكتاب كان يرد على كتاب (حكم الطائفة الممتنعة عن بعض شعائر الإسلام) للجماعة الإسلامية، قمت بمقارنة الكتابين ووجدت أن كتاب الجماعة الإسلامية أكثر قوة علمية بكثير من كتاب الدكتور سعيد عبدالعظيم وهنا قررت أن أنضم إلى الجماعة الإسلامية وذلك في حدود شهر خمسة سنة ١٩٩٤م، لكن عندما انضممت للجماعة الإسلامية كانت الجماعة الإسلامية قد تلقت ضربة كبرى مشابهة لضربة جماعة الجهاد، ضربة أمنية كبرى.

قبل البدء في الحديث عن الضربة الكبيرة التي تلقتها الجماعة الإسلامية، قد يثور تساؤل:

لماذا لم أنتم إلى جماعة الجهاد وانتميت إلى الجماعة الإسلامية؟

جماعة الجهاد كما قلنا جماعة سرية تحصلت على كتبها -كما أشرت- بصعوبة، ثم بعد ذلك قُبض على صاحب الكتب فانقطع الخيط الوحيد الذي يمكن أن يوصلني بهم، أيضًا توجد أسباب فكرية وحركية، لكن الشاهد أني لو أردت أن أنتمي إلى جماعة الجهاد لم يكن يوجد طريقة للوصول إليها في هذا التوقيت بعد الضربة القوية التي تلقتها، وللسرية التي تعتمدها هذه الجماعة.

في الشهر الرابع من سنة ١٩٩٤م كانت الجماعة الإسلامية في أوج قوتها وكانت تمثل تهديدًا فعليًا للحكومة المصرية وكان يوجد نوع من توازن القوى، صحيح أنه حدثت ضربة قوية لجماعة الجهاد، لكن الجماعة الإسلامية ما زالت في أوج قوتها وتوجت هذه القوة باغتيال اللواء رؤوف خيرت وهو رئيس النشاط الديني في أمن الدولة وهذا منصب كبير للغاية في الدولة المصرية، يعتبر هذا ثاني أكبر شخصية كبيرة تقتل في هذه الأحداث بعد رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب، لكن لم تدم فرحة الجماعة الإسلامية كثيرًا حيث إنه في أواخر هذا الشهر قُبض على الشيخ طلعت ياسين الذي كان أمير الجناح العسكري للجماعة الإسلامية على مستوى القطر المصري، وقد تولى الإمارة بعد القبض على الشيخ ممدوح علي يوسف والشيخ صفوت عبدالغني في قضية المحجوب كما فصلنا سابقًا، الشيخ طلعت ياسين كان -أيضًا- من الذين أفرج عنهم بعد محاكمات ١٩٨١م، وقد قتل الشيخ طلعت ياسين بعد القبض عليه-في الغالب قتل تحت التعذيب بعد أخذ بعض المعلومات

منه-، قبض أيضًا على شخص كان يعمل مساعدًا له يسمى محمود مبروك والذي قام بنفس الدور التي قام به علي عشماوي وهنداوي دوير وعبد المجيد الذين تحدثنا عنهم من قبل، قام بالثرثرة كثيرًا في التحقيقات مما أدى إلى القبض على حوالي ألف من المقاتلين التابعين للجماعة الإسلامية، ألف من الجناح العسكري للجماعة الإسلامية ومن الذين لهم صلات به قبض عليهم بسبب محمود مبروك وبسبب أيضًا التنظيم العنقودي الذي تحدثنا عنه كثيرًا، في الغالب أيضًا قبض على الشيخ طلعت ياسين بطريقة القبض المكررة على التنظيم العنقودي، يقبض على شخص صغير فيعذب فيأتي بالذي بعده والذي بعده وهكذا، وكان التعذيب في هذا الوقت شديدًا جدًا يفوق التصور، كانت الدولة معرضة للانهيار فكانوا يستخدمون أقصى وأقسى ما يمكن استخدامه، وكانت الدول الغربية تغض الطرف عنهم.

لكن بعد القبض على الشيخ طلعت ياسين وبسبب العلاج الجزئي لمعضلة التنظيم العنقودي حيث كانت القيادات الكبيرة لتنظيم الجماعة الإسلامية في الخارج في أفغانستان وغيرها، لم يتوقف العمل الجهادي، أيضًا كانت الأعمال العسكرية للجماعة موزعة في الكثير من محافظات القطر المصري، كانت أسيوط في هذا التوقيت قد انتهى العمل الجهادي فيها لصالح الأمن المصري، وبدأ عمل جديد قام به الأمن على محافظة المنيا وبدأت معركة كبيرة هناك فكان القتال مستعرًا في محافظة المنيا وفي بعض المحافظات الأخرى لكن بوتيرة أقل، في محافظة القاهرة -بعد ضربة الشيخ طلعت- استمر العمل الجهادي ولكن بوتيرة ضعيفة جدًا، تولى العمل العسكري بعد الشيخ طلعت ياسين الشيخ سعيد عبدالحكيم، والذي كان طالبًا في الفرقة الرابعة في كلية دار العلوم، لكن الجماعة الإسلامية فكرت في طريقة جديدة كي لا تتكرر مصيبة الشيخ طلعت ياسين فإن خسارة ألف مقاتل في هذا الوقت خسارة كبيرة جدًا وضربة قاصمة، قررت الجماعة أن تكون كل محافظة مستقلة بذاتها وتتصل مباشرةً بقيادة التنظيم في أفغانستان، فكان الشيخ سعيد عبد الحكيم أميرًا على محافظة القاهرة فقط وجزء من محافظة المنيا وتوزعت الأمراء في محافظات الأخرى، الشيخ سعيد

عبدالحكيم تلقى تدريبًا بسيطًا جدًا قد يكون أسبوعًا واحدًا فقط من التدريب العسكري تولى بعدها القيادة، وأغلب المنتمين للتنظيم العسكري للجماعة الإسلامية في هذا الوقت كانوا يتلقون تدريبًا يسيرًا جدًا قد يصل إلى ثلاثة أيام فقط، يتعلم فقط استخدام البندقية والفك والتركيب وما إلى ذلك من الأمور واستخدام المتفجرات، الظروف لم تكن تسمح بفترة تدريبٍ كافية كما كان الحال من قبل، وكان يأتي بين الحين والآخر مجموعات من أفغانستان يقبض على أغلبها وتظل البقية تعمل، كانت هذه فعلًا الإضافة الحقيقية والقوة الحقيقية للجناح العسكري للجماعة لكن لم تكن تكفي بحال لإقامة عمل يثمر النتيجة المرجوة.

وقد وعدت في الجيل الأول أن أبين كيف أن الوصول إلى رئيس الجمهورية ليس أمرًا عسيرًا كما يتخيل الكثيرون، وسأحكي هنا قصة تبين الأمر، وأشير أنه قد حدثت أكثر من ثمان محاولات لاغتيال حسني مبارك لم تنجح جميعها لأسباب شتى (لا علاقة لها بقوة أمنيات مبارك أو ما شابه) أغلبها يُبين سهولة الوصول لرئيس الجمهورية رغم كل الاحتياطات لكن كانت هناك محاولة مميزة للغاية، في هذه المحاولة ارتدى أحد الإخوة بدلة تشبه كثيرًا بدل أمن الدولة بدلة أنيقة وكرفات ووضع سماعات في أذنه وارتدى نظارة سوداء وكان الأخ جسيمًا ضخم الجثة وانتظر في مكان علم أن حسني مبارك سيأتي إليه (افتتاح مشروع أو ما شابه لا أتذكر تحديدًا)، وعندما يأت مبارك إلى مكانٍ من الأماكن يتجمع أكثر من جهاز أمني لحمايته، يتجمع جهاز المخابرات الحربية والمخابرات العامة وأمن الدولة والحرس الجمهوري، فعندما دخل بينهم كان كل جهاز يظن أن الأخ تابع للجهاز الآخر فلم يسأله أحد إلى من تتبع أنت؟، إلى أن خرج حسني مبارك أمامه، وكان بينه وبين حسني مبارك حوالي سبعة أمتار كما حدثني الأخ بنفسه لكنه لم يتمكن من إخراج مسدسه وإطلاق النار عليه لظروف شخصية حدثت معه منعته من هذا الأمر، حكم على الأخ بالمؤبد وخرج من السجن بعد أحداث يناير ٢٠١١م، لن أذكر اسمه حفاظًا عليه من أن يناله أذى في هذا التوقيت أسأل الله أن يعافيه.

نعود إلى الشيخ سعيد عبد الحكيم الذي بدأ تنظيم العمل العسكري داخل القاهرة وكان عمره في هذا التوقيت ٢١ سنة فقط، وقد انضممت للجناح العسكري للجماعة الإسلامية في الشهر التاسع سنة ١٩٩٤م بعد طلب الشيخ سعيد مني ذلك، كانت الجماعة تنقسم إلى جناح دعوي وجناح عسكري عندما انضممت لها في الشهر الخامس من سنة ١٩٩٤م كنت منتم للجناح الدعوي وكانت فكرة إكمال دراستي في قسم هندسة نووية مازالت تسيطر عليّ لما أجد في هذا من فائدة كبيرة للإسلام والمسلمين، لكن لما طلب مني الشيخ سعيد الانضمام للجناح العسكري لم يمكنني بحال رفض الأمر أو طلب الاعفاء منه فقد كانت الكفة قد مالت بشدة لصالح النظام المصري وكان العمل الجهادي كله – التابع للجماعة الإسلامية – على وشك الإلغاء تمامًا بسبب الضعف الشديد الذي اعتراه، كان يوجد في هذا الوقت أكثر من عشرة آلاف معتقل يصر الأمن أن يعتقلهم إلى ما لا نهاية، دعوة الجماعة وُقفت تمامًا، فكان لابد من القيام بالمستطاع من أعمال عسكرية للضغط على الدولة لتترك الدعوة وتفرج عن المعتقلين، بدأ الشيخ سعيد عبد حكيم في جمع أعداد كبيرة من طلبة الجامعة المنتمين للجماعة الإسلامية ليقوموا بالعمل العسكري، فصرفت نظر عن قسم الهندسة النووية والتحقت بقسم هندسة الكهرباء بهندسة القاهرة، لكن كان هناك خطأ كبير وقعت فيه الجماعة الإسلامية في هذا التوقيت، فقد كان يخرج أعداد كبيرة للجهاد ينتقلون من الدعوة إلى الجهاد دون أي تدريب يتلقونه أو بتدريبٍ يسيرٍ جدًا، في المنيا على سبيل المثال خرج في أحد قرى مركز ملوي ثلاثون من الجناح الدعوي إلى العسكري وانطلقوا في مزارع القصب، ونبات قصب السكر نبات له ارتفاع عال يستطيع أن يختبئ فيه المجاهدون، الثلاثون هؤلاء كان معهم مسدس واحد فقط، ثلاثون رجلًا خارجون لقتال الدولة المصرية ومعهم مسدس واحد فقط!! كان هذا –حقيقةً– إلقاء بالنفس في التهلكة، نفس الأمر حدث معنا في القاهرة، عدد ينتمي للجناح العسكري غير مدرب ويطلب منه أعمال كبيرة تخالف تمامًا القدرة العسكرية الموجودة عندهم، أتى إلينا اثنان من كوادر الجناح من أفغانستان حاولوا تدريبنا لكن لم ييسر مكان

للتدريب فترة طويلة انتهت بالقبض علينا دون الحصول على أي تدريب حقيقي.

أفصّل هنا في شق التنظيم الخاص بالشيخ سعيد لأنه نموذج معبر عن غيره فيقاس عليه.

كان يوجد عنقود تابع لتنظيم القاهرة بقيادة الشيخ سعيد وصلت لنا إخبارية أن هذا العنقود (الفرع) مخترق فصدر أمر لقائد هذا الفرع بأن يتوقف تمامًا عن أي عمل وأن يقطع اتصالاته تمامًا بتنظيم القاهرة الذي يتولى قيادته الشيخ سعيد، هذا الفرع كان على قيادته أحد الْمُدَرَّبين في أفغانستان لكنه لم يستجب للأمر وبدأ يبحث عن أي هدف لئلا يظل هكذا ساكنًا بلا عمل هو والمجموعة التي معه، الهدف الذي يُسر له في هذا الوقت هو الكاتب نجيب محفوظ.

الجماعة الإسلامية لم تكن ترغب أبدًا في اغتيال نجيب محفوظ، رغم أن نجيب محفوظ له رواية تسمى "أولاد حارتنا" هذه الرواية تعدى فيها على ذات الله ﷻ وعلى أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم فمنع الأزهر طباعة هذه الرواية، لكن نجيب محفوظ لم يكن له موقف عدائي كبير مع الجماعة الإسلامية ومع العمل الجهادي، كان يوجد الكثير من الأهداف أولى منه وأكثر أثرًا في الحكومة المصرية وأقل في الضرر الإعلامي، لكن ما تيسر أمام هذه المجموعة هو نجيب محفوظ كان هدفًا يسيرًا للغاية حيث لم يكن له إلا حارس واحد فقط مسلح بمسدس فكان من السهولة أن يُستهدف، وهذا ما تحدثنا عنه قبل في قضية وزير الأوقاف الذهبي الذي قتلته جماعة شكري مصطفى، حين كان الأمن المصري يريد أن يكون هذا هدفًا، الأمن لا يملي على الجماعات بلسانه من تستهدف لكنه ييسر لهم هذا الأمر كأنه يملي بدلالة الحال فيلتقط بعض السذج الطعم للأسف.

وغرض الأمن أن يستغل هذا بطريقة إعلامية وهو مما يبين الأهمية القصوى للحرب الإعلامية.

بالفعل حدثت محاولة اغتيال نجيب محفوظ، قام أحد الإخوة بطعنه بمطواة في رقبته –هذا ما تيسر له من سلاح في هذا التوقيت– لم يمت نجيب محفوظ وقتل الأخ قائد الفرع الذي أتى من أفغانستان الفرع الذي كان تحت الشيخ سعيد عبدالحكيم، وصدر حكم بالإعدام على اثنين من المشاركين في هذا العمل وقتلا، وعلم الأمن —عن طريق التحقيقات مع هذا الفرع– بأمر الشيخ سعيد عبد

الحكيم وإمارته لتنظيم القاهرة ومع ذلك لم يقدر على الوصول له مباشرة بسبب قطع الاتصالات مع هذا العنقود –كما أسلفنا– لكن كانت بداية الخيط الذي أدى في النهاية إلى القبض على الشيخ سعيد وتنظيم القاهرة، حيث بدأوا في البحث الحثيث عنه وصل الأمر إلى أن قاموا بالقبض على أكثر من خمسمائة شخص من المدنيين الذين يُشك في معرفتهم بالشيخ سعيد كما قبضوا على أبيه وأمه كرهائن، كانت نتيجة هذا القبض العشوائي الكبير أن وصلوا إليه بعد ثلاثة أشهر تقريبًا وكان هذا في الشهر الثالث سنة ١٩٩٥م وبعد القبض على الشيخ سعيد وعلى إثر تعذيب شديد يفوق الخيال تعرض له قُبض على باقي تنظيم القاهرة والجزء التابع له في محافظة المنيا، لم يكن هذا التنظيم قد قام بعد بأي عمل حيث حدثت عراقيل كثيرة بدأت بالقبض على مجموعة نجيب محفوظ ثم القبض على مجموعة بعدها في تفاصيل لا يسمح الاختصار بالحديث عنها، لكن الشاهد أنه قُبض على كل التنظيم دون أن يطلق طلقة واحدة، وضبط مع التنظيم بعض الأسلحة الخفيفة اليسيرة، صدر حكم بإعدام الشيخ سعيد عبدالحكيم، رغم أن التنظيم كما أكدنا لم يفعل شيئًا ولم يُتهم بفعل شيء، لكن مفتي الجمهورية في هذا التوقيت نصر فريد واصل عندما أحيلت له أوراق القضية كما هي العادة القانونية المتبعة وافق على قتله معللًا هذا الحكم بأنه قتل تعزير –وقد رأيت هذا في حيثيات الحكم بعيني رأسي–، هكذا يفعل كل من يتولى منصب الإفتاء في الحكومة المصرية يُرسل إليه أوراق المجاهدين المحكوم عليهم بالإعدام فيُصدر فتوى بالموافقة على هذا الحكم، وإن كان رأيهم رأيًا استشاريًا لكنهم يصدرون فتوى بالموافقة لئلا يخالفوا أوامر ولي نعمتهم الطاغية الذي يحكم البلاد، هم في النهاية كما يعلم الجميع مجرد شيوخ للسلطان، وقد قبض عليّ تبعًا لهذا التنظيم بتاريخ ٢٣\٣ \ ١٩٩٥م، وبدأتُ رحلة سجن طويل سيكون لنا معها بعض الوقفات في الجيل الرابع بإذن الله، وقد كان هذا السجن فضلًا ونعمة منّ الله ﷻ عليّ بها في مجال التحصيل العلمي حيث كنت أحصل في السنة الواحدة أضعاف أضعاف ما أحصله في سنوات خارج السجن.

أصدر الدكتور أيمن الظواهري في سنة ١٩٩٥م قرارًا بإيقاف عمليات جماعة الجهاد داخل مصر بسبب الضرر الشديد الذي تجلبه هذه العمليات على التنظيم دون فائدة تذكر، لكنه لم يعلن هذا، بينما استمرت الجماعة الإسلامية سنتين بعد ذلك في قتال النظام المصري. قبل ذلك فكر الدكتور أيمن وسعى لاندماج بين الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد لكن كان يخرب هذه الفكرة حديث سيد إمام عن الجماعة الإسلامية في كتابه الجامع في طلب العلم الشريف، وحدث خلاف كبير بينهما نتيجة لحذف كلامه عن الجماعة من الكتاب –كما أشرت سابقًا–، الشاهد أن هذا الاندماج لم يُقدر له النجاح لأسباب كثيرة غير ما ذكر لا يوجد مجال لذكرها هنا، لكن الجماعة الإسلامية بعد قرار الدكتور أيمن الانسحاب من العمل الجهادي داخل مصر، أصرت على الاستمرار في العمل العسكري رغم أنها فقدت قدرتها على إحداث أي عمل جديد مؤثر في محافظة القاهرة بعد الضربات القوية التي تلقتها بمقتل الشيخ طلعت ياسين ثم بعد ذلك القبض على الشيخ سعيد عبدالحكيم وتنظيمه الذي كنت أنتمي إليه، استمرت العمليات في محافظات أخرى بالأخص محافظة المنيا حيث كانت الطبيعة هناك تساعد نوعًا ما على استمرار المعارك.

طبيعة الجغرافيا المصرية عمومًا لا تساعد أبدًا في معارك حرب العصابات، ولا هذا النوع من المعارك الذي كانت تقوم به الجماعة الإسلامية (وهو ما يطلق عليه اسم معارك "البرغوث والكلب") ناهيك عن الأثر الشديد للإعلام، الإعلام كان له أكثر من تسعين في المئة –بدون أي مبالغة– من المعركة، التشويه الإعلامي للجماعات الإسلامية جعل من الشعب عدوًا للجماعات الإسلامية فبالتالي كان من السهولة جدًا إذا حدث أي خطأ من أي فرد من أفراد الجماعة الإسلامية أو جماعة الجهاد أن يُبلغ عنه ويُقبض عليه مما يؤدي في النهاية إلى القبض على باقي التنظيم.

بالنسبة لفكرة التنظيم العنقودي أو معضلة التنظيم العنقودي أذكر في هذا الصدد أن الشيخ محمد الظواهري تحدث معي أنه في جلسة لشورى جماعة الجهاد أرادوا أن يضعوا حلًا لهذه المعضلة وما تسفر عنه من مصائب، خاصة بعد القبض على تنظيم طلائع الفتح الذي قبض فيه على أكثر

من ألف من المنتمين إلى جماعة الجهاد، فكان من الأفكار التي وضعوها أن يُقسم المجاهدون إلى عناقيد داخل المنطقة المراد العمل العسكري فيها ثم سحب كل قادة العناقيد خارج البلاد، ووضع قادة عناقيد مجهولين للعناصر على رأس المجموعات الموجودة، وهذا أيضًا لم ينجح، لأنها فكرة نظرية أكثر منها عملية.

استمرت عمليات الجماعة الإسلامية ضعيفة جدًا بطريقة لا يمكن أبدًا أن تحقق الغرض المطلوب منها وقد أدى هذا في النهاية بالجماعة الإسلامية أن تعلن في اليوم الخامس من الشهر السابع سنة ١٩٩٧م، وقف الأعمال القتالية داخل مصر في مبادرة اسمتها "مبادرة وقف العنف" لتبدأ بعدها سلسلة من التنازلات والتراجعات سنتحدث عنها بالتفصيل بإذن الله تعالى في الجيل الرابع، لكن الشاهد أن الجماعة حين قررت وقف الجهاد في هذا الوقت لم تكن قد أظهرت تراجعات فكرية أبدًا، بعد ذلك بثلاثة أشهر في سبتمبر ١٩٩٧م، قامت مجموعة تابعة للجماعة الإسلامية بالعملية الشهيرة المسماة ب"عملية الأقصر" هذه العملية أدت لمقتل أكثر من اثنين وستين سائحًا كانوا في مدينة الأقصر، استنكرتها قيادة الجماعة الإسلامية داخل السجن بشدة فلم تستفد منها شيئًا، بل جلبت عليها الكثير من الأضرار، لأنها حدثت بعد إعلان المبادرة وبعد أن قررت الجماعة حقيقةً وقف العمليات القتالية، سبب عملية الأقصر كان أن الشيخ رفاعي طه الذي كان مسؤول الجماعة الإسلامية في الخارج [أما أمير الجناح العسكري فكان الشيخ مصطفى حمزة] يظن أن هذه المبادرة وليدة إكراه ولم يعتد بها وأصدر أمرًا بالقيام بعملية الأقصر، فكانت النتيجة نتيجة عكسية للغرض المطلوب من هذا العمل.

قبل أن ننهي هذه الحقبة لابد أن نذكر محاولات تنظيم الجماعة الإسلامية خارج مصر القيام بأعمال مساندة للعمل العسكري داخلها، حيث إن الأصل أن الجماعة الإسلامية متخصصة في العمل داخل القطر المصري، كانت توجد في هذه الفترة فكرة تسمى "الجهاد القريب أولى من الجهاد البعيد" عملًا بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ

وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} فكان كل تنظيم جهادي يقاتل في بلده؛ إخوة الجزائر يقاتلون في الجزائر وإخوة مصر يقاتلون في مصر وهكذا، ليست الفكرة مبنية على تقسيم سايكس بيكو ولكن امتثالًا لفهم أمر الله من الآية، لكن الجماعة الإسلامية أرادت دعم التنظيم في الداخل بعد الضربات القوية التي تلقاها فخططت لاستهداف حسني مبارك في زيارة له إلى أثيوبيا ورتبت كمينًا له خارج المطار الأثيوبي، لكن حسني مبارك كان قد جاء إلى أثيوبيا مصطحبًا سيارته المصفحة من مصر، وكان هذا ذكاءً منه لأن السيارات الأثيوبية لم تكن سيارات مصفحة.
الجماعة الإسلامية أرسلت مقاتليها من أفغانستان إلى السودان ومن السودان دخلوا إلى أثيوبيا لتنفيذ الكمين، الكمين لم يكن عنده علم أن السيارات قد اسُتبدلت، وكان الكمين مقسمًا إلى ثلاث مراحل؛ المرحلة الأولى مرحلة إطلاق الرصاص على سيارة حسني مبارك فإذا نجا من الإطلاق يدخل في مجال المتفجرات والألغام في المرحلة ثانية ثم إن نجا أيضًا تُطلق قذيفة (R.P.G)على سيارته.

وبالفعل عندما دخل الكمين أُطلق الرصاص فاكتشفوا أن السيارات مصفحة لم يخترقها الرصاص وأصدر حسني مبارك أمره للسائق بالانسحاب للخلف -وهذا أيضًا ذكاء منه- لأن الشخص العادي عندما يتعرض لكمين ينطلق إلى الأمام لكنه أصدر أمره بالانسحاب للخلف فأفلت من كمين المتفجرات وهنا أطلق رامي ال(R.P.G.) قذيفته لكن قدر الله ألا تنطلق لحكمة أرادها الله ﷻ، لعله أراد أن يمهله ليذله بعد ذلك سنة ٢٠١١م.
بالنسبة لتنظيم الجهاد فقد قاموا بتفجير السفارة المصرية في باكستان في ١٩ نوفمبر سنة ١٩٩٥م مما أدى لمقتل القنصل المصري و١٤ آخرين من العاملين بالسفارة حسب الإحصاءات الرسمية وكان الغرض من التفجير كما أشار الدكتور أيمن في كتابه فرسان تحت راية النبي ﷺ أن يكون انهاء العمليات العسكرية في مصر برسالة قوية تحفظ هيبة الجهاد، يعني تكون هذه نقطة النهاية من موقع يبقى نوع من الذكرى المرعبة والهيبة للتنظيم عند النظام المصري.

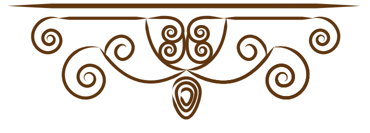
أيضًا قبل أن ننهي الحديث عن هذا الجيل لا بد أن أشير أنه حدثت بعض العمليات ضد النظام المصري من قبل جماعات التكفير التي قلنا إننا لن نتحدث عنها، وكانت عمليات بسيطة جدًا لم تؤثر شيئًا ولم تُحدث أثرًا في النظام وسط الخضم الكبير من العمليات التي قامت بها الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد.

في هذا الجيل أيضًا تكرر ظهور مشكلة التنظيم العنقودي ومشكلة الشخص الذي يثرثر كثيرًا، ضربنا مثالًا بمحمود مبروك وكان يوجد غيره، [محمود مبروك هو الذي كان سببًا في القبض على ألف مجاهد تقريبًا لكن يوجد مثل محمود مبروك في كثير من التنظيمات التي قبض عليها المنضوية تحت التنظيم الأم للجماعة الإسلامية أو التنظيم الأم لجماعة الجهاد] ابتُكرت حلول جزئية -كما تحدثنا- لمعضلة التنظيم العنقودي لكنها لم تحل تمامًا، هل ستحل بعد ذلك؟ هذا ما سنوضحه بإذن الله تعالى في الأجيال القادمة.

أيضًا لابد أن نشير أن حصيلة هذه العمليات من ١٩٩٢م إلى ١٩٩٧م، كان مقتل أكثر من ألفين من أفراد الأمن المصري سواءً أمن أو قيادات أو مفكرين مثل فرج فودة وما إلى ذلك وإصابات لم تعد ولم تحصى بعد، وقتل أكثر من ألف من المجاهدين التابعين للجماعات الجهادية.

بعد انتهاء هذه الفترة بدأ الأمن يضيق على سائر الدعوات سواءً دعوة السلفية أو دعوة الإخوان المسلمين أو دعوة التبليغ والدعوة ... إلخ، كانت العمليات الجهادية حائلًا بين الأمن المصري وبين الاستفراد بباقي الجماعات، وهذه من مزايا هذه الأعمال التي حدثت مع وجود سلبيات كثيرة تحدثنا عنها، في نفس هذا التوقيت -في التسعينيات- فشل الجهاد الجزائري وتحول لمرحلة الغلو ثم انقطع بعد ذلك الجهاد تمامًا هناك بسبب التدخل الفرنسي، في مصر كان تدخل أمريكي بريطاني غربي بالعموم في دعم الحكومة المصرية والسكوت عن جرائمها لتستطيع مقاومة الإسلاميين، وكما ذكرنا فإن مسألة ضرب السياحة وما لها من أثر اقتصادي ضخم لم تفلح بسبب هذا التدخل والدعم المادي الأمريكي والغربي عمومًا، وهنا بدأت الحركات الإسلامية تدرك أنه لا يوجد طريق ممكن لإقامة دولة إسلامية داخل بلادهم عن طريق القتال الداخلي، التجربة المصرية والتجربة

الجزائرية أثرتا كثيرًا في فكر الجماعات الجهادية، وكان هذا الأمر -أي فشل الجهاد المصري والجهاد الجزائري بسبب التدخل العالمي فيهما وفي غيرهما- سببًا في تدشين الجيل الرابع وهو جيل الجهاد العالمي، حيث استقر في أنفس المجاهدين أنه لا بد من هزيمة المنظومة العالمية أولًا قبل أن نفكر في هزيمة الأنظمة الوظيفية داخل بلادنا التي تأتمر بأمر الخارج، وهو ما سنعرض له بإذن الله تعالى في الجيل الرابع من الطريق إلى الخلافة.





قبل أن نبدأ في جيل الجهاد العالمي لا بد أن نؤكد على ملحوظة ذكرناها سابقًا وهي أن الأهمية الكبيرة لما سنذكره ترجع إلى السعي في ألا نكرر الأخطاء مرة أخرى وهذه من أهم الأسباب التي من أجلها قمت بعمل هذا الحلقات، لأنني وقعت في أخطاء لو كنت أعلم أن من قبلي وقع فيها ماكنت وقعت فيها ولا حول ولا قوة إلا بالله، لكن قدر الله و ما شاء فعل، أيضًا أهمية هذه الحلقات في أن هناك -خاصة في الجيل الثالث والرابع والخامس- أحداثًا لم تدون في الكتب وأنا أمثل شاهد عيان على هذه الأحداث، فمن المهم للغاية أن يعرف العاملون للدين هذه الأمور، وأكرر أن هذا الكتاب مجرد اختصار على شكل ومضات وإضاءات لآلاف الصفحات، والصحيح أنه إذا أراد رجل أن يقود حركة جهادية أو أن يكون أحد كوادرها أن يقرأ هذا التاريخ بتمعن وتفصيل.

انتهى الجيل السابق في ١٩٩٧م، حين أعلنت الجماعة الإسلامية مبادرة وقف العنف الشهيرة، وقبلها كان الدكتور أيمن قد انسحب من العمل الجهادي داخل مصر كما بينا، لكن إذا أردنا أن نحقق الكلام في الجيل الرابع لابد أن نرجع قبل ذلك إلى الغزو السوفيتي لأفغانستان.

الاتحاد السوفيتي عبارة عن روسيا الاتحادية -الموجودة الآن- وضمت إليها العديد من الدول في شيء يشبه الاحتلال لكن سمته الاتحاد السوفيتي تحت مظلة الفكر الشيوعي وذلك في النصف الأول من القرن الماضي، من هذه الدول كان هناك دول إسلامية في

آسيا مثل أوزباكستان وطاجكستان ... إلخ، ثم قررت –في سبعينيات القرن الماضي– أن تضم أفغانستان، وكان هذا في إطار صراع محموم بين الاتحاد السوفيتي وبين الولايات المتحدة الأمريكية، الذين مثلا قطبين للقوى في العالم؛ القطب الغربي أساسه أمريكا ومعها الدول الغربية التي تدور في فلكها وأسسوا حلف الناتو العسكري، والقطب الشرقي أساسه روسيا ثم الاتحاد السوفيتي ومعه مجموعة من الدول الشرقية تدور في فلكه الذين أسسوا حلف وارسو العسكري، كان قطب الاتحاد السوفيتي أضعف من القطب الأمريكي رغم أنه أقوى إمبراطورية في العالم بل في التاريخ بعد الإمبراطورية الأمريكية لكنه مازال أضعف من القطب الأمريكي، فأراد الاتحاد السوفيتي –ليوازن ضعفه– التوسع في البلدان والوصول إلى المحيط الهندي حيث المياه الدافئة ليستطيع التوازن مع القوة الأمريكية التي يدور بينه وبينها حرب باردة بدأت بعد انتصارهما المشترك على ألمانيا واليابان ودول المحور في الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥م، وكان طريق الاتحاد السوفيتي إلى المحيط الهندي لابد أن يمر عبر أفغانستان وفعلًا غزا أفغانستان سنة ١٩٧٩م واحتلها وقد كان يخطط بعد أفغانستان أن يستولي على باكستان وبعد باكستان الهند وبهذا يستطيع فعلًا التفوق على الولايات المتحدة الأمريكية، لكن حظه العاثر أوقعه في أفغانستان ذات التضاريس الوعرة والشعب المتطبع بهذه التضاريس بأسًا وقوة وعقيدة إسلامية قتالية لا تلين فقاوموا الاتحاد السوفيتي بشراسة، وهنا وجدت الولايات المتحدة الأمريكية فرصة لعرقلة تقدم الاتحاد السوفيتي عن طريق دعم المقاومة ودعم المجاهدين في أفغانستان، ساعدها وجود باكستان جنوب أفغانستان مباشرةً، وباكستان تدور في فلك الولايات المتحدة الأمريكية –في هذا التوقيت– وعندها استعداد أن تقدم دعمًا غير محدود للمجاهدين الأفغان، أيضًا سعت أمريكا عند الدول العربية الدائرة في فلكها لتسهيل خروج المجاهدين من هذه الدول لمساعدة إخوانهم المسلمين في أفغانستان،

فتعرقل كثيرًا الغزو السوفيتي لأفغانستان، وفي هذا الوقت ظهر فارس الجيل الرابع بلا منازع وأحد أهم الرموز الجهادية في العصر الحديث الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله.

الشيخ أسامة بن لادن من مواليد ١٩٥٧م، في مدينة الرياض وكان من عائلة كبيرة مشهورة بالثراء وتتولى أمور الإنشاءات في المملكة العربية السعودية بأكملها، كانت شبه محتكرة أمور الإنشاءات في المملكة، التحق الشيخ أسامة رحمه الله بكلية هندسة قسم الهندسة المدنية، وورث ثروة كبيرة من أبيه قدرت بأكثر من أربع مئة مليون دولار أمريكي، كان الشيخ أسامة متفوقًا في دراسته في قسم الهندسة المدنية، لكنه ترك كل هذا وهو في العشرينيات من عمره وذهب مجاهدًا في سبيل الله إلى أفغانستان ليساند الجهاد الأفغاني وذلك في أوائل الثمانينيات بعد الغزو السوفيتي بأعوام قليلة.

الشيخ أسامة بن لادن

نرجع قليلًا إلى الجيل الثالث ونُذكّر بأن من خرج من السجون من جماعة الجهاد سنة ١٩٨٤م من الذين حكم عليهم في قضية الجهاد الكبرى بثلاث سنوات وهم الدكتور أيمن ومن معه سافر بعضهم إلى أفغانستان وكان غرضهم من هذا السفر إنشاء معسكرات هناك وفي ذهنهم الجهاد في مصر وليس في أفغانستان، أيضًا من خرج من الجماعة الإسلامية في ١٩٨٨م ذهب بعضهم لإنشاء معسكرات تدريبية هناك لنفس الغرض، لكن مجموعة من الضباط المصريين الذين اشتركوا في أحداث ١٩٨١م، وحكم عليهم بالسجن ثلاث سنوات ذهبوا إلى أفغانستان لمساعدة الأفغان - أساسًا — لم يكن في فكرهم الرجوع إلى مصر، وقد كان يوجد إشكال عند الأفغان في الدبابات وقيادتها وكان هؤلاء الضباط متخصصين في الدبابات فساعدوا المجاهدين الأفغان كثيرًا في هذا الأمر، كما تواصلوا مع الشيخ أسامة بن لادن وكانت لهم مساهمات كثيرة معه، ذِكرُ هذه المجموعة من المصريين مهم لأن الاتحاد السوفيتي، على إثر الضربات

القوية من المجاهدين الأفغان والذين كانت أسلحتهم وخططهم بدائية جدًا لكنهم استطاعوا بفضل الله تعالى ثم بمساعدة إخوانهم من المجاهدين العرب أن يهزموا أقوى إمبراطورية وجدت في التاريخ بعد الولايات المتحدة الأمريكية، أعلن في ١٩٨٧م أنه سينسحب من أفغانستان العام القادم أي في ١٩٨٨م، هنا اقترح الضباط المصريون على الشيخ أسامة الاقتراح التالي، قالوا: "بعد خروج الاتحاد السوفيتي سيوجد إشكال عند المجاهدين العرب –والذين كان عددهم كبيرًا– أين سيذهبون؟ بعضهم يستطيع أن يرجع إلى بلده حيث يوجد تسامح معهم كالسعودية– في هذا الوقت–بل افتخار بهم، أما في دول أخرى لن يستطيعوا الرجوع إلى بلدانهم بل إذا رجعوا سيقبض عليهم، فلماذا لا نقوم بعمل تجمع، نجمع فيه هؤلاء المجاهدين ويكونوا مثل قاعدة انطلاق لأي منطقة أخرى يبدأ فيها الجهاد بدلًا من أن يتفرقوا ويتشتتوا؟ ".

أعجب الشيخ أسامة رحمه الله بهذه الفكرة، فأنشأ في ١٩٨٨م تنظيم "القاعدة"، والمقصود بالقاعدة أنها القاعدة التي ينطلق منها المجاهدون لأي بلد من بلدان الإسلام يقوم فيها سوق الجهاد ليعينوا المسلمين في هذه البلد، لم تكن بعد ظهرت فكرة الجهاد العالمي، وبالفعل خرج الاتحاد السوفيتي من أفغانستان بحلول سنة ١٩٨٩م، ودخل الأفغان في حرب أهلية فيما بينهم وقدّر المجاهدون العرب أن هذه حرب من أجل السلطة فاعتزلوا هذا القتال، وقد كان أشهر من يتبنى الفكر الإسلامي في هذا التوقيت من بين فصائل المجاهدين الأفغان هو "قلب الدين حكمتيار" لكنه لم يكن مُقنعًا ولا مُنفردًا حيث لم يكن هو فقط صاحب هذا التبني بل كان غيره يدعيه أيضًا، فقدر المجاهدون العرب أن القتال قتال من أجل سلطة فنأوا بأنفسهم عنه.

بعد ذلك في ١٩٩٠م تقريبًا، رجع الشيخ أسامة إلى المملكة العربية السعودية، وكان الأمر طبيعياً جدًا حيث كانت السعودية –وقتها– تفتخر بهؤلاء المجاهدين، لكن عند دخول أمريكا إلى السعودية من أجل قتال العراق في ١٩٩٠م على إثر غزو صدام الكويت ، شعر الشيخ أسامة بأنه لابد أن يترك السعودية فتركها وذهب إلى السودان، السودان في هذا التوقيت بعد انقلاب

البشير الذي حدث في ١٩٨٩م كان متسامحًا للغاية مع الحركات الإسلامية بل كان يعتبر نفسه جزءًا من الحركات الإسلامية وكان متسامحًا أيضًا مع الحركات الجهادية، فكان يمثل مأوى مناسباً للغاية للمجاهدين وخاصةً للشيخ أسامة رحمه الله، حيث كان يوجد تبادل منافع بين السودان بقيادة البشير وبين الشيخ أسامة لأن الشيخ قام بالعديد من المشروعات لدعم السودان البلد الفقير المحاصر والمعادى دوليًا، والسودان –من جانبه– وفر مأوى للشيخ أسامة، لكن ظهرت مشكلة عند الشيخ أسامة رحمه الله، لأن الجهاد الأفغاني كان –حقيقة–سببًا في كسر ظهر الاتحاد السوفيتي، بل في إلغاء وانهيار الاتحاد السوفيتي سنة ١٩٩١م، وهذه حقيقة معروفة جيدًا في الأوساط السياسية، وذلك لأن الاتحاد السوفيتي تورط كثيرًا في أفغانستان واستُنزف كثيرًا من قبل المجاهدين، سواءً ماديًا أو بشريًا، فتسبب هذا في انهياره سنة ١٩٩١م، فشعر الشيخ أسامة أنه بانهيار الاتحاد السوفيتي تفردت أمريكا وأصبحت هي القطب الأوحد في العالم تفعل فيه ما تشاء، لكن عندما قام المجاهدون بكسر ظهر الاتحاد السوفيتي لم يريدوا أن يكون هذا لصالح أمريكا، أضف إلى هذا تدخل أمريكا والدول الغربية ضد المجاهدين في الدول التي قام فيها سوق الجهاد كما بينا في الجيل الثالث، فقدمت دعمًا غير محدود للأنظمة الطاغوتية في هذه الدول لتمنع أي سيطرة للإسلاميين على السلطة والحكم بشرع الله والذي سيُتبع بإعلان إقامة الخلافة الإسلامية، فوصل الشيخ أسامة إلى نتيجة وهي أن حل مشكلة العالم الآن هي القضاء أو هزيمة هذا القطب الأوحد أمريكا، وكما نجحنا في كسر ظهر الاتحاد السوفيتي لماذا لا ننجح أيضًا في كسر ظهر أمريكا؟ هكذا فكر رحمه الله، بل صارت هذه الفكرة تسيطر عليه لكنه لم يتخذ إجراءات في صددها في هذا التوقيت، في هذا الوقت كان الدكتور أيمن الظواهري مهتمًا بالمسألة المصرية وكان مقيمًا –أيضًا– في السودان ولكن من أجل مصر وليس من أجل أمريكا.

تدخلت أمريكا في الصومال سنة ١٩٩٣م فوجدها الشيخ أسامة رحمه الله فرصة كبيرة لأسر أمريكا في المستنقع الصومالي كما أُسر الاتحاد السوفيتي في المستنقع الأفغاني، وأرسل بالفعل

الضباط المصريين الذين تحدثنا عنهم سابقًا إلى الصومال ليروا الوضع هناك هل يصلح فعلًا لحرب عصابات وحرب استنزاف ضد أمريكا؟ [هم من حكى لي هذا الكلام لكنهم أصروا علي ألا أذكر أسماءهم لأسباب أمنية]، فكان تقريرهم مُشجعًا للغاية وقالوا "بالفعل وقعت أمريكا في المصيدة وهذا هو المكان المناسب لاستنزاف أمريكا والقضاء عليها بنفس الطريقة التي نجحنا بها في القضاء على الاتحاد السوفيتي"، وكان السودان سيقوم بنفس الدور الذي قامت به باكستان في دعم المجاهدين، لكن باكستان كانت تقوم بهذا الدعم تحت الوصاية الأمريكية أما السودان لم يكن هناك وصاية عليه ولم يكن هناك دعم غير محدود له كما في باكستان وهذه من الفروق المهمة.

أمريكا شعرت بهذه المكيدة وقدرت بأنها ستتورط في المستنقع الصومالي وبعد مقتل تسعة عشر أمريكيًا فقط قررت الانسحاب من الصومال من أجل ألا تتورط في هذا المستنقع خاصة بعد أن علمت أن المجاهدين بدأوا يتجمعون في الصومال من أجلها.

حكى لي الضباط المصريون كيف أن الشيخ أسامة رحمه الله حزن حزنًا شديدًا عندما علم بقرار أمريكا الانسحاب من الصومال، حزن على هذه الفرصة الكبيرة التي أتيحت للإسلاميين لكسر القطب الأوحد وإعادة إنشاء الخلافة مرةً أخرى حتى إنه طلب من المجاهدين أن يحاصروا مطار مقديشو –عاصمة الصومال– ويسعوا لضرب القوات الأمريكية قبل إقلاعها من المطار، فأحست بهم القوات الأمريكية ففرت عن طريق الميناء البحري، وضاعت الفرصة الثمينة من الجهاديين.

الشيخ أسامة لم يقم بعدها بأي عمل آخر ضد أمريكا إلى ١٩٩٦م حين قام السودان بطرد الشيخ أسامة رحمه الله استجابة للضغط الأمريكي، ورجع الشيخ إلى أفغانستان مرةً أخرى، وكان في هذا الوقت توقف الجهاد في مصر بالنسبة لجماعة الجهاد والدكتور أيمن الظواهري ثم بعد سنة توقف جهاد الجماعة الإسلامية وأعلنت مبادرة وقف العنف والتي سيكون لنا وقفة طويلة معها بإذن الله تعالى.

قبل أن نكمل حديثنا لابد أن نشير أنه في ١٩٩٣م، كان الدكتور عمر عبد الرحمن مقيمًا في الولايات المتحدة الأمريكية، الدكتور عمر كما تحدثنا عنه قبل في الجيل الثاني والجيل الثالث كان أمير الجماعة الإسلامية وكانت الولايات المتحدة الأمريكية تدعي أنها نموذج الإنسانية وحقوق الإنسان وأن عندها استعداد أن تأوي المجاهدين -انتبهوا مدى درجة التحول-، لا شك أنها كانت تستغلهم في فترة الجهاد الأفغاني ثم بعد ذلك انقلبت عليهم، فاستغلت أمريكا وجود الدكتور عمر كلاجئ عندها في هذا التوقيت وقامت بتفجير -في الغالب أنه مسرحية- داخل مبنى التجارة العالمي في ١٩٩٣م، حيث دخلت سيارتان في أسفل قبو مبنى التجارة وانفجرت السيارتان واتهم الجهاديون، وكان على رأس من اتهم الشيخ الدكتور عمر عبد الرحمن رحمه الله فقامت السلطات الأمريكية بالقبض عليه وبالتضييق على الجهاديين، وظهرت أمام العالم أنها هكذا معذورة فهي آوت المجاهدين وهم طعنوها في ظهرها، ووجدت هذه فرصة لتبرير انقلابها على الحركات الجهادية، وحكمت على الدكتور عمر عبد الرحمن بالسجن مدى الحياة وقد ظل في سجونها من ١٩٩٣م إلى أن مات في ٢٠١٧م رحمه الله، أسأل الله ﷻ أن يتقبل منه جهاده وصبره.

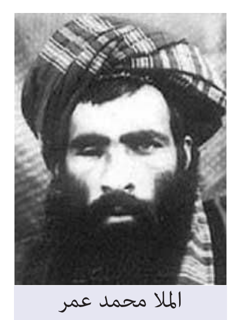

الشيخ عمر عبد الرحمن

سنة ١٩٩٨م، حدث اندماج بين تنظيم القاعدة الذي أسسه الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله في ١٩٨٨م -كما بينا سابقًا- وبين تنظيم الجهاد بقيادة الدكتور أيمن الظواهري وبين الجماعة الإسلامية بقيادة الشيخ رفاعي طه أمير الجماعة الإسلامية في الخارج والشيخ محمد شوقي الاسلامبولي عضو شورى الجماعة الإسلامية في الخارج [الشيخ محمد شوقي الاسلامبولي هو أخو الشيخ خالد الاسلامبولي الذي قتل السادات كما فصلنا في الجيل الثاني]، حدث هذا الاندماج تحت مسمى "الجبهة العالمية الإسلامية لجهاد اليهود والصليبيين" وهذه كانت أول خطوة عملية في طريق الجهاد العالمي.

لكن الجماعة الإسلامية في هذا التوقيت كانت سلكت طريق المبادرة، لم تكن المبادرة واضحة ولا حتى في ذهن من أعلن عنها، كانوا فقط يريدون وقف القتال بأي صورةٍ من الصور، وأعلنوا هذا الوقف بهذه الطريقة لعلهم يستفيدون شيئًا من الإعلان، أما الشيخ رفاعي طه -أمير الجماعة الإسلامية في الخارج - هو والشيخ محمد شوقي الاسلامبولي فقدروا أن هذه المبادرة تحت الإكراه، ولهذا اندمجوا مع الشيخ أسامة والدكتور أيمن لمحاربة القطب الأوحد الذي كان سببًا في فشل العمل الجهادي في مصر، صحيح أن الجماعة كانت تعمل بقوله تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً" فكانت تقاتل في مصر فقط لهذا السبب، لكن بعد معركتها الطويلة مع النظام المصري التي استمرت سبع سنوات اكتشفت أن عاصمة ومركز من يليها من الكفار هي أمريكا والمعسكر الغربي وأنه لا سبيل لتحقيق الهدف المنشود والحكم بالشريعة وإعادة الخلافة إلا بهزيمة أمريكا التي تقدم دعمًا غير محدود لحليفتها بل لربيبتها المخلصة مصر.
لكن قيادة الجماعة الإسلامية في سجون مصر أرسلت إلى الشيخ رفاعي طه تأمره بالخروج من هذا التحالف وأن هذا التحالف يتناقض مع مبادئ الجماعة الإسلامية ومع طريق المبادرة الذي سلكته.
من الأمور التي كانت تفرق بين الجماعة الإسلامية وبين جماعة الجهاد أن السمع والطاعة كان ركنًا ركينًا في تكوين الجماعة الإسلامية، كان يوجد فارق كبير -نوعًا ما- بين عناصر الجماعة الإسلامية وعناصر جماعة الجهاد في مسألة السمع والطاعة حيث كان عناصر الجماعة الإسلامية أكثر التزامًا بكثير بهذه المسألة، هذا الالتزام كان له عدة أسباب منها أن الجماعة الإسلامية أغلبها من صعيد مصر والصعيد يحترم الكبير أكثر من وجه بحري، أيضًا الدعوة العلنية للجماعة الإسلامية ساعدتها في تربية عناصرها كثيرًا على مسألة السمع والطاعة، الشاهد أن الشيخ رفاعي طه التزم السمع والطاعة وقام بالخروج فعلًا من هذا التجمع بناءً على أمر مجلس الشورى في مصر الذي أغلبه أو كله في السجن لكن في النهاية هو القائد الأعلى للجماعة الإسلامية، وهنا بقي في تنظيم "الجبهة العالمية الإسلامية لجهاد اليهود والصليبيين" تنظيم القاعدة وتنظيم الجهاد فقط، فأعادوا

تسميته وسموه "تنظيم قاعدة الجهاد"، وبدأت أول عمليات تنظيم قاعدة الجهاد في أغسطس سنة ١٩٩٨م بتفجير سفارتي الولايات المتحدة الأمريكية في نيروبي عاصمة كينيا وفي دار السلام عاصمة تنزانيا، وكانت مفاجأة كبيرة لأمريكا وقتل العديد من الأمريكان في هاتين العمليتين، وكان رد الولايات المتحدة الأمريكية بقصف مواقع المجاهدين في أفغانستان، في هذا القصف قدر الله أن يكون المجاهدون خارج الكهوف –المقرات– وفوجئوا بأن صواريخ كروز الأمريكية التي انطلقت من الخليج العربي وصلت داخل الكهوف، فوجئوا بهذا التطور الكبير عند الولايات المتحدة الأمريكية الذي هو أكثر بكثير من تطور الاتحاد السوفيتي، واكتشفوا أن المعركة مع أمريكا مختلفة كثيرًا عن معركة الاتحاد السوفيتي.

في هذا التوقيت كانت طالبان قد سيطرت على أفغانستان وبدأت في الحكم بشرع الله ﷻ، لكن هناك إشكال في أفغانستان يجعلنا لا نعتبرها من ضمن الجيل الخامس جيل المناطق المحررة، وهو أن أفغانستان لا تصلح أن تكون نواة لإعادة الخلافة الإسلامية بسبب قلة مواردها، كما أنها دولة حبيسة لا حدود بحرية لها، كما أنها في أطراف العالم، وهذه الأمور مجتمعة لا يمكن أن تسمح أبدًا بأن تكون أفغانستان دولة تعاد الخلافة عن طريقها، بل إن البعض [حزب التحرير] ذهبوا إلى أمير أفغانستان في هذا التوقيت الملا محمد عمر رحمه الله وعرضوا عليه أن يُعلن الخلافة الإسلامية لكنه رفض قائلًا "إن الخلافة أمرٌ كبير لا تستطيع أفغانستان أن تقوم بتبعاته"، ولهذا كان كثير من المجاهدين يعتبرون أفغانستان مجرد قاعدة انطلاق ومكان للإيواء.


الملا محمد عمر

العملية الثانية المدوية لتنظيم قاعدة الجهاد- كان هناك عمليات أخرى لكن نحن نذكر أبرز العمليات فقط - كانت في اليمن وذلك بتفجير المدمرة الأمريكية (يو. إس. إس. كول) في شهر أكتوبر ٢٠٠٠م حيث قتل أكثر من تسعة عشر من جنود البحرية الأمريكية (المارينز) وأصيب عدد كبير آخر، ولم تعد

البارجة صالحة للعمل مرة أخرى، كان التفجير تفجيرًا استشهاديًا حيث قام أحد الاستشهاديين بتفجير قارب في هذه المدمرة، وهنا شعرت أمريكا بالخطر أكثر فأكثر، ثم توجت عمليات تنظيم قاعدة الجهاد بعمليات سبتمبر سنة ٢٠٠١م، حين قام تسعة عشر استشهاديًا بقيادة طائرات مدنية وتحويلها إلى آليات استشهادية ضربوا بطائرتين برجي مبنى مركز التجارة العالمي ودمروهما، وضربت طائرة البنتاغون –وزارة الدفاع الأمريكية–، ولا يخفى أن مركز التجارة العالمي كان رمز الاقتصاد الأمريكي والبنتاغون رمز القوة العسكرية الأمريكية، وقدر الله ألا تنجح الطائرة الرابعة في الوصول إلى البيت الأبيض –وهو رمز الحكم الأمريكي– حيث أسقطتها الدفاعات الأمريكية، وبدأ العالم يتغير تمامًا بعد أحداث سبتمبر لأن الولايات المتحدة استُفزت كثيرًا واستدعت جميع حلفائها وغزت أفغانستان بعد هذه الأحداث بأقل من شهر واحتلتها وحدث تضييق كبير على الحركة الجهادية.


عملية الأبراج

انقسم الجهاديون في تقييم أحداث ١١ سبتمبر إلى ثلاثة أراء، رأي رأى أن مصلحة هذا العمل أكثر من مفاسده وهذا رأي تنظيم القاعدة على رأسهم الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، ورأي رأى أن مفسدة هذا العمل أكثر من مصالحه –يلاحظ أني أتحدث عن الجهاديين الذين يقيمون هذا الأمر في ضوء الشريعة– ، والرأي الثالث: رأى أن هذا العمل إذا كان وراءه أعمال أخرى في نفس قوته كانت أمريكا فعلًا ستنسحب من الدول الإسلامية وتنزوي إلى داخلها مرةً أخرى كما كانت في العصور السابقة ولكن قدر الله ﷻ ألا تتم الأعمال الأخرى بسبب أن أمريكا قامت بالعديد من الإجراءات التي لم يمكن تخيلها.

بالنسبة لي كنت في هذا التوقيت أدرس في الفرقة الرابعة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية قسم سياسة ومن خلال دراستي كنت أعلم جيدًا أنه لو استمرت مثل هذه الأعمال ضد أمريكا أي عملية ثانية وثالثة ورابعة... إلخ في قوة الأولى فإن أمريكا ستنهار رغبتها في الاستمرار في الهيمنة

على العالم وستنزوي إلى داخلها مرةً أخرى، ولكن أمريكا ضربت بحقوق الإنسان التي كانت تتغنى بها عرض الحائط وقامت بتوسيع دائرة الاشتباه وقبضت بالفعل على العديد من الخلايا التي كانت تقدر أن تعيد ١١سبتمبر مرات ومرات، لكن يؤخذ على من خطط لعملية ١١سبتمبر أنه لم يقرأ التاريخ جيدًا حيث إن أمريكا حين تعرضت لخطر مماثل في ١٩٤١م حين قامت اليابان بضربها في (بيرل هاربر) قامت وقتها أيضًا بإلغاء حقوق الإنسان وقبضت على كل من له أصل ياباني في أمريكا –وإن كان حاملًا الجنسية الأمريكية أبًا عن جد– واضعة إياه في معسكرات اعتقال، وهذا ما كررته أمريكا حين قبضت على أغلب من له فكر إسلامي جهادي داخل أمريكا –سواء له علاقة بالقاعدة أو لا، بل ولو كان معاديًا لفكرها– وطردت الباقين، وتتبعت الجهاديين في باقي دول العالم ضاربةً عرض الحائط بكل ما تتغنى به من حقوق الإنسان.

كانت فكرة قاعدة الجهاد – كما قررها الشيخ أبو مصعب السوري في كتابه الرائع "دعوة المقاومة الإسلامية العالمية" الذي جمع فكر قاعدة الجهاد في أكثر من ألف صفحة– حث الأمة الإسلامية على الجهاد واستنهاض همتها، لم تكن الفكرة أن القاعدة بمفردها تستطيع هزيمة أمريكا، هذه فكرة لا يقول بها عاقل فضلًا أن يقول بها كبار العقلاء أمثال الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله وغيره من قادة القاعدة، لكن كانت الفكرة أن تقوم القاعدة باستفزاز أمريكا وكسر أمريكا بأكثر من عملية فيكون نتيجة هذا أن يُحشد باقي أهل السنة وراء القاعدة في جهادهم ضد أمريكا وضد الغرب، لكن الأمر لم يسر بهذه الطريقة لم تستطع القاعدة أن تقوم بعمليات أخرى بعد عملية ١١سبتمبر، عمليات أخرى في مثل قوة هذه العملية، وحشدت أمريكا الدول الإسلامية العميلة ضد القاعدة، وحُشّدت الشعوب الإسلامية عن طريق الإعلام وتشويه صورة القاعدة، فلم تحقق القاعدة الغرض الذي تريده من هذه العمليات.


الشيخ أبو مصعب السوري

يوجد أيضًا رافد فكري –أساسي– آخر لتنظيم القاعدة، وهو كتاب إدارة التوحش لأبي بكر ناجي [اسم المؤلف في الأغلب حركي وهناك من ينسب الكتاب للشيخ أبي مصعب وفي هذه النسبة نظر] هذا الكتاب يُناقش قضية كيفية تجهيز وتدريب المجموعات الجهادية التي تقاوم الكفر العالمي والتي تقاوم أمريكا وما شابهها من الدول، فقال إنه لابد من وجود مناطق ليست تحت سيطرة حكومات لأن الحكومات أغلبها خاضعة للولايات المتحدة الأمريكية وبالتالي المناطق التي تحت سيطرة الحكومات ليست إلا ولايات –في الحقيقة– لأمريكا، فلابد من وجود مناطق فيها نوع من الفوضى مثل جنوب السودان والصومال وما شابه، في هذه المناطق تُدرب المجموعات الجهادية التي تنطلق لعمل عمليات ضد أمريكا وضد الغرب، وسمى هذه الفكرة ب"إدارة التوحش"، لكن هذه الفكرة أيضًا لم يكتب لها النجاح لأن أمريكا سعت لبسط سيطرتها التامة على كل دول العالم، والعمليات بعد ذلك صارت محدودة الأثر كثيرًا.

في هذا التوقيت قامت الجماعة الإسلامية المصرية بشجب عمليات ١١سبتمبر وكانت هذه مفاجأة أن تقوم جماعة جهادية بشجب عمليات جهادية، وكان هذا الشجب بمثابة ورقة اعتماد سمحت بتفعيل مبادرة الجماعة الإسلامية، وذلك أن الأمن المصري في ١٩٩٧م حين أعلنت الجماعة الإسلامية مبادرتها اعتبر هذه المبادرة استسلامًا غير مشروط، وهذا هو التوصيف الحقيقي لها، وكانت الجماعة الإسلامية تتوقع –بعد هذا الاستسلام– أن يُفرج عن عناصر الجماعة، فقد كانت فكرة عمليات الجيل الثالث الجهادية التي قامت بها الجماعة الضغط على الدولة للسماح بالدعوة – الدعوة للجهاد والدعوة إلى إعادة الخلافة – فبعد المبادرة ووقف العمليات ظنوا أنه سيفرج عن الأسرى –المعتقلين– دون السماح بالدعوة، حيث لن يوجد سبب لاستمرار الاعتقال الذي كان في الأصل للقضاء على الدعوة، لكن الحكومة المصرية رفضت تمامًا التجاوب مع المبادرة إلى أن تحرف الجماعة وتلغي فكرها من أساسه وتتنازل عنه تنازلًا تامًا، قاوم قادة الجماعة نوعًا ما وألفوا بعض الكتب التي فيها تمييع للقضايا الفكرية والجهادية ولكن ليس انحرافًا كاملًا عن الفكر، وهذه كانت

الكتب الخمسة الأولى والمشهور أنها أربعة لكن يوجد كتاب لم ينشر كان يتحدث عن النصارى وسبب عدم النشر أن فيه بعض الشدة –من وجهة نظر الأمن– فرفض الأمن نشره، ورغم تأليف القادة هذه الكتب لم تتفاعل الدولة معهم، بل لم تنشر الدولة –في البداية– هذه الكتب (حيث النشر يكون عن طريق أمن الدولة) وسبب عدم النشر أن الأمن أراد تنازلات أكثر وتمييع أشد، لكن عندما أعلنت الجماعة الإسلامية شجبها لعمليات ١١سبتمبر وعمليات القاعدة عمومًا كانت هذه فرصة لتُظهر الحكومة المصرية أنها تساعد ولية نعمتها أمريكا فقامت بعد هذا الشجب مباشرةً بتفعيل مبادرة الجماعة الإسلامية والسماح لقادة الجماعة الإسلامية الذين ألفوا الكتب بنشرها والمرور بها على السجون لإقناع العناصر في مأساة فكرية مكتملة سنفصل فيها بإذن الله.

نشير هنا –أيضًا– أن السعودية كانت قد جردت الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله من جنسيتها سنة ١٩٩٤م وهذا بناءً على عمالتها للولايات المتحدة الأمريكية، أيضًا الشيخ أسامة حين قرر تتبع أمريكا وقتالها في ١٩٩٣م، ذكرنا أنه لم يقم بعمليات ضد أمريكا إلى ١٩٩٨م، لكن حين اتخذ هذا القرار قام بأخذ قرار آخر على المستوى الشخصي حيث قام بجمع جميع الأجهزة الكهربائية الموجودة في منزله وتخلص منها وقال "من أراد أن يحارب أمريكا فلابد أن يستغني عن الكهرباء وعن التكنولوجيا" وهذا يدل على وعيه رحمه الله بأبعاد هذه المعركة وبأبعاد هذا العمل، أيضًا لابد أن نشير هنا إلى أن الضباط المصريين – الذين ساعدوا الأفغان في موضوع الدبابات في ١٩٨٥م واقترحوا على الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله إنشاء تنظيم القاعدة في ١٩٨٨م، وهم من أرسلهم الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله لاستطلاع أرض الصومال وأجابوه بأنها أرض صالحة جدًا لغرس أمريكا في المستنقع هناك وفرّت أمريكا كما ذكرنا–، هؤلاء الضباط نصحوا الشيخ أسامة رحمه الله بألا يتتبع أمريكا وأن ينتظر فرصة أخرى مثل الصومال لأنه لا قبل له بقتال أمريكا في هذا التوقيت.

الشيخ أسامة كان يعلم أنه لا قبل له بقتال أمريكا لكن كان يريد حشد العالم السني وراءه، هؤلاء الضباط أيضًا كانوا قد نصحوا الدكتور أيمن الظواهري بألا يدخل المستنقع المصري ولكنه رفض

هذا الأمر بناءً على الأسباب التي ذكرناها عنه في الجيل الثالث، وأيضًا كانوا نصحوا الجماعة الإسلامية، نصحوا الشيخ محمد شوقي الاسلامبولي تحديدًا، وقالوا له "لا تبدؤوا المعركة الآن ضد النظام المصري فالوضع لا يسمح بهذا"، وعلى كل حال فكلٌ له اجتهاده وهم دائرون -بإذن الله تعالى- بين الأجر والأجرين.

وقت تفعيل المبادرة كنت في بكالوريوس اقتصاد وعلوم سياسية، وقد حولت دراستي من هندسة إلى اقتصاد وعلوم سياسية بعد أن تعذر أن أكمل كلية هندسة داخل السجن، وكنت بفضل الله مهتمًا للغاية بدراسة مواد الكلية وقد كانت تدخل لي كتب الكلية كما هي حيث كان يمنع دخول أي مذكرات أو ملخصات فكنت أقرأ المرجع كاملًا، ورغم الدراسة المستفيضة للسياسة عمومًا طوال أربع سنوات وللسياسة الأمريكية خصوصًا (التي توليها الكلية اهتمامًا خاصًا) لم أكن أتخيل أن تقوم أمريكا بما قامت به من ضرب وانتهاك كل ما تتغنى به من قيم وحريات في سبيل تتبع المجاهدين، وهذا مما نلتمسه من أعذار لمن قاموا بهذا العمل، لأنهم لم يتصوروا أن تفعل أمريكا ما فعلت من أجل ألا تتكرر مثل هذه العمليات مرة أخرى عندها.

نتيجة للضغط الأمريكي الشديد وسيطرة أمريكا على أغلب دول العالم -في هذا الوقت- ضعفت جدًا عمليات القاعدة وضعف بالتالي الجهاد العالمي، واستمر هذا الضعف إلى بداية "الجيل الخامس" في الربيع العربي الذي سنفصل فيه لاحقًا بإذن الله في ٢٠١١م، في هذا التوقيت أيضًا قدر الله ﷻ أن يقتل الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله في ٢/٥/٢٠١١م أسأل الله ﷻ أن يتقبله شهيدًا وأن يجزيه خيرًا عن الإسلام والمسلمين وتولى بعده الدكتور أيمن إمارة تنظيم قاعدة الجهاد.

وُجد في هذا الجيل حل جزئي لمسألة التنظيم العنقودي -الذي تحدثنا عن معضلته وأثره الضار في الجيل الأول والثاني والثالث- حيث كانت قيادة تنظيم قاعدة الجهاد تقيم خارج مناطق سيطرة الدول المعادية للجهاد عداء مباشرًا، أيضًا في نفس التوقيت لم يكن كل الخيوط في يد هذه القيادة، فإذا قبض على القيادة بشكلٍ أو بآخر لم تكن نتيجة هذا سقوط باقي التنظيمات العنقودية، أيضًا

انتشر التنظيم في العديد من بلدان العلم وكان الترابط بين فروعه وبين رأس التنظيم هلامي أشبه بالمظلة الفكرية منه بالقيادة الصارمة المباشرة، وهذا الحل رغم أنه حل الكثير من المعضلة لكنه كان جزئيًا أيضًا، صحيح أنه أفاد كثيرًا في منع الأضرار الكبيرة التي كان يسببها التنظيم العنقودي نتيجة –كما قلنا– لتعذيب فرد من أفراد هذا التنظيم فيأتي بقائده والقائد يأتي بقائد حتى يأتي برأس الهرم ورأس الهرم يأتي بباقي التنظيم لكن ظل له أضرار حيث يتوصل عن طريقه للقبض على كثيرين.

أما مسألة العدد الذي تبدأ بعده الجهاد مثل "لن يغلب اثنا عشر ألفًا من قلة" كما كان عند الشيخ حسن البنا والشيخ سيد قطب، أو ثلاثمائة وسبعة عشر كما كان عند الشيخ صالح سرية، لم تظهر في هذا الجيل كثيرًا، لأنه –كما قلنا– فكرة تنظيم القاعدة كان حشد العالم الاسلامي وراء التنظيم، لم يكن يتخيل التنظيم أنه بمفرده سيقوم بهزيمة أمريكا ولم يكن يتوقع هذا، كان يريد حشد العالم الإسلامي وراءه، فشل في هذا الحشد وتحمل وحده نتيجة هذا الفشل بإصابات كثيرة داخل صفوفه وبانتهاء الكثير من عملياته دون الوصول للنتيجة المرجوة.

سنبدأ في الحديث الآن عن المبادرات التي حدثت في مصر كنموذج وهو نموذج مهم جدًا، وأنا شاهد عيان على هذا النموذج، وكيف استطاعت الحكومات ودول العالم بمكرها حرف الكثير من الحركات الجهادية عن جهادها، لكني أشير هنا أني لن أذكر كل شيء ليس من باب الاختصار فقط كما في الأجيال السابقة لكن –أيضًا– لأن بعض الأمور مستأمن عليها كأسرار عامة أو شخصية ولا يوجد مسوغ شرعي لذكرها الآن، قد يأذن لي أصحابها بعد ذلك أو يوجد مسوغ لذكرها فأفرد لها مصنفًا مستقلًا أما الآن فأكتفي بإضاءات كاشفة مبينة كما اتفقنا.

بدأت إرهاصات مبادرة الجماعة الإسلامية في ١٩٩٦م، حيث كانت المجموعة التي حكم عليها بخمسة عشر سنة في ١٩٨١م قد انتهى حكمها والمفترض أن تخرج من السجن لكنها لم تخرج لأن النظام المصري في هذا التوقيت كان لا يخرج أحدًا منتميًا للجهاديين من السجون، وقام النظام عوضًا عن ذلك بتوزيع قيادات هذه المجموعة على السجون المصرية التي يعاني فيها أفراد

الجماعة الإسلامية الأمرين ويذوقون من العذاب ألوانًا، وزّع النظام هؤلاء القادة على السجون المختلفة وتركهم فيها ستة أو سبعة أشهر ثم قام بجمعهم مرةً أخرى إلى المكان الذي يوجد فيه باقي قيادات الجماعة وهو سجن ليمان طرة [كان القادة معزولين فيه عن باقي السجون ويلقون فيه معاملة خاصة نوعًا ما فيها راحة ورفاهية نسبية] فحكى من وُزّع وجُمع لباقي قيادات الجماعة ما يعانيه عناصر الجماعة من تعذيبٍ شديدٍ داخل السجون، أضف إلى هذا الوضع العسكري وإخماد العمل العسكري في معظم المحافظات المصرية، فأعلنت الجماعة الإسلامية مبادرتها سنة ١٩٩٧م، والأمن -كما ذكرنا- لم يتفاعل معها وأراد أن يقترن بالمبادرة نبذ الفكر الجهادي، كان هذا صعبًا للغاية لأن جميع عناصر الجماعة الإسلامية يتبنون الفكر الجهادي بعزيمة وقوة وقدموا في سبيله أرواحهم وسنوات عمرهم رخيصة ، كانوا يريدون إما نصر وإما شهادة، فإذا تركنا القتال من أجل عدم القدرة فلنظل هكذا حتى الموت لا نغير أفكارنا ولا نضل عموم المسلمين.

بداية إعلان المبادرة كنت في سجن استقبال طرة حيث كنت أُحاكم في التنظيم الذي فصلنا الحديث عنه في الجيل الثالث، وقتها —في ١٩٩٨م تقريبًا- أتى ألينا أمر من سجن ليمان طرة، وسجن الليمان -كما قلنا – هو الذي فيه قيادات الجماعة الإسلامية الكبرى، بأن نحرق جميع الأبحاث الموجودة معنا التي تحتوي فكر الجماعة الإسلامية، عندما سمعت هذا رن جرس الإنذار في ذهني وقلت "إن هذه بداية تغيير الفكر"، فعرضت الأمر على شيخي وأميري المباشر الشيخ سعيد عبدالحكيم رحمه الله، فقام بتسريب الأبحاث لي ومنع حرقها فقمت بفضل الله تعالى بتلخيص هذه الأبحاث كاملةً وحفظها جميعًا، هذه الفترة كان يضيّق علينا كثيرًا في اقتناء الكتب فكانت فرصة كبيرة للحفظ، حفظت فيها بفضل الله تعالى القرآن الكريم كاملًا والعديد من المتون العلمية أهمها متن عمدة الفقه كاملًا وهو كتاب كامل في الفقه بالإضافة لمتون في أصول الفقه والعقيدة ومتن ألفية ابن مالك في النحو كاملًا ومتون في مصطلح الحديث والتجويد ... إلخ، بالإضافة لحفظ المتون استفدنا من هذه الفترة في دراسة الكليات التي انتسبنا إليها دراسة معمقة مفصلة.

حكم علي في شهر ٨ سنة ١٩٩٨م بالسجن المؤبد ونقلت من سجن استقبال طرة إلى سجن العقرب الانفرادي شديد الحراسة في نفس الشهر، ومكثت فيه إلى أن من الله علي بفك أسري في شهر ٨ سنة ٢٠١١م.

الشاهد أنه في ٢٠٠١م بعد عمليات ١١ سبتمبر وإعلان الجماعة الإسلامية نقدها لهذه العمليات واستغلال الأمن هذا الأمر لتسويق مبادرة الجماعة الإسلامية دوليًا، أراد النظام المصري أن يقول لأمريكا أنا عندي من يُقاوم فكر القاعدة من بين الجهاديين، فإنه بعد أحداث ١١سبتمبر صار كل من يريد أن يقدم أو يثبّت أوراق اعتماده لأمريكا لابد أن ينتقد تنظيم القاعدة، وليس كل من ينتقد تنظيم القاعدة يريد أن يقدم أوراق اعتماده إلى أمريكا لنكون منصفين، الشاهد قام مشايخ الليمان (هذا المصطلح الذي تعارفنا على إطلاقه عليهم نسبة إلى سجن ليمان طرة الذي كانوا يقيمون فيه) بالمرور على السجون بالكتب التي كتبوا فيها تراجعاتهم عن أفكارهم القديمة الموجودة في الأبحاث الفكرية القديمة، مروا على أكثر من سجن إلى أن وصلوا إلى سجن العقرب –الذي انتقلت إليه بعد الحكم علي بالمؤبد– عندما وصلوا إلى هذا السجن كنت بفضل الله تعالى قد حفظت أبحاث الجماعة القديمة كلها –تقريبًا– حيث كنت أتوقع فكرة غسيل الأدمغة التي حاول الأمن القيام بها معنا، هذه الفكرة نُفذت كالآتي:



سجن العقرب

عناصر الجماعة الإسلامية في السجون من ١٩٩٢م كما ذكرنا سابقًا، ممنوع عنهم الكتب تمامًا حتى المصاحف كانت تمنع، فقط في السجون المركزية مثل سجن العقرب وسجن الاستقبال كان يسمح بالكتب الدراسية من جامعات الدولة الرسمية حصرًا، فالعنصر في هذه الفترة من ١٩٩٣م إلى ٢٠٠١م لا يقرأ ولا يسمع ولا يرى إلا ما يريده الأمن، أيضًا قيادات الجماعة أصدرت قرارًا

بحرق الأبحاث المهربة الموجودة في السجن كما أشرنا قبل، فمن الطبيعي –في التفكير الأمني– عندما يأتي إليك فكر جديد –بعد كل هذه الفترة من التجهيل والبعد عن المصادر– أن تتقبل هذا الفكر الجديد نتيجة لخواء ذهنك عن الأفكار القديمة، لكن من رحمة الله سبحانه وتعالى كان يُسرب إلينا الكثير من الكتب والكثير من المتون، وكما حدث معي حفظت أبحاث الجماعة الإسلامية، فحين بدأ مشايخ الليمان في عرض أفكارهم الموجودة في الكتب الأربعة المشهورة، وهم عبارة عن كتاب يتحدث عن أسباب المبادرة، وكتاب ينتقد القاعدة، وكتاب عن الغلو والتكفير و كتاب عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، خرجت وقلت لهم –أنا وغيري وليس أنا فقط ولكن قدر الله عز وجل أن أكون البارز في هذا المجال– :" أنتم خالفتم ما كتبتموه في الكتب القديمة"، وأضرب مثالًا للقارئ على ذلك ليتضح الأمر أكثر:

كان في الكتب القديمة يستدلون بأقوال الحنفية في جواز رمي الترس المسلم على جواز العمليات والتفجيرات التي تحدث بين عموم المسلمين التي تستهدف القيادات الأمنية أو قيادات الشرطة أو الكفار وما إلى ذلك من الاستهدافات، عندما أتوا بالكتب الجديدة ذكروا أقوال الشافعية والمالكية التي تحرم رمي الترس، فسألتهم لماذا ذكرتم هذا في الكتب القديمة –وذكرت لهم القول بنصه لأني كنت أحفظه عن ظهر قلب– ثم خالفتم الآن هذا الكلام وأتيتم بأقوال أخرى؟ لماذا لم تذكروا الأقوال جميعًا في الكتب القديمة، وتذكروا الأقوال جميعًا في الكتب الحديثة؟

قس على هذا المنوال الكثير من الأقوال الأخرى التي بدأوا يأخذون بها، كانت طريقتهم أنهم يبحثون في كتب الفقه عن الأقوال التي تساعدهم على عمل المبادرة وعلى ترك الجهاد، كما كانوا في كتبهم القديمة يبحثون عن الأقوال التي تؤيد طريقتهم في الجهاد، وهنا كانت الصدمة!

كانت صدمة بالنسبة لي وبالنسبة لكثير من المجاهدين، خاصةً في سجن العقرب لأن

سجن العقرب كان فيه الكوادر الكبيرة للجماعة الإسلامية، كان يلح في ذهننا سؤال محوري مصيري، هل الدين أتى ليُتعامل معه بهذه الطريقة؟ هل أقوال الفقهاء وضعت لهذه الطريقة؟؛ عندما تريد أن تقاتل تنتقي من الأقوال ما يعينك على قتالك والأقوال التي تكفر والتي تبيح كذا وكذا، وعندما تريد أن تهادن وتترك القتال تنتقي من الأقوال التي تعينك على ترك القتال، هذا كان في مجال الفكرة العامة للمبادرة وهو مما ضاعف همتي في طلب العلم، وكما أشرت قبل كان طلب العلم في الاعتقال فرصة كبيرة بالنسبة لي فكنت أحصّل أضعاف ما كنت أحصله في الخارج، لكن بعد المبادرة ازداد أضعافًا مضاعفة لكي أستطيع أن أحل مثل هذه الألغاز والإشكاليات ولا يكون ديني لعبة في يد فلان أو فلان، وقد أتى مشايخ الليمان وأشاعوا -أو بعضهم- أنهم من المجتهدين هكذا كانوا يقولون: "نحن بمجموعنا وصلنا إلى رتبة الاجتهاد"، وبالتالي فأنتم عليكم تقليدنا فيما نقول [لم يكن واضح لنا -في هذا التوقيت- مراتب الاجتهاد، حيث كان بعضهم -للإنصاف- يقصد رتبة من مراتب الاجتهاد وليس الاجتهاد المطلق]، عندما أتوا حدثت تيسيرات كبيرة في دخول الكتب وهذا ساعدني كثيرًا بفضل الله على طلب العلم، لكن بدأ -أيضًا- التمييع في مسألة الحاكمية، هذه المسألة كانت محورية للغاية عند جميع أفراد الجماعة الإسلامية كما أشرنا قبل، هي كانت محورية أيضًا عند كل الجماعات الجهادية من وقت الشيخ سيد قطب رحمه الله إلى أن يشاء الله ﷻ، لكن هذه المسألة كان من الصعب أن تبدأ قيادات الجماعة الإسلامية أو مشايخ الجماعة الإسلامية في تغييرها مباشرةً، والحقيقة أنهم لم يكونوا متفقين جميعًا على تغييرها كان بينهم خلاف في هذه المسألة وقتها وإن كانوا يعلمون جيدًا أن الأمن لم يكن ليقبل منهم إلا تغييرها أو تمييعها، بدأ التمييع في أحد الكتب الأربعة الذي يتحدث عن مسألة التكفير والعذر بالجهل (تحدثنا في الجيل الأول عن كتاب الشيخ حسن الهضيبي "دعاة لا قضاة" كان التمييع هنا على نفس المنوال مع تعديلات طفيفة)، كُتب في الأعلى قوله ﷻ

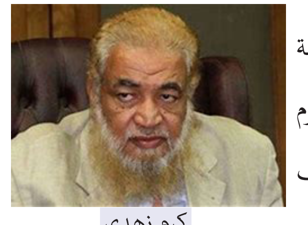
"ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" ثم أتوا بتفسير ابن عباس ﵁ للآية وأن هذا كفر دون كفر بطريقة توحي أن هذا ينطبق على الحكام الذين يحكمون بالقوانين الوضعية [لا شك أن كلام ابن عباس ﵁ لا ينطبق على حكام القوانين الوضعية] ثم وضعوا في الحاشية مراجع ذكروا فيها انظر: " مختصر تفسير ابن كثير للشيخ أحمد شاكر لآية "أفحكم الجاهلية يبغون"، تفسير ابن كثير للآية ينص على الإجماع على تكفير من يحكم بالياسق وهو قانون وضعي وضعه جنكيزخان يشابه كثيرًا القوانين الوضعية في عصرنا، وعلق الشيخ أحمد شاكر على كلامه مبينًا تكفير حكام القوانين الوضعية في زماننا والفرق بينهم وبين ما يتناوله كلام ابن عباس رضي الله عنهما، إذًا في المتن مكتوب كلام يدل بظاهره على عدم تكفير الحاكم المستبدل، وفي الحاشية مكتوب كلام يطلب منك فيه أن ترجع إلى المراجع التي تدل على تكفير الحاكم المستبدل.

ثرنا وغضبنا وسألنا:" لماذا تميعون قضية الحاكمية؟"

وهنا حدثت قصة طريفة: أتى إلينا أحد هؤلاء المشايخ يحكي لنا قصة ويطلب منا تمرير هذا الكلام، وهي قصة "بص على الحيطة"، يحكي أن هناك بعض العمال المسلمين يعملون في بناء منشأة في كنيسة، وليحمّسوا هممهم على العمل يقول قائدهم "هيلا، هيلا " فيردد العمال "صاااالي عالنبي"، فأتى قس الكنيسة وقال لقائد العمال: "لماذا تقول صل على النبي وأنت في كنيسة؟ غيّر هذا النظم ليناسب جو الكنيسة"، ففكر أمير العمال قليلًا وقام بكتابة "صل على النبي" على الحائط ثم قال للعمال: سأقول " هيلا ، هيلا " وأنتم تقولون "بصّ على الحيطة" (هيلا هيلا، بوووص عاالحيطة)، فقال الشيخ: هذا ما فعلناه قلنا لكم " هيلا ، هيلا " في المتن وفي الأسفل "بص على الحيطة" يعني انظر إلى هذه المراجع، أي أننا نفعل ذلك تقية لنخرج من السجون ونخرج من الورطة التي وُضعنا فيها، وكانت هذه هي بداية الزحلوقة التي لم يتركهم الأمن بعدها إلى أن وصلوا إلى الحضيض وقاع القاع كما سنبين لاحقًا إن شاء الله.

لا شك أن تفاصيل القصة والاستدلال بها كله أخطاء شرعية وواقعية من حرمة بناء منشآت في كنائس إلى حرمة إضلال المسلمين ولو بطريقة "بص على الحيطة" إلى مآل هذا الأمر الذي سنفصل فيه.

لكن هنا جزئية من المهم أن نذكرها لنفهم المبادرة أكثر وهي أن قيادة مجلس الشورى في الجماعة الإسلامية كانت بالتناوب، تُغيّر القيادة في شهر رجب من كل سنة،


كرم زهدي

كان قائد مجلس الشورى أثناء المبادرة هو كرم زهدي وهو في الحقيقة عرّاب المبادرة وله دور كبير في انحراف الجماعة الإسلامية، وكان كرم زهدي يميل كثيرًا لتقديم التنازلات للأمن نتيجة لما سمعه عن التعذيب الشديد الذي يلقاه المعتقلون ورؤيته انسداد أفق العمل العسكري،

وكان الأمن المصري يستغل شخصيته العاطفية –التي درسها جيدًا– وبدأوا يقولون له سنعدم المجاهدين وسنفعل، وسنفعل، وكانت نفسيته ضعيفة عند هذه الأمور، واستطاع الأمن أن يستغله حقيقة، كان كرم زهدي في معسكر وكان في المعسكر الآخر مجموعة الصقور على رأسها الشيخ عبود الزمر والشيخ طارق الزمر والشيخ عاصم عبد الماجد والشيخ عصام دربالة والشيخ أسامة حافظ وناجح إبراهيم كل هؤلاء كانوا معارضين للطريقة التي يريد أن يقدم بها كرم زهدي التنازلات [كان الجميع في سجن ليمان طرة]، في هذا التوقيت كان ممنوعًا أن يخرج أي أحد من شورى الجماعة الإسلامية يتحدث مع أمن الدولة بمفرده لابد أن يخرج اثنان أو ثلاثة، وهذا أمر مهم لأنه لا تؤمن الفتنة على من يخرج بمفرده، فالنفس البشرية –خاصة المقهورة تحت بطش عدوها– تتعرض لحالات ضعف قد لا تتفطن لها وتظهر في شكل استجابات للضغط والانحراف مقنعة بغلاف المصلحة الشرعية أو العامة فلابد لها من معين ومؤازر يضبط بوصلتها ويئد هواها وشهوتها، ومع ذلك كان يُصر كرم زهدي على الخروج بمفرده وكانت تحدث مشاكل كبيرة بينه وبين باقي الشورى وتعلوا أصواتهم انتقادًا لخروجه بمفرده لكنه كان يصر على ذلك، أخبرني بهذا شاهد عيان كان

موجودًا معهم في هذا التوقيت، ورأينا نتيجة هذه المسألة في فصول المبادرة ونراها كذلك كلما يتعرض أحد المجاهدين للتفاوض مع الطغاة دون أن يكون معه من يشد أزره من إخوانه ويشركه في أمره ويعينه على مقاومة مكر الطواغيت، وأؤكد على هذه المسألة هنا لنتعظ ونعلم أن تفاوض أي قائد أو مجاهد أو داعية منفردًا مع الطواغيت في الغالب يؤدي إلى انحرافه نسأل الله العافية، لأنهم يعلمون نقاط ضعفه ويلعبون عليها.

في الشهر العاشر من سنة ١٩٩٩م والذي كان يوافق شهر رجب كان المفترض أن يُغير كرم زهدي ويُولى الشيخ عبود الزمر قيادة الشورى حسب طريقة تولية رئاسة مجلس الشورى كل سنة، الأمن كان يعرف هذا الأمر جيدًا فقام بنقل الشيخ عبود الزمر والشيخ طارق الزمر من سجن ليمان طرة إلى سجن ليمان أبي زعبل وهذا ليتحكم الأمن في قرار الجماعة الإسلامية، وبعد هذا النقل لم يُغيّر رئيس مجلس الشورى وظل كرم رئيسًا للشورى بعدها وللجماعة الإسلامية كلها إلى ما بعد سنة ٢٠١١م، وكرم زهدي في هذا التوقيت كان قد اتخذ قرارًا هو ومن معه أن يسير في المبادرة مهما حدث ومهما كان، هكذا صرحوا بلسانهم وقد سمعته من قياداتهم من الشيخ أسامة ومن غير الشيخ أسامة، قالوا:

"قررنا أن نمضي في المبادرة إلى النهاية لا يوقفنا شيء، إذا غربوا الشيخ عبود إذا غربوا فلاناً مهما يفعلون سنمضي فيها".

يالفرحة أمن الدولة!، كما أشرنا قبل هي استسلام بدون قيدٍ أو شرط، في هذه التوقيتات أيضًا كان الأمن المصري اخترع شيئًا سماه "التوبة"، كان يعرض على المجاهدين من الجماعة الإسلامية ومن جماعة الجهاد وغيرهما أن يكتبوا إقرارات توبة عن القتال وعن الجهاد مقابل أن يخرجهم من السجون، ولم ينزلق في منزلق التوبة إلا عشرة في المئة فقط من مجموع المجاهدين، كان مجموع المجاهدين في المعتقلات أكثر من اثني عشر ألفًا وذلك على مدار السنوات التي قبض عليهم فيها، عشرة في المئة فقط هم من انزلق في مضمار التوبة وثبت وصبر الباقون، فأتى في النهاية كرم زهدي

ليقودهم –أغلبهم– نحو الهاوية لكن بالتمهيد وبخبث وبنسب متفاوتة كما سنبين بإذن الله.

عندما بدأ مشايخ الليمان المرور بالمبادرة على السجون وليشرحوا كتب التراجعات بعد أحداث سبتمبر –كما ذكرنا– أتوا معهم بأمرين أيضًا، قد تستغربون من هذين الأمرين، الأمر الأول: الشطرنج، قالوا: "إن الشطرنج مباح"، كانت الحركات الجهادية عمومًا لا تحبذ لعب الشطرنج وترى رأي الجمهور بأنه محرم وذلك اتباعًا أيضًا للنهج السلفي المنتشر بينهم، فأتى مشايخ الليمان بمسألة الشطرنج وحثوا الإخوة على لعبه، بل بدأت تتسرب عنهم أقوال بأنه يجوز لعب "الشدة" أو "الكوتشينة" كما يطلق عليها في مصر، الأمر الثاني: التلفاز، كان التلفاز من المحرمات التي لا جدال فيها عند الحركات الجهادية، التلفاز في الماضي لم يكن كالتلفاز الآن، كان –في مصر– ثلاث قنوات فقط وكلها تابعة للدولة، وكانت مليئة بالفسق والفجور، لم تكن توجد الفضائيات التي قد تحتوي بعض الخير ولا الفضائيات الدينية وما إلى ذلك من أمور، كان أغلب التلفاز فسقًا وفجورًا فكان من سمات الأخ المجاهد بل الملتزم عمومًا أنه لا يشاهد التلفاز، لكن عندما أتت قيادات الجماعة الإسلامية إلى السجون قالوا: "نحن نريد منكم أن تشاهدوا التلفاز".

وكان وراء ذلك كيد دفين؛ فإن الشطرنج والتلفاز وما إلى ذلك من الأمور يساعد في تخفيض المستوى الإيماني والمستوى الجهادي للمجاهدين –أو ما يطلق عليه الأمن: التشدد– فيسهل قبول ما سيأتي بعد ذلك من تنازلات، وهذا باعتراف بعض هؤلاء المشايخ أنفسهم حيث أشاروا إلى أن دخول التلفاز كان نوعًا من الاستجابة لطلبات الأمن لأغراض معروفة.

لكن مجموعة من المجاهدين رفضوا دخول التلفاز إليهم بعد التفطن للخبث الذي وراءه، أيضًا مسألة الشطرنج قمت بتأليف رسالة صغيرة في تحريم الشطرنج، وهذا كان أول مؤلف ألفته في حياتي، وقمت بتوزيع هذا الكتيب –المكتوب بخط اليد– على سجن العقرب، السجن الذي كنت مسجونًا فيه، وبدأ يشعر قادة الجماعة الإسلامية بأني سأمثل عقبة في طريقهم، لكن لم يأخذوا خطوات ضدي في هذه الفترة.

أيضًا كنت مهتمًا جدًا –في هذه الفترة– بحل مسألة التلفيق، ومسألة الاجتهاد والتقليد، هل من الصواب أن أختار من أقوال العلماء كما اشتهي، وأصنع فكرًا ثم أنقضه؟ ما هو ضابط هذا الأمر؟ فقرأت العديد من المراجع أكثر من مئة مرجع في هذه المسألة، وألفت بعد سنوات كتاباً سميته "سبيل الناجين عند اختلاف المجتهدين"[٦] وهذا كان ثالث كتاب أؤلفه وانتهيت من تأليفه أواخر سنة ٢٠٠٦م، لكن طوال هذه الفترة كنت أجتهد في البحث في هذه المسألة وهذا ساعدني كثيرًا في مقاومة ما أراده قادات الجماعة الإسلامية لنا من انحراف.

لابد أن نشير هنا أيضًا أن معسكر الممانعة (الصقور) الذي أشرنا إليه والذي كان يرفض انحدارات كرم زهدي، نجح كرم في سحب ناجح إبراهيم منه وفي سحب الشيخ أسامة حافظ أيضًا ليكونا في صفه لكن الشيخ أسامة بدرجة أقل من ناجح، ذكرنا قبل أن الشيخ عبود والشيخ طارق سحبهم الأمن لسجن آخر معزول، وظل الشيخ عاصم والشيخ عصام في هذا المعسكر –معسكر الصقور– لكنهما لانا قليلًا لطلبات كرم زهدي وإن ظلا متماسكين لآخر فترة، إلى أن مات الشيخ عصام دربالة بعد ذلك في سجن السيسي وهو ثابت على فكره وعلى فكرة الحاكمية وغيرها من الأفكار أسأل الله سبحانه أن يرحمه فقد كان من أفضل من التقيت في حياتي أحسبه والله حسيبه، وتغير الشيخ عاصم قليلًا لكن ليس بالدرجة التي كان يريدها كرم زهدي، وعندما سحب كرم زهدي ناجح إبراهيم إلى صفه صار ناجح إبراهيم أكثر مزاودةً منه في الانحراف والانحدار كما سنبين بإذن الله، في هذه الفترة استفدنا كثيرًا من وجود الشيخ أسامة حافظ بيننا في سجن العقرب، الشيخ أسامة من أهل العلم وإن اختلفنا معه في أمور على رأسها أمور متعلقة بالمبادرة لكن هذا لا يجعلنا نغمض حقه وفضله علينا في تعليمنا، وقد درست على يديه العديد من الكتب منها كتاب الكافي في الفقه الحنبلي وكتاب روضة الناظر في أصول الفقه الحنبلي هذا بالإضافة لمناقشات واستفسارات فيما يعرض لي أثناء قراءاتي الحرة الأخرى، وقد كان مثالًا للتواضع ورحابة الصدر وحسن الخلق، ولازمته فترة سنتين كاملتين، وكانت

٦ سبيل الناجين عند اختلاف المجتهدين: بحث ميسر في الاجتهاد والتقليد، ليحيى بن طاهر الفرغلي

الفكرة في ذهني كما كررت كثيرًا أن أصل لدرجة أستطيع بها أن أميز بنفسي الحق من الباطل لا يسوقني فلان أيًا كان ويقول قاتل، ثم بعد ذلك يقول اترك القتال وما كنت عليه كان خطأ.

في هذه الفترة ألف الشيخ أسامة والشيخ عاصم عبد الماجد كتابًا في الحاكمية، والأمن كما قلنا يهتم للغاية بحرف الجماعات الجهادية عن هذه المسألة لأنه يعلم أنها وقود وسبب وجود الجماعات الجهادية، في كتاب الشيخ أسامة والشيخ عاصم خلصوا إلى أن مسألة تكفير الحاكم المستبدل فيها رأيان، رأي يرى كفره ورأي لا يرى كفره وأنهم يرجحون الرأي الذي يرى عدم كفره، هذا الكتاب كان صدمة كبيرة لنا [نُذكّر هنا بأن أول ثلمة في المسألة كانت في أحد الكتب الأربعة وامتُصت بطريقة "بص على الحيطة" ووقتها أُشير في الحاشية لكلام ابن كثير الذي ينقل الإجماع على كفر المستبدل ولكلام أحمد شاكر وهو نحوه، الآن أصبحت المسألة فيها رأيان والراجح عدم كفره، وهذه كما قلنا دركات التزحلق على زحلوقة التنازلات].

قمت بتأليف كتاب ردًا على كتاب الشيخين أسامة وعاصم، لم تكن الفكرة تأليف كتاب كانت الفكرة الرد على ما ذكروه من شبهات ونتج عن هذا الرد كتاب في الحاكمية في الرد على كتاب الشيخين، ثم أرسلت هذا الكتاب للشيخ أسامة وقد انزعج منه للغاية وانزعج جدًا من فكرة أن يرد عليه أحد طلابه، وقد كان هذا ثاني مؤلف أؤلفه بعد كتيب الشطرنج، في هذا التوقيت أيضًا كان الشيخ أسامة قرر أن يمر على عنابر سجن العقرب ليشرح كتابه في جلسة مقتضبة في كل عنبر ليقنعنا بفكرة الكتاب، وعلى الأغلب كان هذا بطلب من الأمن (صراحة أو ضمنا)، فقمت بمناظرته علنًا أمام الجميع وكانت نتيجة هذه المناظرة أن شعر بحرج شديد وقرر ألا يمر على باقي السجن، ووُئد هذا الكتاب نتيجة هذه المناظرة، وأيضًا –ولعله الأهم– أن أمن الدولة لم يرضه الكتاب، لم يرضه أن يذكر أن في المسألة رأيين، ولندرك مدى تأثير أمن الدولة على هذا الكتاب سأحكي قصة حدثت بيني وبين الشيخ عاصم عبد الماجد مؤلف الكتاب الذي أتى إلينا في سجن العقرب بعد المناظرة التي حدثت بيني وبين الشيخ أسامة، وجلست معه جلسة خاصة

وكان معنا صديق مقرب لي وهو الشيخ محمد حسني وبدأنا نناقشه في هذا الكتاب فقال بلسانه:
"أنا كنت مقتنعًا تمامًا أن الحاكم المستبدل كافر، ولما طلب منا الأمن أن نؤلف كتابًا لا نكفره فيه لأن الدفعات التي تخرج لا تخرج حتى يوقع عليها حسني مبارك نفسه، فلا يصح أن نقول له من يكفرونك يريدون منك أن تخرجهم".

كانت مجموعات المعتقلين يخرجون من السجن على دفعات، وبعد المبادرة خرجت دفعات قليلة من العشرة آلاف معتقل المنتمين للجماعة وظل الأغلب في السجن لأن الأمن يريد تنازلات أكثر.

انظروا إلى فكرة الإكراه التي يريد أن يرسخها الأمن عند هؤلاء المشايخ.

الشاهد استطرد الشيخ عاصم فقال بلسانه:

"فبدأت أكتب كتابًا "كد وكده"- أي تقية- لكن أثناء بحثي في كتابة هذا الكتاب قمت بتغيير رأيي حقيقةً واقتنعت بأن الحاكم المستبدل ليس كافرًا".

هكذا نرى كيف يؤثر واقع السجون على الأفكار والمعتقدات، عندما كتب الشيخ عاصم هذا الكتاب كان قد لبث في السجن أكثر من واحد وعشرين سنة، وشاهد الأهوال بنفسه وشاهد ما حدث لإخوانه المتعلقّين برقبته من أهوال.

وبهذا ندرك صدق المقولة المنسوبة لشيخ الإسلام رحمه الله " يموت الرجل ولا يقع في الأسر"، إن مت ثابتًا على دينك فقد فزت أما إن أسرت فتتعرض لأعظم وأشق الفتن، وأعظم بلاء في السجن ليس حبس الجسد والبعد عن الأحباب وذل الطغاة والأراذل ... إلخ، بل أعظم بلاء أن تخور همتك وتضعف عزيمتك مع الزمن فينقلب الحق عندك باطلًا والباطل حقًا، وهذا العذاب الذي ينهش كيانك ويمزق نفسك ويزلزل أركانك لا يفوقه عذاب، وأعظم ما فيه أنك قد لا تشعر به أصلًا، نسأل الله العافية.

اعترضت مرة أخرى على هذا الكتاب بشدة حتى بهذا الطرح الذي قدمه الشيخ عاصم، وقلت له:
"نحن تبنينا هذه القضية وتقدمنا أمام الأمة حاملين راية هذه القضية فلا يحل لنا أن نأخذ بالتقية

بعد ذلك ونشوه هذه القضية ونضل الناس فيها"، وبدأت أكتب في مسألة "لا إكراه في إضلال" وأتحدث عنها كثيرًا منذ ذلك الوقت وإلى وقتنا الحالي.

لا بد أن نشير هنا أيضًا إلى رأي الدكتور عمر عبد الرحمن في المبادرة وما حدث فيها، الدكتور عمر كان مسجونًا في سجون أمريكا مغيبًا تمامًا عن الواقع، ومع ذلك وصلت إليه بعض الأنباء عن المبادرة فقام بإصدار بيان استنكر فيه المبادرة عن طريق محاميته الأمريكية لين ستيوارت التي أسلمت بعد ذلك —رحمها الله– وسجنت بسبب هذا التسريب عشر سنوات، الجماعة الإسلامية ثارت بشدة لأنها تعرف أن رأي الدكتور عمر سيفسد المبادرة وسيقوي المعارضة الشديدة داخل الجماعة الإسلامية لها، فأرسلت الجماعة إليه بوسيلة أو بأخرى (في الغالب يسرت المخابرات الأمريكية هذا الإرسال) قائلة له: "نحن في حالة استضعاف وفي حالة إكراه وأنت لا تدري الواقع بالضبط" فقام بإخراج بيان آخر بين فيه أنه يفوض قادة الجماعة الإسلامية فيما يرونه لأنه —حقيقةً– لم يكن على علم بالواقع، وهذا كان آخر ما قاله لأنه بعد ذلك قبضت أمريكا على محاميته لئلا يخرج بيانات أخرى. ذكرت أن الأمن لم يرض بكتاب الشيخين أسامة وعاصم، فتولى كبر الأمر، أمر تحريف مسألة الحاكمية ناجح إبراهيم في كتابٍ حدث بيننا وبينه من أجله العديد من الصولات والجولات.

لكن قبل إصدار ناجح كتابه كان هشام عبد الظاهر– أمير سجن العقرب من قبل الجماعة الإسلامية في هذا الوقت– قد قام بدعوة اللواء مصطفى رفعت (اسمه الحقيقي أحمد رأفت) وهو لواء في أمن الدولة مسؤول عن النشاط الديني، مسؤول مكافحة النشاط الديني، وكان مع كرم زهدي يتولى قيادة المبادرة وتسويقها [مصطفى رفعت من قبل أمن الدولة وكرم زهدي من قبل الجماعة الإسلامية، يجدر أن نشير هنا أن مصطفى رفعت قدم نصيحة لكرم زهدي —في بدايات مرور مشايخ المبادرة على السجون– قال له في هذه النصيحة "لا تختلط بالجنود عندما نمر على السجون، أنت جنرال –هكذا يقول له– أنت جنرال والجنرال لا يختلط بالجنود" وهذا ليفسد الثقة بينه وبين

الجنود، يريد أن يحدث فجوة بينه وبين الجنود، أيضًا ليعمقوا هذه الفجوة بين كرم زهدي وقيادات الجماعة عمومًا وبين الجنود كان يُميّز القيادات في زيارات الأهل وفي الطعام وفي المكان الذي يقيمون في السجن فيه، وفي الإمكانيات التي تُعطى لهم، وصل الأمر للسماح لهم بالهواتف النقالة، وهذا الأمر كان غريبًا جدًا بالنسبة للجماعة الإسلامية ،كان قبل ذلك قائد الجماعة الإسلامية يكون أقل حالًا من الجنود وكان هذا يؤدي لُلُحمة شديدة بين الجنود والقيادة وكان من ثماره السمع والطاعة الكبيرة التي كانت تتميز بها الجماعة الإسلامية، فكانت هذه من أساليب أمن الدولة الخبيثة لتفتيت الجماعة الإسلامية، فإن أكبر أسفين يدق بين القائد وجنوده ظهور تميز القائد عنهم في ملذات الحياة الدنيا] الشاهد هنا أن هشامًا (أمير سجن العقرب) دعا مصطفى رفعت لحفل في سجن العقرب، وقام هشام بتعليق لوحة قماشية كبيرة كُتب فيها "نؤيد الرئيس محمد حسني مبارك على ما يقوم به من أعمال في صالح مصر" أو ما معنى هذا الكلام، رأيت هذه اللوحة واستفزتني بشدة واستفزت معي مجموعة من الشباب سيكون لهم دور كبير بعد ذلك في مقاومة كتاب ناجح إبراهيم، طلبنا جلسة مع هشام عبد الظاهر [وهو في هذا الوقت أميرنا المباشر ومن كبار قادة الجماعة] لكن للأسف لم نجلس الجلسة إلا بعد أن رأى مصطفى رفعت اللوحة وانته الحفل، وأكدنا في الجلسة على هشام عبد الظاهر بأننا لن نسمح بأي حالٍ من الأحوال بوجود مثل هذه اللافتة مرة أخرى، فأقر الرجل بخطئه وقال أنا فعلتها لعلها تأتي بمصلحة لكم لكني لن أقوم بهذا الأمر مرةً أخرى، كوفئ هشام عبد الظاهر على هذه اللوحة بعد شهر أو شهرين بخروجه من السجن، خرج على ثلاث أرباع المدة كان محكومًا عليه بخمسة عشر سنة، وكان يعتبر هشام من القليلين الذين خرجوا على ثلاثة أرباع المدة، وهذه مكافأة له على هذه اللوحة ورسالة لنا "إذا سرتم في هذا الطريق فستجدون ما يسركم".

كانت هذه الرسائل كثيرة فمع كل كتاب ومع كل تنازل كان يحدث خروج دفعات من المعتقلين الموجودين في السجون، وقد كان تقسيم الجماعة الإسلامية داخل السجون كالآتي: من ثمانية إلى عشرة آلاف معتقل [أي بدون حكم قضائي]، وحوالي خمسمائة أو ألف محكوم عليهم بمدد متفاوتة، أقول

من خمسمائة إلى ألف لأنه يوجد خمسمائة كان محكومًا عليهم ثم قضوا فترة حكمهم وبعد فترة الحكم يُعتقلون مرةً أخرى فليبثون في السجون إلى ما يشاء الله ويكون تصنيفهم أنهم كانوا من المحكوم عليهم [أي أخطر من المعتقلين الأصليين].

لم تقتصر التنازلات على الكتب والمؤلفات فقط بل وجدت الكثير من التصريحات الصحفية، فإن مبادرة الجماعة الإسلامية وانتقادها لتنظيم القاعد أتى إليها بالصحافة من كل حدبٍ وصوب، وكان أمن الدولة يسمح بدخول الصحفيين لمقابلة قادة الجماعة الإسلامية المؤيدين للمبادرة —خاصة من معسكر كرم زهدي– في هذه اللقاءات الصحفية كان يقال كلمات كبيرة جدًا في عرف عناصر الجماعة الإسلامية لا يتخيل أن تصدر من هؤلاء المشايخ، فعندما كنا نقرأ هذه الصحف [بعد المبادرة كانت السجون تسمح بدخول الصحف وبدخول الكتب، وحدث نوع من الراحة الكبيرة في السجون] كانت تثير ضجة عند العناصر ويكادون يتمردون على القيادة، فكان يأتي القادة الكبار ويقولون: "لم نقل هذا الكلام"،

فنعلق: "طالما لم تقولوه، لماذا لا تخرجون في الصحف وتقولون: "هذا الكلام قيل عنا ولم نقله، وهذا الكلام وضعه صحفي وأضافه إلى كلامنا؟"،

كانوا يردون: "إذا فعلنا هذا ستحدث مفسدة أشد"،

وللأسف كنا نصدقهم على ريب ونار في الصدور، إلى أن أتى كرم زهدي في يوم من الأيام إلى سجن العقرب وأجرى لقاء صحفيًا مع عبد الرؤوف المناوي لصالح جريدة الشرق الأوسط التي تصدر في لندن وكان ذلك في أواسط سنة ٢٠٠٣م، أغلب اللقاءات الصحفية كانت تجرى في سجن العقرب الذي كان مؤهلًا لمثل هذه اللقاءات من حيث التصميم والديكور ومن حيث الحراسة وكان في هذا السجن أيضًا العناصر والقيادات المحكوم عليها من الجماعة الإسلامية أما المعتقلون فكانوا موزعين في سجون أخر مثل الوادي الجديد، الفيوم، وادي النطرون ... إلخ حوالي عشرة سجون.

في لقاء كرم زهدي مع المناوي قال: " إن السادات قتل شهيدًا!!"،

السادات الذي قتلته الجماعة الإسلامية قتله الشيخ خالد الاسلامبولي كما فصلنا في الجيل الثاني، وعملية اغتيال السادات كانت درة أعمال الجماعة الإسلامية التي تفتخر بها ليلًا ونهارًا، وهي أيضًا التطبيق العملي لفكرة تكفير الحاكم المستبدل الفكرة المحورية للجماعة الإسلامية، فعندما يقول عنه كرم إنه مات شهيدًا فقد طم الوادي على القرى، لكن الأشنع أن تقول هذا الكلام ونعلم نحن في السجن عن طريق التسريبات أنك قلتها قبل أن تُنشر في الصحافة وبعد أن نُشر الكلام في جريدة الشرق الأوسط وأحدث ضجة كبيرة في السجون بين عناصر الجماعة وضجة في كل مصر أيضًا، يكذب كرم زهدي ويقول "لم أقل هذا الكلام"، وكانت السقطة الكبيرة له التي أزالت أي أثر لتوقيره في قلوب أغلب أفراد الجماعة الإسلامية، ليس فقط لأنه قال إن السادات قتل شهيدًا ولكن لأنه كذب وأصر على الكذب، وكنا نحن –في سجن العقرب تحديدًا– أخبر الناس بأنه كاذب في هذا الكلام، ثم بدأت منه سلسلة انحدارات أخرى لا مجال لتفصيلها هنا وإن كنا سنذكر أعظمها قريبًا بإذن الله لنبين إلى أين ينتهي ركوب رأس الزحلوقة بصاحبه، نلحظ أن بين تفعيل المبادرة في أواخر سنة ٢٠٠١م وركوب زحلوقة التنازلات بطريقة "بص على الحيطة" وبين التصريح بأن السادات شهيد سنة ونصف فقط.

نعود إلى موضوع الحاكمية، بعد أن رفض أمن الدولة كتاب الشيخ أسامة والشيخ عاصم لأنهما جعلا في المسألة رأيايين وإن رجحا أنه لا يكفر، تولى ناجح إبراهيم كبر هذا الأمر وكتب كتابًا سماه " الحاكمية: نظرة شرعية ورؤية واقعية" ذكر فيه أن تكفير الحاكم المستبدل خطأ قطعي وأن من يكفره قال بقول الخوارج، بل أخذ يمجد القانون المصري الوضعي وقال "إن أغلب هذا القانون موافق للشريعة الإسلامية"، قدر الله ﷻ أنه في هذا التوقيت كنت قد انهيت دراستي في كلية اقتصاد وعلوم سياسية وحصلت على البكالوريوس، وقاربت على الانتهاء من دراستي في المعهد العالي للدراسات الإسلامية، وكنت قد اطلعت أيضًا على كثير من القوانين المصرية،


ناجح إبراهيم

فكنت أعلم عين اليقين أن مسألة موافقة القانون المصري -ولو في الشق المدني كما يزعم ناجح- للشريعة الإسلامية لا يمكن إلا أن يكون كذبًا، لكن كيف تعاملنا مع هذا الكتاب؟

ناجح إبراهيم كان يعلم جيدًا أن هذا الكتاب سيسبب صدمة كبيرة جدًا داخل الجماعة ولن يتقبلوه بأي شكل من الأشكال، وكان المفترض أن يبدأ ناجح إبراهيم بسجن العقرب في شرح الكتاب ويحاول أن يمرره بأي طريقة من الطرق ثم يشرحه في باقي السجون، لأنه وُجد عرف ابتدعته أمن الدولة، وهو أنه إذا مرت الفكرة من سجن العقرب فستمرر في باقي السجون لأن المحكوم عليهم المجموعين في سجن العقرب لم يكونوا موعودين بشيء، يعني إذا قبلوا المبادرة فلن يخرجوا قبل قضاء فترة حكمهم، مثال: أنا محكوم علي بالمؤبد أي حوالي خمس وعشرين سنة وربما أكثر من ذلك، وهذا محكوم عليه بخمس عشرة سنة وهذا بكذا وهذا بكذا فلن يخرجوا قبل انتهاء فترات حكمهم، صحيح أنه من لا يوافق على المبادرة وطروحاتها سيظل في السجن بعد قضاء فترة حكمه، لكن في الأجل القريب لن يستفيد المحكوم من المبادرة شيئًا، أما المعتقلون فإذا وافقوا على المبادرة وإفرازاتها وأظهروا القناعة، في الغالب سيخرجون، فمن السهل أن يقبلوا أي شيء تحت زعم الإكراه القريب، ومن هنا وضع أمن الدولة قاعدته: "إذا مررتم على سجن العقرب فأقنعتموه بالفكرة سنسمح لكم بالمرور على باقي السجون لإقناعهم لأننا نعلم بهذا أن الفكرة ناجحة ومقنعة -وليست من باب التقية- بدليل اقتناع المحكومين، أيضًا عندما يقال للمعتقل إن المحكوم اقتنع بهذه الفكرة ومررها يكون هذا أدعى لقبوله لها من باب أولى".

حتى هذا الوقت كان ناجح إبراهيم لم يخرج من السجن، وهذا كان في ٢٠٠٥م وقد قضى في السجن أكثر من أربع وعشرين سنة، أما كرم فكان قد خرج قبل ذلك بحوالي سنتين. أرسل ناجح إبراهيم الكتاب إلى الشيخ صفوت عبدالغني الذي تولى إمارة سجن العقرب بعد خروج هشام عبد الظاهر على إثر لافتة تأييد مبارك، كان ناجح يريد من الشيخ صفوت أن يمهد أمر تمرير الكتاب في سجن العقرب، الشيخ صفوت عبدالغني -نحسبه على خير- لم يعجبه هذا الكتاب

لكن لم يرد أن يباشر الاعتراض بنفسه لأن هذا سيؤدي إلى إزالته من إمارة السجن ويُنقل إلى أي سجنٍ أخر ثم يولى على العقرب من يرضى بهذا الكتاب، فقام بتسريب الكتاب لمن يتوسم فيهم خيرًا من طلبة العلم داخل السجن، فوصل هذا الكتاب إليّ عن طريق أحد رفاقي من طلبة العلم وكنا حوالي خمسة معروفين بطلب العلم في السجن فأُرسل الكتاب إلى أحدنا، عندما وصل إليّ الكتاب كان عدد صفحاته حوالي ٤٠٠ صفحة وكان مسموحًا أن يظل عندي لليلة واحدة فقط وقد قرأته كاملًا في نفس هذه الليلة بفضل الله، كان الكتاب مسرب إلينا لفترة قصيرة جدًا أقل من أربع وعشرين ساعة والمفترض أن نقرأه جميعًا في هذه الفترة، فأتممت قراءته وأخرجت الملاحظات بل المصائب الموجودة فيه ونقلتها كتابة، ثم قمت بطباعة هذه الملاحظات بورق الكربون ساعدني في هذا الأخ محمد حسني عبدالوهاب أسأل الله ﷻ أن يتقبل منه هذا العمل، وقمنا بتوزيع هذه الأوراق على الشباب في سجن العقرب وقد ساعدنا في ذلك أيضًا الأخ أبو العلا عبد ربه الذي أتى بعد ذلك إلى الجهاد الشامي وقتل فيه أسأل الله ﷻ أن يتقبله شهيدًا، وكان معنا أخان آخران لن أذكر اسميهما لأنه لم يتيسر استئذانهما في ذلك، وبدأنا بقوة وبسرعة في تكوين رأي عام داخل السجن معارض تمامًا لهذا الكتاب، علم الشيخ صفوت بهذا الأمر وبتحركنا العنيف ضد الكتاب فقام باستدعائي عنده وأظهر أنه غاضب من تحركي هذا؛ قال:


أبو العلا عبد ربه

-" ما كنت أتوقع أن يكون تحرككم بهذه القوة، كنت أريدكم أن تستعدوا بطريقةٍ علمية لتردوا عليه، وليس بأن تحشدوا جميع السجن ضد الكتاب"،

– فقلت له نصًا: "مبنى الحزب الوطني [الحزب الوطني الديمقراطي كان الحزب الحاكم في مصر في هذا التوقيت] في نهاية الطريق الذي أقيم فيه خارج السجن، وكان بإمكاني أن أنضم إليه إذا أحببت ذلك في أي وقت، لكني رفضت هذا الطريق المرفه المريح وأصررت على الطريق الذي أعلم جيدًا أن نهايته الموت أو الأسر مدى الحياة، –أي فلن نأتي الآن لنتحول لفكر الحزب الوطني– وإني أؤكد لك أن هذا الكتاب لن يمر إلا على جثتي"، هكذا قلت له، فصُعق من الرد وسكت، تركته وخرجت من غرفته التي كانت

في إدارة السجن، ونزلت إلى زنزانتي ألملم أغراضي، لأني أعرف أن ضريبة هذه الكلمة أني سأُنفى إلى سجنٍ بعيد، فوجئت في هذا التوقيت بحضور الكثير من الإخوة إليّ وعلى رأسهم الإخوة طلبة العلم الأربعة [الشيخ أبو العلا لم يكن من طلبة العلم لكنه من أقوى المناصرين لفكرتنا] تجمعوا حولي وقالوا نحن معك على ما تحب، وقاموا بإخراج وفد إلى الشيخ صفوت، وقالوا له:

"ما سيحدث للشيخ يحيى سيحدث لنا جميعًا ولن نقبل أن يمس بأذى"

– فرد عليهم: "وأنا أيضًا معكم في هذا الأمر لكن كنت أريد أن يعالج الأمر بأسلوب أفضل من هذا".

بعد يوم أو يومين حضر ناجح إبراهيم إلى سجن العقرب من سجن دمنهور [كان في هذا التوقيت قد نقله الأمن من الليمان ليقيم في سجن دمنهور ليكون قريبًا من زوجته] وهو على علم بما حدث في السجن لكنه على كل الأحوال لابد أن يأتي، ولا بد أن يحاول تمرير الكتاب، جمعنا في مسجد السجن، في هذا التوقيت كان عندنا مسجد كبير في السجن قمنا ببنائه وكان يسمح لنا بالتجمع فيه، وأخذ يخاطبنا بخطاب عاطفي يقول:

"ربما لا أراكم بعد يومي هذا"،

وما شابه ذلك من الكلام ولم يشر إلى كتابه من قريب أو بعيد، فقلت له بعد أن أنهى كلامه:

"أريد أن أناظرك في هذا الكتاب الذي كتبته".

كان من فضل الله ﷻ عليّ في هذه الفترة بعد دخول الكتب أن حصّلت قدرًا كبيرًا من العلم إضافة إلى ما حصلته سابقًا، كنت قد درست الكثير من كتب شيخ الاسلام ابن تيمية والموافقات للشاطبي وقواعد الأحكام للعز ابن عبد السلام وقراءات في المغني والإنصاف وحاشية ابن عابدين ومدونة الإمام مالك ومجموع النووي بالإضافة لمطولات في التاريخ وغيرهم وغيرهم كتب كثيرة جدًا بالمئات درستها أو قرأتها في هذه الفترة بفضل الله، بالإضافة إلى ما ذكرته سابقًا مما درسته على يد الشيخ أسامة وغيره من المشايخ الذين توفروا في

السجن في هذا التوقيت، وهذا ساعدني بشدة –بحول الله وقوته– أن أكون قويًا حين أطلب من قامة كبيرة –كما كنا نظن وقتها– مثل ناجح إبراهيم مناظرة علنية في كتاب ألفه، فإن كثرة الاطلاع والقراءة من أقوى مثبتات الأقدام ورباطة الجأش والثقة بالنفس بعد التوكل على الله في مثل هذه المواقف، على عكس الحال قبل هذا الموقف بأربع سنوات حين بدأوا المرور بأطروحات المبادرة لم يكن عندنا القدرة الكافية لمثل هذه الوقفة، عندما طلبت منه هذا الأمر استفز واستنفر ورد بغضب وهو يتميز غيظًا:

"اتركوا الناس تقرأ الكتاب"،

قلت له بصوت جهوري لا يخلو من أدب مع شخص كنا نعده من كبار قادتنا:

–"أنا أترك الناس يقرؤون الكتاب، ولكني أريد أن أناظرك أمام جميع هؤلاء الناس"،

تركنا غاضبًا وخرج من المسجد، لكن الرسالة التي أريد إيصالها قد وصلت بفضل الله أفضل ما يكون.

أُحرج ناجح للغاية من طلب المناظرة أمام جميع من في المسجد فبدأ يعد نفسه للمناظرة، وللأسف الشديد كان مستواه العلمي على خلاف ما ظنناه–على رغم الفترة الطويلة التي قضاها في السجن– لا يسمح فعلًا بأن يناظرنا، فطلب من عدد كبير من الإخوة الذين توسم فيهم قوة علمية أن يساعدوه في مناظرتنا، فرفض جميع من طلب منهم بل قالوا له: "نحن على فكر هؤلاء ونرفض الكتاب الذي أتيت به"،

ثم أتى بعضهم إلينا يخبرنا سرًا بما دار بينهم وبينه ولولا خوف الإطالة وكشف ما استؤمنا عليه من سر لذكرت أسماءهم، وهنا اعتصم ناجح بالكذب فبعد أن كنا اتفقنا معه على موعد للمناظرة واتفقنا أن تكون المناظرة علنية يحضرها خمسون أخًا من السجن لئلا تُشوّه النتيجة فيقول مثلًا أنتم رفعتم أصواتكم أو ما شابه مما يفعله أي مغلوب ليبرر هزيمته، فلما لم يجد أحدًا يناظرنا، قال:

- "أنا أرفض أن أناظركم إلا في جلسة خاصة تكونون أنتم التلاميذ وأنا الشيخ تسألوني وأجيب، وهذا أصل ما اتفقنا عليه"،

- فقلنا: "هكذا لن نناظرك وهكذا أنت كذبت علينا بعد أن قبلت المناظرة ولم تجد أحدًا يعينك فيها"

وليسقط بعدها ناجح من أعيننا تمامًا كشيخ وقائد، فإنه ليس أسقط ولا أخزى للمرء من الاعتصام بالكذب للهروب من المواجهة، وقد اختلفنا مع كثير من مشايخ الجماعة وغيرها وظل احترامهم قائمًا، بعكس كرم وناجح.

بعد هذه الحادثة بيوم أو يومين -وكان ناجح يبيت معنا في السجن لكن في مبنى الإدارة- دعا ناجح كل في السجن إلى ملتقى كبير في جمالون الامتحانات [صالة كبيرة في السجن تعقد فيها الامتحانات الدراسية لمن يكمل دراسته داخل السجن] ليشرح كتابه بعد العشاء، وطلب من إدارة السجن أن تحبسنا -نحن الخمسة الذين نطلب المناظرة- داخل زنازيننا لئلا نفسد عليه ليلته، لكنه فوجئ بأن أغلب الإخوة في السجن بفضل الله تعالى رفض حضور محاضرته وظلوا خارج الجمالون، وكان الحضور ضعيفًا جدًا، وأغلب من حضروا لم يحضروا إلا خوفًا أو فضولًا لمعرفة ما يريد قوله (كان هذا تبريرهم لنا)، وبهذا -بفضل الله تعالى- فشل تمرير هذا الكتاب ولم يقم ناجح إبراهيم بعدها بنشره أو شرحه في باقي السجون، فقد علمت أمن الدولة جيدًا -من موقف سجن العقرب- أن هذا الكتاب قد يؤدي إلى فشل كل المبادرة.

إلى هذا التوقيت كنت مستمرًا مع الجماعة الإسلامية راجيًا أن يحدث إصلاح، كان الشيخ عاصم والشيخ عصام حقيقةً يقفون في جانبنا، ويحاولون فعلًا أن يمنعوا هذا الانحدار الشديد الذي يحدث، وكنا نسعى معهم جاهدين لعله نجد بصيص ضوء في نهاية نفق الظلام، لكني أخذت قرارًا نهائيًا بأنه إذا طبع ونشر هذا الكتاب فلا يجوز لي أبدًا أن أستمر مع هذه الجماعة.

استقر عرف منذ بداية المبادرة أن يُكتب أسماء جميع مجلس شورى الجماعة على كل كتاب يصدر باسم المبادرة عدا الشيخ عبود والشيخ طارق الذين رفضوا هذه المبادرة من البداية، تُكتب الأسماء على الغلاف الخارجي للكتاب لتُبين إقرار جميع مجلس الشورى بمحتوى الكتاب، وحين أصر ناجح إبراهيم على طبع ونشر كتابه المشؤوم —عن طريق أمن الدولة- رغم عدم قدرته على شرحه في السجون خرج الكتاب وعليه أسماء أعضاء الشورى كالعادة دون اسم الشيخ عبود والشيخ طارق لكن المفاجأة هذه المرة أنه لم يوجد أيضًا اسم الشيخ عاصم والشيخ عصام الذين رفضا أن توضع أسماؤهم على الكتاب، أما الشيخ عصام دربالة فكان مقتنعًا بأن الحاكم المستبدل كافر وكان يجاهر برأيه هذا ومصّر عليه ويرفض تمامًا فكرة ناجح، أو حتى فكرة الشيخ أسامة والشيخ عاصم في الكتاب الأول، أما الشيخ عاصم عبد الماجد فأخبرنا أنه رفض أن يوضع اسمه على كتاب يصف من يقول بكفر الحاكم المستبدل بالخارجي، رغم أنه قد غير قناعته بكفره كما ذكرنا قبل.

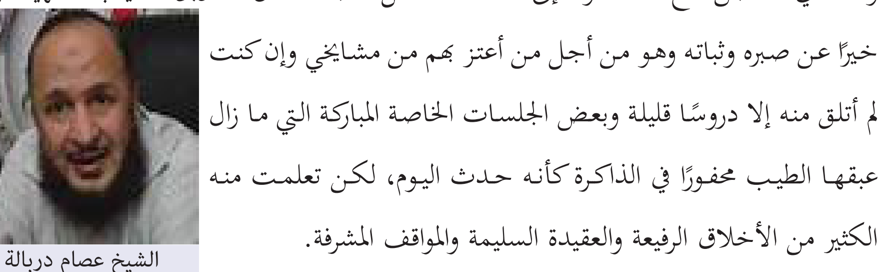
وكما هو متوقع دفعا ثمن عدم وضع اسميهما غاليًا، فكانا آخر من خرج من مجلس الشورى من السجون، طبعاً باستثناء الشيخ عبود والشيخ طارق الذي خرجا في ٢٠١١ م كما مُنعا من الاختلاط بعموم الإخوة فترة وجودهم في السجن .

بعد نشر الكتاب سنة ٢٠٠٥م قمت فورًا بكتابة استقالتي في ورقة رسمية أرسلتها إلى كرم زهدي، وكتب معي الشيخ محمد حسني استقالته أيضًا، أما باقي رفاقنا الثلاثة فرأوا ألا يحذوا حذونا لأسباب عندهم، وبهذا تكون انتهت قصتي تمامًا مع الجماعة الإسلامية، وفي الحقيقة فإن الجماعة الإسلامية نفسها قد انتهت فعلًا في هذا التوقيت وتفتت، لم يعد أحد مقتنع بفكرها من الكوادر والعناصر القديمة، استمروا معها فقط من باب المسايرة ليخرجوا من السجون، واستمر كرم وناجح بالخصوص في الانحدار أكثر وأكثر إلى أن وصل الحال بكرم بعد سنة أو سنتين من كتاب ناجح إبراهيم أن ذكر في حوار مع جريدة المصور ما نصه: "إن خلط الدين بالسياسة يفسد الأمرين معًا" كبرت كلمة تخرج من فيه، كلمة أشد من الكلمة التي قالها السادات "لا

سياسة في الدين ولا دين في السياسة" والتي كانت من أقوى ما استدلت به الجماعة في ١٩٨١م على تكفيره وتبرير اغتياله، وهكذا زحلوقة التنازلات لم تتركه إلا في قاعها بعد تاريخ طويل في النضال والجهاد في الطريق إلى الخلافة، والفتنة ليست كبيرة على أحد نسأل الله العفو والعافية وأن يثبت قلوبنا على الحق وعلى دينه إلى أن نلقاه.

ناجح إبراهيم وكرم زهدي ظلا –بمساندة الأمن– قادة الجماعة الإسلامية المقدمين بعد أن خرجت الجماعة الإسلامية من السجون إلى أحداث يناير ٢٠١١م، بعد أحداث يناير والتغيرات التي حدثت في مصر وضعف أمن الدولة أجريت انتخابات بين من تبقى منتميًا للجماعة وسقط كرم وناجح بالأغلبية وتولى الإمارة الشيخ عصام دربالة ليحاول إعادة ترميم الجماعة ولكن على أساس مختلف عن سيرتها الأولى، ذكرت أن الجماعة الإسلامية فتتت لكن أذكر هذه الانتخابات لأقول إن أغلب عناصر الجماعة الإسلامية كانوا ما زالوا مقتنعين بالفكر الصحيح في مسألة الحاكمية وتكفير المستبدل الذي كان يمثله ثبات الشيخ عصام دربالة رحمه الله تعالى ولهذا انتخبوه.

بعد الانقلاب العسكري على مرسي في ٢٠١٣م سجن الشيخ عصام مرةً أخرى واختير ليسجن دونًا عن كل شورى الجماعة لأن أمن الدولة تهتم –كما ذكرنا– بمسألة الحاكمية كثيرًا، وبعد وضعه في السجن منع عنه الدواء إلى أن مات داخل سجنه أسأل الله ﷻ أن يتقبله شهيدًا ويجزيه خيرًا عن صبره وثباته وهو من أجل من أعتز بهم من مشايخي وإن كنت لم أتلق منه إلا دروسًا قليلة وبعض الجلسات الخاصة المباركة التي ما زال عبقها الطيب محفورًا في الذاكرة كأنه حدث اليوم، لكن تعلمت منه الكثير من الأخلاق الرفيعة والعقيدة السليمة والمواقف المشرفة.



الشيخ عصام دربالة

أما الكتاب الذي ألفته في الرد على حاكمية الشيخ أسامة والشيخ عاصم فقد طورته وأضفت اليه ردًا على ناجح إبراهيم وإن كانت إضافات قليلة لأن كتاب ناجح

إبراهيم كان ضعيفًا للغاية يعكس ضعف علمه وعدم توفيق الله ﷻ له، أضفت أيضًا لكتابي ردًا على كتاب شخص يسمى "خالد العنبري" دكتور في جامعة شرعية في الجزيرة وقد كتب كتابًا في الحاكمية به ضلالات وأكاذيب كثيرة، حتى أصبح كتابي حوالي ١٣٠ صفحة، لكن في هذا التوقيت وقع في يدي كتاب الشيخ محمد شاكر الشريف "إن الله هو الحكم" فوجدت في هذا الكتاب غنى عما كتبته، والطريقة التي ارتضيتها لنفسي في التأليف ألا أكتب كتابًا يوجد مثله أو أفضل منه في متناول الناس، لهذا لم أهتم بنشر كتابي في الحاكمية والرد على من ضل فيها، وإن كان الكتاب قد نسخ منه بخط اليد حوالي ١٠٠ نسخة ووزعت على كل السجون الموجود فيها عناصر الجماعة لحمايتهم من شبهات ناجح، ثم في الشام سجلت سلسلة حلقات قصيرة في هذه المسألة بعنوان "ألا له الخلق والأمر" [٧].

تكلمنا باختصار عن التراجعات التي قامت بها الجماعة الإسلامية، ونبدأ في ذكر التراجعات التي قامت بها جماعة الجهاد.

جماعة الجهاد كان يوجد معضلات في التعامل معها من قبل الأمن:

أولًا: أغلب كبار قادة جماعة الجهاد كانوا خارج السجون خارج مصر كما بينا في الجيل الثالث، لكن بعد أحداث ١١ سبتمبر قُبض —بواسطة أمريكا وعملائها– على أغلب هؤلاء القادة من مختلف أصقاع الأرض وسلموا إلى مصر، وكان ممن قبض عليهم سيد إمام، الذي كان قد ترك جماعة الجهاد إثر خلافه مع الدكتور أيمن حول كتابه "الجامع في طلب العلم الشريف" كما فصلنا في الجيل الثالث، وقرر أيضًا أن يترك كل الجماعات ويأخذ بحديث العزلة، الشاهد أنه بالرغم من كل هذا قامت اليمن بتسليمه إلى مصر بعد أحداث ١١ سبتمبر مباشرةً.

ثانيًا: المشكلة الأكبر في تعامل الأمن مع جماعة الجهاد كانت عدم وجود رأس لها يسمع الجميع له ويطيعونه، وقد ذكرنا قبل وجود مشكلة في مسألة السمع والطاعة عند جماعة الجهاد وأنها ليست مثل الجماعة الإسلامية.

---

٧ شاهد الحلقات على الرابط:
على الرابط:
https://muhajee.com/watch/4Tm4S4JKkKQ6bOQ

ثالثًا: وجدت انشقاقات كثيرة داخل جماعة الجهاد.

رابعًا: كان قائد من أكبر قادة ورموز جماعة الجهاد حرًا لم يقبض عليه وهو الدكتور أيمن الظواهري وكان يستطيع نشر بيانات ومؤلفات ترد على أي انحراف .

لكل هذه الأسباب كان عند الأمن صعوبة كبيرة في ترويض جماعة الجهاد، لكن وجود سيد إمام مع ما كان له من مكانةٍ كبيرة عند الجهاديين عمومًا وجماعة الجهاد خصوصًا حيث كان يعتبر المفكر الأكبر لجماعة الجهاد، بل البعض كان يبالغ ويسوّقه للعناصر على أنه أعلم أهل الأرض!!، فكانت فرصة جيدة لأمن الدولة علّها تصنع منه رمزًا يقود مبادرات وتراجعات جماعة الجهاد، وبعد أن قضى فترة تقارب الخمس سنوات داخل غرفة مظلمة في المخابرات استطاعوا أن يقنعوه أن يكتب وثيقة ينتقد فيها الشيخ أسامة بن لادن والدكتور أيمن الظواهري، أما مسألة الحاكمية وتكفير الدولة والخروج عليها فقد رفض سيد إمام تمامًا أن يقدم أي تنازلات فيها، وكانت هذه المسألة قد تجاوزها الزمن نوعًا ما بعد انقضاء فترة الجيل الثالث لأننا بدأنا في فترة الجهاد العالمي، ففكرة الأمن كانت تسويق النظام المصري أكثر عند أمريكا، الآن زمن الجهاد العالمي ضد أمريكا فلماذا لا نستغل سيد إمام في هذا الأمر، وإن لم يتحدث الآن في مسألة الحاكمية يتحدث ضد هذا النوع من الجهاد، وفعلًا أتوا بسيد إمام إلى سجن العقرب في سنة ٢٠٠٦ م تقريبًا، وقتها كنت قد استقلت من الجماعة الإسلامية كما أشرت، وفي البداية عزلوا سيد إمام عنا، وضعوه في عنبر مختلف عن عنابرنا، فقمت مع الشيخ محمد حسني بمغامرة واستطعنا بطريقة ما أن نخترق العزل ونقابله، جلسنا معه وحذرته من أن الأمن سيهتم جدًا أن يقدم تنازلًا في مسألة الحاكمية، فرد علي سيد إمام وقال:


سيد إمام

"مستند من لا يكفر الحاكم المستبدل تفسير ابن عباس لقوله تعالى{ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون}"، ثم نظر إلي وأشار بيده إشارة تقليل وقال: "إيش ابن عباس" يريد أنه

يفهم الآية أكثر مما يفهمها ابن عباس ﷺ وأن قوله ليس حجة، لا شك أن كلام ابن عباس ﷺ له تأويلات كثيرة ولا يتناول الحاكم المستبدل، لكن أن يكون اعتراضك على هذا الكلام بأنك تظن نفسك أفقه وأعلم من ابن عباس ﷺ بتفسير الآية، هذا الأمر أسقطه من نظري مباشرةً، لكنه لم يكن قد قدم بعد تنازلات معلنة، بعد هذه الواقعة ببضعة أشهر أخرج سيد إمام إلى العلن وثيقة سماها "وثيقة ترشيد العمل الجهادي" تدور هذه الوثيقة أساسًا في نقد فكر تنظيم قاعدة الجهاد، وفيها انتقادات للشيخ أسامة بن لادن رحمه الله وللشيخ الدكتور أيمن الظواهري، هذه الوثيقة نُشرت في الصحف المصرية، بعد نشرها قام الدكتور أيمن الظواهري بالرد عليها بكتاب سماه "تبرئة أمة القلم والسيف من منقصة تهمة الخور والضعف" والذي اشتهر اختصارًا باسم "التبرئة"، فقام أمن الدولة بعرض كتاب التبرئة على سيد إمام فجن جنونه.

أمن الدولة –وما شابهها من الأنظمة الطاغوتية– تقوم بدراسات نفسية لأعدائهم، فكانت تعلم جيدًا ردة فعل سيد إمام حين يرى رد الدكتور أيمن، وبالفعل لما عرض هذا الكتاب عليه استكبر سيد إمام واشطاط غضبًا، وهو معروف بمزاجه الشاذ واعتداده الشديد بنفسه، "كيف يرد عليّ أيمن؟، كيف يجرؤ هذا الجاهل؟" هكذا كان يفكر "وأنا من يقدمونني بأني أعلم من في الأرض" فقام بردٍ شديدٍ عليه تجاوز فيه الكثير من الخطوط الحمراء، فسبّ كثيرًا في الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله وفي الدكتور أيمن الظواهري وكان رد فعلنا على هذا الأمر أن قمنا بمقاطعته مقاطعة تامة داخل السجن إلا قلة قليلة.

بالنسبة لوثيقة ترشيد العمل الجهادي التي كتبها سيد إمام ونُشرت له، هي في الحقيقة تحمل أفكار الرجل، لم يقدم –من وجهة– نظره تنازلات فكرية، هذه أفكاره وهذا رأيه حقيقةً في الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله وفي الدكتور أيمن الظواهري، لكن الفكرة أنه قدم مادة دسمة للأمن والحكومة المصرية وللحكومة الأمريكية في انتقاد هؤلاء المشايخ على العلن، وقام الأمن بنشر هذا الكلام، أيضًا عندما كتب هذا الكلام كتبه بطريقة "لا تقربوا الصلاة" أي يذكر الجزء الخاص بنقد الشيخ

أسامة رحمه الله والدكتور أيمن ولم يتكلم عن الحكومات العلمانية التي تُشرّع القوانين من دون الله ﷻ والحكومة الأمريكية وضرر هذه الحكومة على بلاد المسلمين وكيف نتعامل معها، و"وثيقة ترشيد العمل الجهادي" على سوئها لكنها لم تتجاوز الكثير من الخطوط الحمراء ورضي بها الأمن بداية لأنه يعلم أن الدكتور أيمن سيرد وهذا ما سيجعل سيد إمام يتجاوز بنفسه كل الخطوط وبدافع ذاتي دون أن يحتاج إلى ضغط، وكما ذكرنا فإن الأمن قد درس نفسيته جيدًا ومن يستطع أن يكشف نفسية شخص ما يقدر بكل سهولة أن يتحكم فيه كما يشاء.

أذكر حادثة حدثت في هذه الفترة تبين مدى الشذوذ الفكري والشذوذ في فهم الشريعة عند هذا الرجل، حيث كان يسمح لنا بالتجول في ملعب السجن، فوجئنا بسيد إمام في أحد الأيام يخرج للتجول عصرًا وقد صبغ لحيته البيضاء نصفها باللون البني والنصف الآخر تركه أبيض دون صبغة، وكنا قد قاطعناه كما سبق وأشرت لكن كان معنا أخ لم يشترك في المقاطعة فسأله :

"لم فعلت هذا؟"

- فقال "اطلعت على دليل يدل أن السنة تغيير لون اللحية ودليل آخر بأن السنة عدم التغيير، فأردت أن أجمع بين الدليلين !!"

أعوذ بالله تعالى من ضلال الأفهام، فلو سلمنا بوجود دليلين متعارضين كما يزعم فإنه لا يوجد في الأمة من قال قبله بالجمع بينهما بهذه الطريقة الشاذة المثيرة للشفقة والسخرية، لكن هذا نموذج يبين لنا طريقة التفكير التي تُنتج شذوذات الغلو والانحراف في الأمة، ونتيجة البعد عن النصيحة الذهبية لأهل العلم "إياك أن تقول قولًا ليس لك فيه سلف".

سيد إمام بلغ في عداوته لجماعة الجهاد وتنظيم القاعدة درجات كبيرة للغاية، كان يعاديهم عن قناعة، والسبب الأساسي –كما قلنا– تغييرهم في كتابه "الجامع في طلب العلم"، من قام بهذا التعديل –في الأغلب– الشيخ مرجان المعروف في الوسط الجهادي باسم عبدالحكيم حسان أي كان على رأس اللجنة التي شكلها الدكتور أيمن لهذا الغرض، درجة عداوة سيد إمام وصلت به إلى

أن يشمت مرة من المرات في مقتل أحد كوادر القاعدة في اليمن عن طريق طائرة درونز أميركية ويقول:

"إن مقتله كان بسبب دعائي عليه لأنه ساعد في تحريف كتابي الجامع في طلب العلم"، ونشرت له صحيفة المصري اليوم القريبة من المخابرات المصرية هذا التصريح، نسأل الله العفو والعافية من الفجور في الخصومة.

أما عن كيفية تعامل الأمن مع عناصر جماعة الجهاد بعد وثيقة سيد إمام، فإنه على خلاف التعامل مع عناصر الجماعة الإسلامية كان يطلب من عناصر جماعة الجهاد أن يوقعوا على وثيقة ترشيد العمل الجهادي، لم يكن يطلب من عناصر الجماعة الإسلامية أن يوقعوا على شيء، وذلك لما هو معروف عن الجماعة الإسلامية من السمع والطاعة للمشايخ والتماسك الداخلي، فكان يكتفي الأمن بإعلان القادة التنازلات وعدم حدوث احتجاجات معلنة ظاهرة ضدهم، أما عناصر جماعة الجهاد كان يطلب منهم التوقيع على الوثيقة لأن كثيرًا من قادات جماعة الجهاد رفضوا وثيقة ترشيد العمل الجهادي، من الذين رفضوها: الشيخ محمد الظواهري، والشيخ مجدي سالم، والشيخ أحمد سلامة مبروك، وغيرهم كثير، فأراد الأمن أن يميز صفوفهم ويظهر من يوافق ويوقع فيوعد بالخروج إن كان معتقلًا أو بالخروج بعد انتهاء فترة حكمه إن كان محكومًا، ومن لا يوقع سيظل في السجن إلى ما شاء الله، وإن كان عند التطبيق العملي خرج الجميع بعد ذلك سواءً قبل أحداث يناير ٢٠١١م أو بعد هذه الأحداث.

في الحقيقة كانت أمن الدولة تريد الانتهاء من الجيل الثالث وإغلاق ملفه، الجيل الثالث مرحلة انتهت، وبدأنا بجيل جديد جيل الجهاد العالمي فكانوا يريدون الانتهاء من الجيل الثالث لأنه في هذه الفترة بدأت معضلة مقاومة الجيل الرابع والجهاد العالمي تحت وصاية أمريكية، كان يأتي إلينا في السجون مجموعات تتبنى فكر القاعدة، مجموعات قليلة أغلبها من سيناء وكنا نلاحظ على هذه المجموعات أن أغلب المعلومات التي حصلت عليها حصلت عليها عبر الإنترنت وعبر فهم

الكلام العام الذي يذكره المشايخ، وقد أدى هذا إلى انتشار الغلو بين هذه المجموعات، ليست كل المجموعات تتبنى فكر الغلو لكن كثير منها، لم يكن هذا أيضًا فكر جماعة القاعدة لكن كان الفهم الخاطئ للإطلاقات التي كان يذكرها بعض المشايخ في الإنترنت، فكانوا يأتون عندنا بفكر يتبنى فكرة الغلو وكادوا أن يصبغوا جماعة القاعدة بهذا الفكر، لكنه لم يكن فكرًا مؤصلًا كان فقط فهمًا للعمومات التي تذكر على الإنترنت، عندما كنا نوضح لهم الكلام الصحيح في هذه المسائل كانوا يقبلون هذا الكلام لأن جهلهم كان جهلًا بسيطًا، لكن خلاصة الأمر أن هذه المجموعات على كل الأحوال كانت مجموعات قليلة مؤذنة بانتهاء الجيل الرابع.

بالنسبة لي بعد استقالتي من الجماعة الإسلامية سنة ٢٠٠٥م وإلى خروجي في ٢٠١١م كانت فترة ذهبية في زيادة الاطلاع والقراءة وطلب العلم سواء على المستوى الحر أو الأكاديمي فأضفت لدراستي وقراءاتي مئات من الكتب الأخرى بفضل الله تعالى، وحصلت على إجازة المعهد العالي للدراسات الإسلامية وليسانس حقوق أيضًا، بالإضافة لبكاليريوس اقتصاد وعلوم سياسية قسم علوم سياسية الذي أشرت إليه قبل، كما فتح الله لي باب التأليف فبعد كتاب الرد على حاكمية ناجح والعنبري أتممت كتابي "سبيل الناجين عند اختلاف المجتهدين : بحث ميسر في الاجتهاد والتقليد" ثم كتاب " نظرية النصر في الإسلام" الذي نجحت في تسريبه خارج السجن ونُشر في معرض الكتاب المصري الدولي سنة ٢٠١٠م، وكتبت كذلك كتابي " دولة القرآن"، كما اختصرت مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية مع كتابيه الصارم المسلول واقتضاء الصراط المستقيم في كتاب سميته "درر شيخ الإسلام ابن تيمية : ملخص تسعة وثلاثين مجلدًا من مؤلفات وفتاوى شيخ الإسلام"، فالحمد لله على نعمه وفضله فقد كان السجن بالنسبة لي نعمة وفضل وفتح كبير من الله عز وجل.

عند بداية مظاهرات واعتصامات يناير في مصر سنة ٢٠١١م كان من تبقى في السجون لا يزيد عددهم عن خمس مئة من المجاهدين، بعد أن خرج الناس بالمبادرات، بل من لم يوافق على المبادرات

كانت أمن الدولة تخرجه بعد أن تأخره عن رفاقه شهراً أو اثنين أو سنة أو اثنتين لكن في النهاية يخرج من السجن، تبّقى في السجون بعض المجموعات الجديدة القليلة المقبوض عليها المنتمية لتنظيم القاعدة، وتبّقى من كانت عليهم أحكام طويلة من الحقبة السابقة، عندما حدثت أحداث ٢٥ يناير خرج أغلب هؤلاء الخمسمائة من السجون لكن تبّقى حوالي المئتين من أصحاب الأحكام الطويلة وحوالي ١١ محكوم عليهم بالإعدام، ثم قام المجلس العسكري في شهر مارس ٢٠١١م بإصدار عفو عن أغلب المحكومين المتبقين يُسمى عفو نصف المدة وأُسقط اسمي من هذا العفو، قالوا: "سقط سهوًا" وعرفت أنها ضريبة مسألة الحاكمية، استفدت كثيرًا من الفترة التي قضيتها في السجن بعد إسقاط اسمي سهوًا -كما يزعمون- حيث استمرت هذه الفترة في سجن العقرب من شهر ثلاثة ٢٠١١م إلى شهر ثمانية ٢٠١١م خمسة أشهر، أنشأنا وقتها خلية عمل مكونة من الشيخ مصطفى حمزة ومن الشيخ شعبان رجب ومن الشيخ محمد الظواهري ومن الشيخ مرجان (عبد الحكيم حسان) ومن الشيخ أحمد سلامة مبروك ومني العبد الفقير، وكانت فرصة كبيرة لأتعرف على أفكار جماعة قاعدة الجهاد وعلى كبار قادتها عن قرب، جلسنا جلسات كثيرة مطولة وقمنا بالكثير من الأعمال من أجل الإفراج عن باقي المسجونين [كان متبق أقل من مئة فيما أذكر]، في شهر ثمانية ٢٠١١م أصدر المجلس العسكري قرارًا بالإفراج الصحي عني وعن الشيخ خيرت الشاطر –نائب المرشد العام في الإخوان ورأس تيار الصقور فيهم- والشيخ حسن مالك من كبار جماعة الإخوان المسلمين أيضًا، كان محكوم عليهما قبل أحداث يناير وكانا محبوسين في سجن مزرعة طرة وليسا معنا في سجن العقرب، المهم هنا أن الإفراج الصحي هو نوع من التقريع والعقاب لأن الأمن يستطيع في أي لحظة القبض عليك مرةً أخرى بدعوى أنك قد شفيت من سبب الإفراج عنك، حيث ثلاثتنا لم يكن يعاني فعلًا مشاكل صحية تستدعي في عرف الأمن الإفراج، وعرفت أيضًا أن هذه ضريبة أخرى لمسألة الحاكمية وأن أمن الدولة مازالت تتحكم في الساحة المصرية ولكن من وراء ستار لا كما راج وقتها أن نفوذها انتهى تمامًا، لكن بفضل الله تعالى أكرمني الله ﷻ

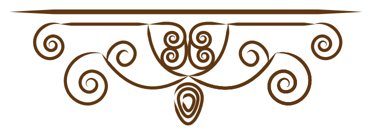
واستطعت الخروج إلى الشام بعد ذلك ولم أقع في أيديهم مرةً أخرى كما سنبين في الجيل الخامس بإذن الله، أيضًا من ثمرات تأخري في الخروج أنه كان سببًا في توظيفي في مدرسة دولية، لو كنت خرجت مع من خرج في شهر مارس كنت توظفت في مجال آخر لكن تأخري كان من نعم الله علي لأتوظف في مدرسة دولية أُدرّس فيها مادة الفيزياء باللغة الإنكليزية لشهادة السات أو S. A.T وبفضل الله ﷻ نجحت في وظيفتي نجاحًا كبيرًا أحمد الله ﷻ على فضله الكبير وكان هذا أيضًا من أسباب تيسير خروجي للشام كما سأبين في الجيل الخامس بإذن الله.

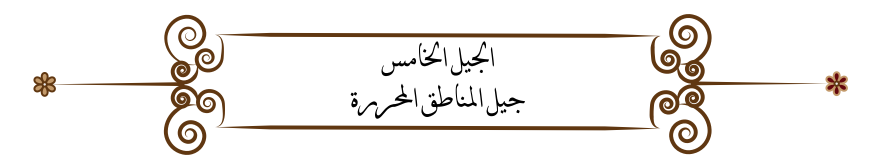
بعد خروجنا من السجون كان هناك شلل للجماعات الجهادية – بل لكل من يحملون الفكر الجهادي – سبب الشلل أن الجميع انخرط في العمل السياسي البرلماني حتى الأحزاب السلفية مثل حزب النور، حزب النور قبل انحرافه الشديد الذي حدث كان من أقرب التيارات السلفية للجماعات الجهادية وكان من أكثر المنكرين على العمل البرلماني وله في ذلك أبحاث مشهورة ولكنه انخرط بعد ٢٥ يناير في العمل البرلماني، بل وصل الأمر أنّ بعض جماعات الجهاد من الذين رفضوا التوقيع على وثيقة ترشيد العمل الجهادي كونوا حزبًا وظهر استعدادهم للانخراط أيضًا في العمل البرلماني، والجماعة الإسلامية بقيادة الشيخ عصام دربالة انخرطت في العمل البرلماني أيضًا، كلهم كانوا يظنون أن هذا هو الطريق الذي سيحكم الشرع عن طريقه، وفي الحقيقة الواقع كان فتنة واستدراج بكل معنى الكلمة، تنظر إلى مجلس الشعب (البرلمان المصري) فتجد رئيس البرلمان من جماعة الإخوان —سعد الكتاتني– وتجد النائب يحلف اليمين في الجلسة الأولى للبرلمان فيقول: "أقسم بالله أن أحترم الدستور والقانون فيما لا يخالف شرع الله ﷻ" وهذا الكلام غريب جدًا ولم نكن نتخيل أبدًا أننا سنعيش لنراه بأعيننا يحدث ويقال في البرلمان المصري، فكان من توقى العمل البرلماني —ومن نعم الله عليّ وفضله أني لم أشترك في هذا العمل أبدًا ولا على مستوى الإدلاء بالصوت في الانتخابات– ويحمل الفكر الجهادي لا يجد مسوغًا للعمل، ماذا سنعمل الآن؟ الدولة قريبة من أن تكون دولة مسلمة، وأن يحكم شرع الله ﷻ، وأن تعود الخلافة مرةً أخرى إليها، فلماذا نعمل الآن؟ ننتظر حتى

تينع الثمرة ونراها بأعيننا، وكانت المراحل تحرق، مرحلة وراء أخرى، مجلس الشعب ثم الرئاسة ثم كذا ثم كذا إلى أن حدث الانقلاب فأفقنا من حلمنا وتبددت الآمال الوردية على واقع أليم علقم.

قبل الانقلاب إذا ذهبت إلى أحد وطلبت منه أن يعمل عملًا جهاديًا، يكون السؤال الاستنكاري: ضد من تقوم بهذا العمل الجهادي؟ وما الغاية منه؟

كان واقع مصر مختلفًا تمامًا عن واقع ليبيا وواقع سوريا والذين بدأ فيهما مبكرًا مرحلة الجيل الخامس مرحلة المناطق المحررة.





قبل أن أبدأ في ذكر أحداث هذا الجيل أشير إلى عدة أمور:

أولًا: كما ذكرت كثيرًا إني لا أتعمد استيعاب كل الأحداث، هذا أمر فوق طاقة هذه الحلقات ويحتاج إلى مجلدات كبيرة وإلى ساعات وساعات، أذكر فقط نماذج مهمة من الأحداث ممكن نعتبرها كمتن للأحداث وشهادة على الوقائع التي رأيتها بعيني، ولهذا بعض الناس –الذين شاهدوا الحلقات الماضية– يسألون لماذا لا تتحدث عن الجهاد في هذه المنطقة وفي هذه المنطقة؟ أقول الغرض الاختصار، وأن أروي كثيرًا مما شهدته بنفسي والذي قد لا يقدر أن يرويه غيري وذلك ليُستفاد منه بعد ذلك إن أراد أحد أن يتوسع في الموضوع، والغرض أيضًا أن نستخلص أهم العبر من هذه الاحداث.

ثانيًا: كنت مترددًا في سرد أحداث الجيل الخامس، لأنا ما زلنا نعيشه، فخشيت أن أُتهم بالتحيز، وهذا شيء متوقع بلا شك، خشيت أيضًا أن يؤثر الكلام على أحداث الجيل لأن الأحداث ما زالت تصنع ولكن دفعني للحديث عن هذا الجيل أمران:

الأمر الأول: أهمية هذا الجيل فهو ذروة العمل الجهادي والوقت الذي نعيش فيه الآن هو أفضل الأوقات التي مرت على المجاهدين منذ ١٩٢٨م إلى تاريخ هذه اللحظة، فهذا الأمر يحتاج أن يؤرخ ويحتاج أن يُذكر ما هو وجه الفضل في هذا الجيل.

الأمر الثاني: أن هناك بعض الأحداث في هذا الجيل حدث تشويه لها وتأريخ مزور، هناك من بدأ يسرد أحداث هذا جيل بطريقة مشوهة أو مزورة، وأذكر موقفًا حين جلس معي أحد الأخوة القريبين مني وقال:

"كيف يُنشأ جيش الأحرار، ويُصدّر بيان إنشاء الجيش بآية {واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا} وهذا الجيش –على زعمه– عبارة عن انشقاق عن الأحرار؟!"

تعجبت من الطرح لأن الجيش لم يكن انشقاقًا عن الأحرار، ولأن فعلًا الغرض منه كان الاعتصام ومنع التشتت والتفرق، كما سأبين في وقته بإذن الله، لكن هذه الحادثة استوقفتني خاصة أن من يقول هذا من المقربين وليس من المغرضين، استوقفتني أيضًا قصة أخرى عندما كنت في اسطنبول وقابلت بعض الشباب المصريين ووجدت أنهم يريدون أن يعيدوا مرةً أخرى الأخطاء التي حدثت في الأجيال الماضية خاصةً في الجيل الثالث من خلال إنشاء عمل جهادي عبر التنظيم العنقودي ... إلخ، طرحت عليهم فكرة المناطق المحررة لم يستوعبوا الفكرة، ولم يكن عندي من الوقت ما يكفي لشرح الفكرة لهم، فوجدت هذه فرصة وربما واجب أن أبين ماذا تعني منطقة محررة؟

– وما فائدة المناطق المحررة في مسيرة المجاهدين وأهدافهم؟

واجتنابًا للنقد والتشغيب ولمآرب أخرى سأتوقف بالسرد عند بداية سنة ٢٠١٧م حين أسست هيئة تحرير الشام في أول شهر من هذه السنة، هنا اختلف الوضع واختلف الواقع وبدأت مرحلة جديدة في هذا الجيل أو جزء ثان منه، وبالتالي عندما أنهي سرد الأحداث عند ٢٠١٧م مع انتهاء أغلب التنظيمات القديمة ومع وجود كيان جديد انضممت إليه لا يكون هناك وجهة للاتهام بالتحيز.

قبل أن أبدأ في سرد أهم تفاصيل الجيل الخامس أشير أن إرهاصات هذا الجيل بدأت مع بداية ثورات الربيع العربي والتي انقدحت شرارتها في تونس شهر ١٢ سنة ٢٠١٠م، ثم انتقلت إلى مصر في شهر ١ سنة ٢٠١١م، حيث قام الشعب المصري بمظاهرات واعتصم في ميدان التحرير فتنحى على إثر ذلك رئيس مصر حسني مبارك واحتوى الجيش المصري بذكاء هذه المظاهرات ليستطيع بعد ذلك أن يوجه الوضع السياسي في مصر إلى الطريق الذي

يريده، فقد حصل نوع من تفريغ شحنات الغضب عند الشعب وامتُص غضبه ثم التُف عليه، وقد نصحهم الشيخ حازم صلاح أبو اسماعيل بأن لا ينصرفوا من الميدان إلى أن يُزال النظام القديم كاملًا ولكنهم لم يستجيبوا للنصيحة وذاقوا الويلات بعد ذلك، في تفاصيل لا مجال لذكرها في هذا المختصر، بعد مصر اشتعلت المظاهرات في ليبيا وفي سوريا وفي اليمن، لكن المظاهرات في ليبيا وفي سوريا وفي اليمن أخذت طابعًا مختلفًا نظرًا لاختلاف تعامل الأنظمة معها، وبدأت تظهر المناطق المحررة في سوريا بالذات حيث تعامل نظام بشار وجيشه بغباء وعنف شديد مع المظاهرات، ونتيجة لوجود احتقان طائفي حيث كانت الطائفة العلوية النصيرية يضطهدون أهل السنة لعشرات السنين أدى هذا الاحتقان المتراكم والكبت الرهيب مع استخدام بشار الطائرات في قصف المظاهرات واستخدام القوة المفرطة إلى تحول المظاهرات سريعًا إلى العمل العسكري والأعمال المسلحة ومن ثم بدأت مرحلة المناطق المحررة، في مصر كما ذكرنا سابقًا بدأ نوع من السماح للإسلاميين –السماح المتحكم فيه– فترشحوا في البرلمانات وللرئاسة لكن في إطار محدد وبضوابط معينة تديرها الدولة العميقة وتمهد للعودة مرة أخرى للواجهة والإدارة المطلقة وهو ما حدث عن طريق الانقلاب الذي قام به عبدالفتاح السيسي، بعد انقلاب السيسي على محمد مرسي شعر جميع الإسلاميين بالخطر وخرج الأغلب في المظاهرات واعتصم عدد كبير في ميدان رابعة وميدان النهضة، بل رأيت في ميداني رابعة والنهضة من كان يكفّر الرئيس محمد مرسي، فالكل أدرك أن الضرر العظيم سيعم الجميع.


الشيخ حازم صلاح أبو إسماعيل

بالنسبة لمسألة تكفير محمد مرسي فهو خطأ لأن الأقوال الكفرية التي قالها ويعتمد عليها من كفره اعتذر عنها بعد ذلك، ومسألة الترشح للبرلمانات خطأ يقع فيه الإخوان بتأويل، يريدون أن يحكموا الشريعة عن طريق هذه البرلمانات وهو تأويل أخطأوا فيه بلا شك لكن لا يكفرون بل يعذرون بجهلهم [والتأويل الخطأ نوع من الجهل المركب]، وقد كان مرسي يصرّح ويقول: "أنا أريد أن أحكّم

الشريعة" صرح بهذا كثيرًا، وكان يقدم العلماء ويكرمهم ويفتح المجال للدعوة، أما اتهامه باستخدام الجيش لضرب المجاهدين في سيناء فهذا عند التحقيق لم يحدث، بل الذي حدث أن قام بعض المجاهدين في سيناء بعمل جهادي خاطئ ضد الجيش في ظرف غير منطقي أبدًا ولا مبرر وقد خطّأ هذا العمل الشيخ مجدي سالم والشيخ محمد الظواهري وغيرهم من المشايخ، ونتيجة هذا العمل أمر مرسي الطيران بضرب مناطق في سيناء لا يوجد فيها أحد –وهذا من باب الإنصاف– وأُعلن أنه ضُرب وقُتل الإرهابيون ... إلخ، أيًا كان الأمر لكن الشاهد أنه حتى من كان يكفر الرئيس محمد مرسي خرج في هذه المظاهرات.

كنا نخرج –نحن (الجهاديون)– نهتف مطالبين بتحكيم الشريعة الإسلامية، والإخوان يهتفون لعودة الشرعية التي يقصدون بها أن تكون وسيلة أيضًا لتحكيم الشريعة الإسلامية، في النهاية كانت المظاهرات إسلامية، صحيح كان كثير من الجهاديين (وأنا أحدهم) لا يشارك في الانتخابات التي تلت أحداث ٢٥ يناير ٢٠١١م بسبب المحظور الشرعي، أما المظاهرات فكان الجميع –تقريبًا– يشاركون، لأن الجميع كان يعلم نتيجة ما سيحدث إذا نجح واستقر الانقلاب كما هو حادث الآن نسأل الله العافية.

سأروي بعض اللقطات التي شهدتها بنفسي في هذه المظاهرات لأنها ستفيدنا كثيرًا في أحداث الجيل الخامس؛ اللقطة الأولى: حين صارت المظاهرات تكبر وتكبر مع مرور الزمن وتحشد الكثير من الناس لدرجة كانت تستطيع فعلًا أن تغير النظام لو سُلّحت لكن الإخوان استمروا في سياستهم الخاطئة التي وقعوا فيها أيام مرسي والذي وقع في خطأٍ فادح وقصّر تقصيرًا كبيرًا لأنه لم يسلح الشعب ليحمي ثورته، ولم ينشئ مليشيات أو حرساً خاصاً بالثورة، كان يستطيع أن يفعل هذا، كان يستطيع أن يقلّب الناس ضد الجيش ويحدث انشقاقات داخل الجيش ولكنه لم يفعل ذلك اعتمادًا على نهج السلمية وخطها الخائب الذي أدى إلى ما أدى إليه الآن نسأل الله العافية، ولهذا هو ملوم وإن كنا لا نكفره كما بينت، الشاهد أن الإخوان استمروا على

هذا النهج بعد إزالة مرسي وأصروا أن تكون المظاهرات سلمية، وكان الجيش والأمن المصري يفرقون المظاهرات بشراسة ووحشية لا نظير لها فيُقتل من يُقتل ويُصاب من يُصاب وتنفض الجموع الهادرة كدقيق منثور في ريح عاصفة، ويُعتقل كبار السن والنساء الذين يعجزون عن الركض السريع، وكان الجهاديون –كما سبق وأشرت- يخرجون معهم من باب المؤازرة ويلتزمون بنظام المظاهرة التي يسيطر عليها الإخوان فلا يخرج سلاح ونحوه، إلا أنه حين يهتف الإخوان "شرعية شرعية" كنا نسكت ثم نهتف بعدها "شريعة إسلامية" وما شابه، وعوام المسلمين يهتفون وراء الجميع، وكان رجاؤنا من هذه المظاهرات أن تمهد الطريق لعمل جهادي قريب يومًا ما. الشاهد أنه في يوم ٦ أكتوبر ٢٠١٣م كان مخططًا أن تكون مظاهرات لم تشهد لها مصر مثيلًا، وكانت الفكرة أن تجتمع المظاهرات من كل أحياء القاهرة على تخوم ميدان التحرير وتقتحمه.

وكنت أقطن في حي المعادي جنوب القاهرة الذي يبعد عن ميدان التحرير أكثر من ٧ كم وقد كان مقررًا أن نسير كل هذه المسافة على أقدامنا إلى هناك، وبالفعل تجمع الآلاف (ربما فاق عددنا ال٨ آلاف وكان متوقعًا أن يزيدوا كثيرًا أثناء المرور على أحياء أخرى في الطريق لننضم في النهاية إلى عشرات الآلاف الآخرين المحتشدين من مناطق القاهرة الأخرى عند ميدان التحرير) وتجهزنا للمسير، فذهبت إلى قائد المظاهرة واقترحت عليه أن ينظم المظاهرة فيجعل الشباب في المقدمة وبعد مسافة يجعل الشيوخ ثم في النهاية يضع النساء، وينظم صفوف الشباب بطريقة تسمح إذا حدث هجوم أمني (كما هو متيقن) أن يحدث مقاومة قوية نستطيع كسر الهجوم بها وندخل ميدان التحرير فإن كانت الأخرى فتُعطّل قوات الأمن لحين انسحاب الشيوخ والنساء، فرد علي ردًا صاعقًا ما زال يحرق قلبي ويمزق نياطه كلما تذكرته إلى هذه اللحظة، قال:

"إن الفكرة جيدة لكنه إذا فعل ذلك سيُحسب على جماعة الإخوان –أمنيًا- أنها أسست تنظيمًا وهذا ينافي خط السلمية"!!

ورغم فجيعتي بالإجابة ويقيني بالنتيجة إلا أنه لم يسعني إلا السير مع المظاهرة التي وصلت فعلًا إلى

حدود ميدان التحرير (بعد ساعات من السير المضني) لتُفرّق —وكل المظاهرات الأخرى القادمة من سائر أحياء القاهرة – في وقت لا يتجاوز ١٥ دقيقة مع سقوط عشرات القتلى والجرحى واعتقال المئات منهم نساء (كما يحدث كل مرة) دون أي نكاية تُذكر في قوات الأمن ونظام السيسي، اللهم إلا صور وبيانات إعلامية وبكائيات ولطميّات على القنوات ومنصات التواصل.

اللقطة الثانية: هي تفصيل موضوع ما حدث لي في نفس المظاهرة حيث كنت في المقدمة وأخذني الحماس مع الشباب فدخلت الشرطة بيننا وفصلت المقدمة عن باقي المظاهرة وقُبض عليّ وقام جنود الأمن المركزي بالتعدي علي بالهراوات والحديد الذي كان في أيديهم وأُصبت في رأسي وكادوا أن يقبضوا علي وأدخل السجن مرةً أخرى ولكن نظرًا لتعلمي من فترة السجن وإصراري الكبير بفضل الله ﷻ أن لا أدخل السجن مرةً أخرى بعد أن قضيت فيه ست عشرة سنة، تفطنت إلى حيلة هداني الله ﷻ إليها فقمت بدفع بعض الأموال إلى الجنود، أخذوا هذه الأموال وتركوني، ورجعت إلى منزلي ودمي يسيل من رأسي وجسدي، ينهشني الألم ويوقظني من حلم أن تتحول مظاهرات الإخوان يومًا إلى أعمال جهادية أو ينتج من طريقة تفكيرهم وتعاملهم مع الحوادث تحكيم للشرع وإعلاء لكلمة الله.

ذكرني هذا بموقف آخر حين قُبض علي سنة ١٩٩٥م وقام أمن الدولة بضربي على رأسي أيضًا وحدث قطع في الرأس وصل إلى الجمجمة وتسبب في نزيف شديد، أسلط الضوء على هاتين الحادثتين لأنهما سيفيدان في فهم أهمية الجيل الخامس بعد ذلك. ظللت بعدها أخرج في المظاهرات، ولكن على حذر فلا أريد أن يتكرر معي الأمر مرةً أخرى أمر الاعتقال الطويل لأن ظرفي ظرف خاص حيث إني خرجت بإفراج صحي فإذا قبض علي سأظل في السجن إلى ما شاء الله ووضعي يفرق عن باقي المتظاهرين إلى أن أتت اللقطة الثالثة.

اللقطة الثالثة: في إحدى المظاهرات كان عدد المظاهرة يقارب المئة ألف بلا مبالغة، وقتها وقفت على جسر كبير عال وحاولت أن أجد ببصري آخر المظاهرة فلم أر لها آخرًا وكان المكان

"أوتوسترادًا" مستقيمًا واسعًا كبيرًا، فأيقنت أن العدد يقارب فعلًا المئة ألف ثم أتت الشرطة ككل مرة وتكرر ما يحدث كل مرة، هذه كانت أكبر مظاهرة أمكن أن تحشد، وهذا كان في جنوب القاهرة، وفي وسط القاهرة يوجد مظاهرة مشابهة وفي محافظة الجيزة مظاهرة مشابهة في الإسكندرية وفي محافظات الصعيد كل هذه مظاهرات، وكان هذا أكثر عدد يمكن أن يحشد وربما لم يُحشد مثله بعدها، لك أن تتخيل مئات الآلاف يخرجون وهم يعلمون أنه قد يقبض عليهم وأنهم قد يقتلون وقد يحدث وقد يحدث، ومع ذلك يصرون على الخروج ثم تأتي سيارات الأمن المركزي فيحدث كما يحدث كل مرة فقاموا بإلقاء القنابل المسيلة للدموع وبإطلاق الرصاص الحي فتفرق الجمع الكبير، فأيقنت يومها عين اليقين أن هذا الطريق لن يوصلنا أبدًا لما نريد، وطالما أنه لن تُسلح المظاهرات وطالما تُصر جماعة الإخوان المسلمين على عدم التسليح، رغم استعداد الشعب للتسلح حيث كنت أشهد المظاهرات بنفسي وأمشي بين عموم الشعب وأرى أنه مستعد ويريد أن يحول المظاهرات إلى ثورة مسلحة، صحيح كان يوجد عجز في إمكانيات التسليح لكن لا ننكر أيضًا أنه كان يوجد تقصير من الإخوان ولو أرادوا أن يسلحوا هذه المظاهرات كانوا قادرين على فعل ذلك ولو بقدرٍ يسير يُشعل أوار معركة التحرير ثم بعد ذلك يتيسر الكثير من مصادر التسليح سواء بما يُستولى عليه من وحدات الجيش والشرطة أو ممن ينشق عنهم، فطالما ظل الوضع على ما هو عليه لن نصل إلى شيء أبدًا إلا مزيدًا من القتلى في صفوفنا والأسرى.

الإخوان بعد محنة ١٩٦٥م التي قتل فيها الشيخ سيد قطب رحمه الله، أخذت قرارًا أن تعيش دائمًا وأبدًا دور الضحية المجني عليها ظنًا منها أن هذا سيصل بها يومًا، أو أن الشعوب ستصطف معها، لكن الحقيقة أن دورها هذا يروق للطغاة كثيرًا فيزيدون في قهرها وتمزيقها وينكلون بها -وقد أمنوا رد فعلها تمامًا- ليجعلوا منها عبراً وعظات وقصصاً تروى أجيالًا تلو أجيال لكل من يفكر يومًا في الخروج أو الثورة عليهم. أما الشعوب فهي تتعاطف مع المظلوم لكنها لا تحترم إلا القوي ولا تصطف إلا معه، القوي الذي إن لم يحمها ينتقم لها ويشفي صدرها.

الفكرة واضحة لا ريب فيها ولا لبس: إن الطواغيت وأذنابهم لن يرضوا عنك أبدًا حتى تتبع ملتهم اتباعًا كاملًا وترضخ لهم باستكانة كاملة، وإن الحل معهم لم يكن يومًا ولن يكون إلا بسبيل الجهاد الذي شرعه لنا الله وسنه لنا رسوله ﷺ وتبعه عليه سلف الأمة الكرام

"قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي"

حاولت في هذه الفترة أن أقوم بإنشاء تنظيم مسلح لكن فشلت، واجهت نفس المشكلة التي واجهها الإخوان عند خروجهم من السجن في سبعينيات القرن الماضي، هناك فارق في الأجيال بيني وبين الشباب فكان هناك صعوبة في التواصل معهم خاصةً أني لا أريد أن أكرر الأخطاء التي حدثت في الأجيال الماضية وطريقة التنظيم العنقودي التي تسبب فشلًا، في هذا الوقت شعر الأمن بأن لي نشاطًا.

الأمن المصري كان يريد أن يغلق ملفات الأجيال السابقة، الجيل الثالث -كما ذكرنا- أخرج المعتقلين والأحكام، كان يريد أن يغلق أيضًا فترة الجهاد العالمي ويتفرغ لمرحلة الإخوان والمظاهرات، ولهذا فور فض اعتصام ميدان رابعة قام بالقبض على الشيخ مصطفى حمزة [أمير الجناح العسكري السابق للجماعة الإسلامية والذي أفرج عنه بعد أحداث ٢٥ يناير] والشيخ محمد الظواهري، لأنه كان يتوقع أن هؤلاء هم من يستطيعون أن يقوموا بعمل عسكري مرةً أخرى وينظموا صفوف الشعب الثائر ويلتف حولهم الجهاديون، ثم بدأ الأمن يضع عينه على العسكريين السابقين لأنه يعلم أن هؤلاء من يستطيعون تطوير عمل عسكري ويبنون على الخبرات السابقة ولا يكررون الأخطاء وهذا أخطر شيء يخاف منه الأمن، أن تتعلم من أخطائك ولا تكررها، أما إذا بدأ الإخوان عملًا عسكريًا أو بدأ ناس من العوام فإنهم في الأغلب سيكررون الأخطاء فيكون من السهل التعامل معهم.

الشاهد بدأ الأمن يشعر بأن لي تحركات معينة فحاول القبض عليّ وكانت أماكني معروفة فلم أكن هاربًا، وهنا قررت مباشرةً السفر إلى السودان فرارًا من أن يقبض علي مرةً أخرى ويأسًا من أن يقوم وضع عسكري جهادي في مصر في ظل قيام الإخوان بتثبيط أي عمل جهادي.

وصلت إلى السودان في الشهر الرابع سنة ٢٠١٤م وأقمت في مدينة كسلا جنوب شرق السودان على الحدود السودانية الأريترية أقمت عند بعض معارفي الكرماء هناك، وكان عندي -في هذا التوقيت- مشروع دعوي أريد أن أقوم به في هذه المدينة، لكن تواصل معي الشيخ أبو سعد المصري وقال لي:

"ماذا تفعل عندك؟ الجهاد الشامي يحتاج إليك، الجهاد يحتاج إليك وأنت تحتاج إلى الجهاد".

هنا يثور سؤال: لماذا لم أنفر إلى الجهاد الشامي منذ بداية هذا الجهاد، خاصةً أنه قد سبقني الكثير من المصريين ومنهم من كان معنا داخل الاعتقال؟

هناك عدة أسباب: بدايةً كنت حديث الخروج من السجن فقد خرجنا من السجن شهر ثمانية سنة ٢٠١١م، والسبب الثاني أن المجاهدين الذين سبقونا إلى الجهاد الشامي كانوا يرسلون رسائل يقولون فيها: "لا نريد مقاتلين يوجد عندنا وفرة" هذه كانت الرسائل التي تصلنا، بالإضافة إلى فتنة الخوارج التي بدأت تظهر في هذا التوقيت والقتال الداخلي، فكان يوجد غموض في وضع الجهاد، كل هذا كان يعرقل النفير إلى الشام، بالإضافة للأمل بقيام سوق الجهاد في مصر بعد الانقلاب العسكري، لكن بعد انقطاع هذا الأمل، وبعد أن طلب مني الشيخ أبو سعد القدوم إلى الشام تعين في حقي الجهاد وقررت أن أذهب أداء لفرض واجب متعين علي.

ذهبت إلى القنصلية التركية في الخرطوم وقدمت أوراقي، وكان في هذا التوقيت تضييق شديد على المصريين في الذهاب إلى تركيا، والسبب موضوع الخوارج والجهاد عمومًا القائم في سوريا حيث كان معروفًا أن كثيرًا ممن يذهب إلى تركيا يريد العبور منها إلى سوريا، ولكن قدر الله ﷻ أن يختارني القنصل من بين عشرات المصريين الذين تجمعوا أمام القنصلية ليمنحني تأشيرة الذهاب إلى تركيا، ولعل سبب هذا -بعد توفيق الله وفضله- أنه كان معي شهادة خبرة من المدرسة الدولية التي كنت أعمل بها بصفتي مدرس الفيزياء للقسم الثانوي لشهادة ال S.A.T وهي شهادة معترف بها دوليًا ومعروفة في تركيا، وهذا يعني -عندهم- أن هذا شخص محترم، وكما ذكرت في الجيل

السابق كانت هذه من نعم الله ﷻ علي أن استطعت أن أتوظف فور خروجي من السجن مدرسًا للفيزياء في هذه المدرسة، والمدارس الدولية -بخلاف المدارس الحكومية- تهتم بالكفاءة بغض النظر عن الشهادة، رغم أن شهاداتي كانت في السياسة والاقتصاد وفي الحقوق وفي الدراسات الإسلامية، ولكن طالما اختبرك ووجدك متكمنًا من مادة الفيزياء وتستطيع أن تدرسها جيدًا بالطريقة التي يريدونها (حيث كان التدريس في هذه المدرسة على "اللوح الذكي أو السمارت بورد") [بالإضافة لكوني كنت طالبًا قبل في كلية هندسة مما يعني أن عندي فكرة أكاديمية قوية عن المادة] فما كان يوجد إشكال عندهم في أن يجعلوك مباشرةً مدرسًا لمادة الفيزياء، بل كنت أيضًا مؤسسًا لقسم الفيزياء في هذه المدرسة بفضل الله.

الشاهد أن هذه الوظيفة وشهادة الخبرة فيها بالإضافة لبطاقة نقابة المحامين التي استخرجتها فور خروجي من السجن مستفيدًا من حصولي على ليسانس كلية حقوق مع طلاقة حديثي باللغة الانكليزية مع القنصل التركي، كل هذا جعله يوافق أن يعطيني تأشيرة للذهاب إلى تركيا.

وصلت تركيا في منتصف الشهر السادس سنة ٢٠١٤م ولم أمكث هناك أكثر من يومين فقط مسافة الطريق من اسطنبول إلى سوريا، وبدأت فيها مرحلة جديدة في حياتي سأسرد في طياتها الجيل الخامس من الطريق إلى الخلافة.

وأكرر ما قلته في الجيل الرابع أنني لن أذكر كل شيء ليس من باب الاختصار فقط كما في الأجيال الثلاثة الأول لكن لأن بعض الأمور مستأمن عليها كأسرار عامة أو شخصية ولا يوجد مسوغ شرعي لذكرها الآن، قد يأذن لي أصحابها بعد ذلك أو يوجد مسوغ لذكرها فأفرد لها مصنفًا مستقلًا أما الآن فأكتفي بإضاءات كاشفة مبينة كما اتفقنا.

فور وصولي إلى أرض الشام المباركة أقمت في ريف إدلب في لواء الدبابات عند الشيخ أبي السعد المصري، في هذا اللواء رأيت بعيني عددًا كبيرًا من الدبابات والمدرعات التي غنمها المجاهدون من النظام النصيري، وكانت فرحة كبيرة جدًا أن أرى هذه الدبابات وأرى عليها علامات الجيش

النصيري، لأنه كانت تثار العديد من الإشاعات مثل: من يمول المجاهدين؟ وأنهم يحصلون على السلاح الثقيل من أمريكا، كنا لا نصدق بالطبع لكن عندما ترى بعينك أن هذه الدبابات وهذه الأسلحة مأخوذة قهرًا من الجيش النصيري وترى عزة المسلمين وتشعر بعزة الإسلام يفرق الأمر كثيرًا.

تحدثت قبل قليل عن إصابتين في رأسي، الإصابة الأولى عند القبض علي في ١٩٩٥م والإصابة الثانية عند القبض علي في مظاهرات سنة ٢٠١٣م ضد السيسي وشعرت بالقهر الشديد في المرتين، وبالطبع ليسا سواء فالأولى قضيت على إثرها ست عشرة سنة في السجن والثانية أكرمني الله ﷻ بدفع أموال إلى الجنود فتركوني، فائدة ذكري لهاتين القصتين تظهر هنا، لأني بعد أن تدربت في لواء الدبابات على قيادة الدبابة وعلى الرمي بالدبابة وكنت دخلت أيضًا معسكرًا لتدريب المشاة أقمت فيه مع الجنود في نفس المهجع أشاركهم نفس التدريبات رغم أن القائمين على المعسكر طلبوا مني بصفتي شرعي المعسكر أن أكون في مكان الإدارة ولكني رفضت هذا وأصررت أن أكون مع الجنود في المغارة لأعيش حالة الجنود وأعيش معاناة الجنود ونفسية وواقع الجنود، وهذه نصيحة أنصحها لكل قائد أن يبدأ من الصفر يبدأ من عند الجنود ليكون عنده تصور صحيح عند التعامل مع الجندي، الشاهد هنا أني بعد هذه التدريبات ذهبت إلى معركة تسمى "زئير الأحرار" هذه المعركة كانت في شهر ١١ سنة ٢٠١٤م تقريبًا، كانت بعد مقتل قادة حركة أحرار الشام الإسلامية [لا شك أن هذا استباق للأحداث لكني أريد أن أشير لأمرٍ معين أوضح به فكرة المناطق المحررة ثم نعود للتفاصيل]، معركة زئير الأحرار لم تنجح حيث أخذنا بعض المناطق من النصيرية بجانب معامل الدفاع [مصانع حربية] في حلب لكن لم ننجح في الاستيلاء على المعامل –وكان هذا هدف المعركة– ثم استرد الجيش النصيري مرة أخرى المناطق التي أخذناها، وكنت مع دبابة طراز T 72 في مهمة تدريب عملية حيث كانت هذه أول معركة لي ضد النصيرية وكان قائد الدبابة يُسمى أبو أيمن فتعطلت الدبابة وقت انسحاب المجاهدين وتقدم الجيش النصيري، وظللت أنا مع قائد الدبابة

نحاول سحب الدبابة المعطلة وشعرت بقلق شديد، الآن الجيش النصيري يتقدم وهو على بعد أقل من ٢ كلم وممكن يقبض علي للمرة الثالثة، وسيكون أمرًا مختلفًا تمامًا عن المرتين السابقتين، لكن يسر الله ﷻ وسحبنا الدبابة وأنا ألحظ هدوء الأعصاب الشديد عند أبي أيمن قائدها، -فسألته "أما كنت تخشى أن يتقدم النصيرية ويأسروننا"

– قال "هذا مستحيل! هناك نقاط رباط أمامية ترابط بمضادات الدروع ونحن في مأمن على كل حال بفضل الله"

هنا شعرت فعلًا بنعمة المنطقة المحررة فلا يوجد حاجة لتنظيم عنقودي، ولا يوجد حاجة لمكان تختبئ فيه من الأمن، تنحاز لمقرك سالمًا آمنًا بعزة وكرامة تعد لمعركة جديدة، وهذا أيضًا من أسباب تصويري هذه الحلقات بالزي العسكري وبجانبي هذه البندقية، هذا الزي إذا لبسته في أي دولة من الدول التي تريد أن تقيم فيها الشريعة مثل مصر الآن ومثل غيرها من البلدان قد يحكم عليك بالسجن مدة تصل إلى خمس عشرة سنة، ولو حزت مثل هذه البندقية وقبض عليك قد تأخذ خمس عشرة سنة أخرى، ولكن بفضل الله ﷻ في المناطق المحررة نستطيع أن نمشي بهذا اللباس ونحصل على الاحترام الواجب من جميع الناس نستطيع أن نمشي بسلاحنا نستطيع أن نحافظ على سلاحنا وهذه من أكبر النعم الموجودة في ظل جيل المناطق المحررة، وحُلت الكثير من الإشكالات التي كانت موجودة في الأجيال الأربعة السابقة.

نرجع بالتاريخ إلى الوراء فور دخولي إلى سوريا قمت بقراءة كتاب "إضاءات على منهج الجماعة المجاهدة" الذي ألفه الشيخ أبو سارية رحمه الله، وأخبروني أن هذا فكر جماعة أحرار الشام الإسلامية، وقد كان هذا فعلًا فكر أحرار الشام في هذا التوقيت بل كان يطبع في المناطق المحررة في الجنوب السوري بعنوان " فكر حركة أحرار الشام الإسلامية"، أعجبني الكتاب وفوجئت به أيضًا، فقد كان عندي تصور سابق قبل أن آتي إلى الجهاد الشامي أن أحرار الشام هم الإخوان في سوريا،


الشيخ أبو سارية

وأن الجيش الحر هو التنظيم العلماني الذي يشبه منظمة ستة إبريل عندنا في مصر، وأن جبهة النصرة هي جماعة القاعدة في الشام، هذا هو التصور الذي كان عندي وعند أغلب الناس خارج سوريا، وكنت أعلم أن تنظيم الدولة هو تنظيم خارجي عرفت هذا قبل أن آتي إلى الجهاد الشامي وكان ضروري أن أحسم هذه المسألة قبل أن آتي لأنها مصيرية، فقدر الله أن تُصدر جماعة الدولة بيانًا للجنة العلمية عندهم بينت فيه أسباب تكفيرهم للجيش الحر، وقرأت هذا البيان في كسلا عندما كلمني الشيخ أبو سعد المصري، كان مبحثًا في ثلاثين صفحة عندما قرأته تيقنت أن هؤلاء خوارج وعرفت أن هذه أصول الخوارج، وقد عاشرنا منهم عينات في السجن وناظرناهم فلم أجد أي فارق بينهم وبين هؤلاء، واستقر قلبي واطمأنت نفسي تمامًا لخارجيتهم، لكن عندما أتيت إلى الشام كنت مثل أي مهاجر، مع التحفظ على كلمة مهاجر لأبي نافر، فقد أتيت لهذا المكان تلبية لفرض عين عليّ لم أكن هاربًا من مكانٍ آخر، وكان وضعي في السودان جيداً جدًا ويُسمح لي بالتدريس بمدارس دولية إذا أردت أن أتقدم بل كنت قد قدمت ورقي لمدرسة دولية في الخرطوم لأنه لا يوجد مدارس دولية في كسلا، أيضًا كان متاحًا لأي مصري أن يقيم في تركيا كنوع من اللجوء السياسي يسمونه "إقامة إنسانية"، الشاهد كنت مثل أي نافر إلى أرض الشام يريد أن يقاتل الكفرة المجمع على كفرهم النصيرية ومن يعاون النصيرية ولا يريد أن يقاتل الخوارج المسلمين وإن كانوا خوارج يستحقون القتال ولكن هناك غنى في أهل البلد في القيام بهذا الواجب، ولنا مع هذا الأمر وقفة قريبة إن شاء الله.

لكن نعود إلى كتاب "إضاءات على منهج الجماعة المجاهدة" لأبي سارية، فوجئت بأن الكتاب يتطابق مع فكر السلفية الجهادية تمامًا ومع فكر القاعدة بل كان يستدل بمشايخ القاعدة الشيخ أبي قتادة الفلسطيني، الشيخ أبي محمد المقدسي، الشيخ أبي يحيى الليبي والدكتور سيد إمام ... إلخ يستدل بأقوالهم داخل الكتاب لكن يذكر أسماء غير مشهورة لهم فيقول "قال عمر محمود قال البرقاوي قال حسن قائد قال عبد القادر عبد العزيز ... إلخ" هذا التحوير الوحيد الذي كان يفعله

في العزو إلى أقوالهم، والمتخصصون وأبناء الفكر يعلمون جيدًا حقيقة الأسماء، لكن الفارق بينه وبين القاعدة أنه كان لا يرى الجهاد العالمي وهذا كان الفارق المحوري الحقيقي، غير هذا كان أغلب أفكار حركة أحرار الشام الإسلامية متطابقة مع أفكار السلفية الجهادية والقاعدة تمامًا سواء في مسألة الديموقراطية والعمل البرلماني أو في مسألة جهاد الطلب أو في مسألة عودة الخلافة الإسلامية مرة أخرى بطريق الجهاد إلى أخر ذلك من الأفكار، فأعجبت بالكتاب ووجدت أن الانضمام لحركة أحرار الشام الإسلامية سيحقق الغرض الذي أريده والذي يريده أغلب المسلمين وأغلب العاملين في الحركات الجهادية، ومع معرفتي بوجود جبهة النصرة لكن كان عندي تحفظ على فكرة الجهاد العالمي، وسنحكي بعد ذلك عن الفروق بين حركة أحرار الشام وبين جبهة النصرة وهي عند التحقيق ليست فروقًا كثيرة ولا كبيرة كما سيتضح إن شاء الله.

لكن نقف هنا وقفة مهمة: كما قلت كانت أحرار الشام في مخيلتي امتدادًا للإخوان المسلمين وكانت الحقيقة بخلاف ذلك تمامًا، أيضًا كان في مخيلتي أن جبهة النصرة هي امتداد لتنظيم القاعدة الذين خالطت منهم داخل السجن أفاضل كثيرين كالشيخ أبي الفرج المصري والشيخ محمد الظواهري والشيخ مرجان وغيرهم، ولكن وجدت أن الأمر بخلاف ذلك كثيرًا، كنت أيضًا أظن أن الجيش الحر هو امتداد لحركة ٦ إبريل الحركة العلمانية في مصر ولكن خرج الأمر بخلاف ذلك تمامًا.

بعد انضمامي إلى أحرار الشام وخوضي أكثر من معسكر معهم تقابلت مع الشيخ أبي الخير الأبيض الشيخ أبي الخير عطّون، وكان يعتبر الرجل الثاني في الأحرار وفي الفترة الأخيرة –قبل مقتل القادة– صار الرجل الأول في حركة أحرار الشام الإسلامية، تحدث معي عن مشكلات تواجهها الأحرار وعن رغبته في إعادة هيكلة الأحرار مرة أخرى، وحكى عن مشكلات تنظيمية ووجود تفكك في التنظيم وعدم انتظام، الحركة قائمة على فكرة ثورية وعلى جمع الناس بطريقة عشوائية وكانت في بدايتها عبارة عن كتائب مستقلة تحت مظلة جامعة تسمى "كتائب أحرار الشام" ثم دمجت الكتائب في تنظيم واحد باسم " حركة أحرار الشام الإسلامية" لكن هذه الكتائب عندما

اجتمعت لم تندمج اندماجًا تامًا كما ينبغي بل ظل لها قدر كبير من الاستقلالية مما أدى لتعدد الرؤوس، فكان –رحمه الله– يريد أن يعيد هيكلة الأحرار مرة أخرى وإنشاء لواء مركزي يكون نواة لإعادة مركزة الحركة وانتظامها، وبدأنا سويًا في ترتيب هذا الأمر على أساس أن أكون شرعي هذا اللواء، لكن في الشهر التاسع سنة ٢٠١٤م حدثت الفاجعة التي فُجعت بها أحرار الشام والجهاد الشامي كله حينما قُتل أغلب قادة الأحرار على رأسهم الشيخ حسان عبود والشيخ أبو الخير الأبيض في مغارة في رام حمدان [بلدة شمال مدينة إدلب] في حادثة إلى الآن يكتنفها الكثير من الغموض، هذا الاجتماع الذي جمع قادة الأحرار كان يهدف أو سيكون من نتائجه –وهذه معلومة

الشيخ حسان عبود

لا يعلمها الكثيرون– شق جماعة الأحرار إلى قسمين، وذلك لأن جماعة الأحرار في حلب المحررة بقيادة الشيخ أبي يزن رحمه الله كانت تريد الانشقاق عن جماعة الأحرار في إدلب لأسباب كثيرة لا



الشيخ أبو يزن الشامي

مجال لذكرها الآن وإن كان من أهم هذه الأسباب وجود صدمة فكرية نتيجة ما قامت به جماعة الدولة جماعة الخوارج، نتيجة للصورة البشعة التي قدمها تنظيم الدولة للحركات الجهادية مما ولد ردة فعل عند أهل الشام جميعًا بما فيها الحركات الجهادية الأخرى غير تنظيم الدولة، هذا الشرخ امتد إلى أن وصل إلى داخل التأسيس الفكري لجماعة الأحرار وضرب تماسكها الفكري في مقتل، وبدأت توجد تيارات فكرية مختلفة؛ تيار يريد أن يستمر في طريقة السلفية الجهادية بدون غلو كغلو جماعة الدولة، وتيار آخر يريد أي طريق آخر غير طريق السلفية الجهادية الذي أنتج –من وجهة نظره– غلو جماعة الدولة، كاد هذا الأمر أن يؤدي إلى انشقاق الأحرار الرسمي لكن حدثت الضربة التي قتلت قادة الأحرار فأجلت هذا الأمر فترة طويلة، في هذا التوقيت كان الشيخ حسان عبود [الأمير الظاهر للأحرار] في أواخر شهر ثمانية ٢٠١٤م

أو في أوائل شهر تسعة قد وقع على اتفاقية في مؤتمر خارج سوريا، هذه الاتفاقية تنقل الأحرار أكثر إلى الأخضر الفاتح القريب من الأبيض وأنا أستخدم هذا التعبير بدلًا من تعبير الأسود والأخضر الذي دُرج على استخدامه في الثورة الشامية، حيث هنا في الشام يحاولون أن يصنفوا العمل الجهادي ومن يريد استمرار الجهاد تحت مظلة الفكر السلفي بأنه أسود ويجمعون تحته تنظيم الدولة (الخوارج) وجبهة النصرة وجند الأقصى وبعض الأحرار... إلخ [ورايات أغلب هؤلاء يغلب عليها اللون الأسود]، أما من يستخدم الجهاد كوسيلة للوصول إلى حل سياسي قريب من السلمية أو الاستسلامية ويتحدث بعض ممثليه في الخارج عن الديمقراطية والحرية وما شابه يسمونه أخضر ويضعون تحته فصائل الجيش الحر بمسمياتها المختلفة [ورايته فيها خط باللون الأخضر بالإضافة لخط بالأبيض وخط بالأسود]، وهذا كلام خطأ ومغالطة، بل نستطيع أن نقول إن من يريد استمرار العمل الجهادي تحت مظلة السلفية الجهادية بل وغير السلفية الجهادية قريب من الأخضر الغامق وأما الثاني الذي يريد حلًا استسلاميًا في نهاية طريق الجهاد فهو أخضر فاتح يكاد يصل إلى الأبيض ويومًا ما سيرفع الراية البيضاء ويترك الجهاد تمامًا [كما حدث بعد ذلك في مناطق الجنوب والوسط فيما سُمي بالمصالحات]، والمقصد من هذا التفصيل الشكلي أمران:

الأول: أن اللون الأسود المميز لجماعة الدولة أو خوارج البغدادي والذي كان يُميز قبلهم جماعة قاعدة الجهاد في مرحلة الجهاد العالمي، ليس من الإنصاف ولا العدل أن نضع كل من يرى الحل الجهادي في بوتقة واحدة تحته، فالمجاهدون ليسوا مثل خوارج البغدادي العصاة الغلاة المبتدعة، ولا هم مثل جماعة قاعدة الجهاد التي ترى الجهاد العالمي وفق منظور وظرف خاص بل المنتسبون لقاعدة الجهاد في الجهاد الشامي كانوا يختلفون -في هذه الجزئية- وفي غيرها كثيرًا عن التنظيم الأم كما سنبين بإذن الله.

الثاني: -وهو أهم- أن الخلاف بين الجماعات المجاهدة في الشام ليس حادًا ولو كان مع الجيش الحر، فوضعهم تحت لونين مختلفين يوحي بحدة الخلاف، وهذا خلاف الواقع كما سنبين أيضًا

بإذن الله، بل الأقرب والأصح أن يكونوا تحت درجات مختلفة للون واحد، وهذا أيضًا يسمح بتبيين درجات الخلاف بين كل فصيل وآخر لأنه ليس كل من يصنف جورًا تحت الأسود أصحاب فكر متطابق ولا كل من يصنف تحت الأخضر أصحاب فكر متطابق.

فالأقرب للعدل والواقع أن نجعل الدرجات خط مستقيم يتدرج من الأخضر الغامق إلى الأخضر الفاتح القريب من الأبيض.

كانت الاتفاقية التي وقع عليها الشيخ حسان عبود تؤطر لفكر قريب من فكر الإخوان المسلمين [كما قلنا تقرب الأحرار كثيرًا من الأخضر الفاتح]، لكنه عندما وقّع عليها لم يكن قد استشار مجلس شورى الأحرار بل الشيخ أبو الخير الأبيض الذي كان معي في هذا الوقت سمع الخبر من الإعلام وفوجئ به كما فوجئت، وكان هو الرجل الأول في الأحرار وقتها، أي كان الشيخ حسان عبود هو الواجهة الخارجية فقط للأحرار، عندما سألت الشيخ أبا الخير عن الاتفاقية نفاها وقال لي "كلام إعلام"، ثم اكتشف بعد ذلك أن الشيخ حسان قد وقع فعلًا واعتذر الشيخ حسان بأنه تعرض لإحراج وضغط، وهذه مسألة تتكرر كثيرًا في الجهاد الشامي، أن من يمثل الفصيل الجهادي في الخارج لا يمثل حقيقةً ما يريده هذا الفصيل، وقد كان قادة الأحرار ينوون الانسحاب منها ولكن عاجلهم قدرهم وقتلوا يوم ٩ سبتمبر سنة ٢٠١٤م قتل في هذا اليوم أكثر من ٤٥ قياديًا للأحرار منهم الشيخ حسان عبود والشيخ أبو الخير الأبيض والشرعي العام الشيخ أبو عبد الملك والشيخ أبو يزن الشامي والشيخ أبو سارية مؤلف كتاب" إضاءات على منهج الجماعة المجاهدة" الذي تحدثنا عنه وغيرهم من الأفاضل كثير أسأل الله عز وجل أن يتقبلهم جميعًا من الشهداء.

وبالفعل قام الشيخ أبو جابر الشيخ والشيخ أبو محمد الصادق – الشيخ أبو جابر الشيخ أصبح أمير الأحرار بعد مقتل القادة مباشرة والشيخ أبو محمد الصادق صار الشرعي العام للأحرار– بالانسحاب من الاتفاقية التي وقع عليها الشيخ حسان عبود.

قبل ذلك كان الشيخ أبو محمد الصادق طلب مني تقييم لهذه الاتفاقية وقدمت له تقريرًا أبين فيه الأخطاء الشرعية التي فيها، والحمد لله انسحب الأحرار منها وتحقق ما كان يريده فعلًا قادة الأحرار الذين قتلوا في مغارة رام حمدان.

قبل أن نتحدث عن أثار هذا التفجير على الحركة لابد أن نقف وقفة مع التفجير نفسه لأنه إلى الآن يكتنفه الكثير من الغموض، وهناك شهادة لله ثم للتاريخ لابد أن أدلي بها في هذا الأمر، فقد كان التعامل مع هذا الحدث الجلل بطريقة التفكير المضلل و التسذيج

فبعد مقتل قادة الأحرار -تقبلهم الله من الشهداء- والذي كان وقتها أكبر مصائب الثورة السورية، شُكّل فريق تحقيق، وبلّغني وقتها أحد القادة أن نتيجة التحقيق تشير إلى أمر غريب وهو أنه كان يوجد مستودع سلاح ومتفجرات في مغارة رام حمدان (التي قتل فيها القادة) وقد نُقل المستودع [حتى هذه النقطة فالمعلومة موثقة حقيقية]، لكن أُهمل نقل برميل واحد من نترات السليلوز [مادة شديدة الاشتعال تستخدم في إطلاق قذائف الهاون] وكان البرميل في غرفة ملاصقة لغرفة اجتماع القادة ونُسي فوقه حاوية صغيرة بها مادة متفجرة وكان فوق الحاوية لمبة إضاءة مكسورة تصدر شرارة حين تشغيل الكهرباء للإضاءة !!

فحين شغلوا الكهرباء انفجرت المادة بشرارة اللمبة فاحترق نترات السليلوز فاختنق القادة المجتمعين في الغرفة المجاورة، هكذا تُسطّح القضية ويُضلل التفكير ويُزيف التاريخ ويُحمّل الإهمال المسؤولية كاملة كما حمّل إخوة يوسف الذئب المسؤولية، وإن كان إخوة يوسف أذكى لأنهم أتوا بقرينة الدم على قميصه أما هؤلاء فلم يأتوا إلا بالاحتمال العقلي دون أي قرينة أو دليل.

في هذا الاجتماع المهم في رام حمدان كان سيتخذ قرارات مصيرية —كما أشرنا- والتي قد يكون منها انشقاق جماعة حلب بقيادة الشيخ أبي يزن —رحمه الله-، أيضًا بعد التفجير بحوالي شهر قام أحد قادة الصف الثاني أو الثالث (وهو ضابط مشاة منشق عن الجيش النصيري) ولأسباب غير منطقية بترك الأحرار والمحرر كله والسفر بلا رجعة للإمارات، ولا أعلم لمَ لمْ يؤخذ أمره بجدية ولم يُحقق فيه، فهل كل ما سبق مصادفة؟!

قيد تفجير رام حمدان باسم الإهمال، فهو المجرم الوحيد الذي لا يقدر على الكلام أو نفي التهمة عن نفسه، وهو مجرم مريح مطيع.

سيعترض كثيرون: لِمَ تنفي التهمة عن الإهمال؟ أليس كل ما سبق ممكن؟ نعم ممكن بطريقة التفكير المضللة التي تنطلي على السذج، فاعتماد الإمكان العقلي مع الجرائم يؤدي لإفلات معظم المجرمين، قد تحدث مصادفة أو اثنتان أما أن تجتمع كل هذه الأمور سويًا فإن حمل ذلك على المصادفة هو الحمق والضلال والزيف بعينه.

فأن يكون اجتماع رام حمدان مصيريًا ليحضره جميع القادة، ثم ينسى نترات السليلوز وفوقه متفجرات، ويوضعوا تحت مصدر شرر، ويهرب قائد للإمارات بعد شهر ...إلخ كل هذا لا يكون صدفة، ناهيكم أن في السياسة لا يقبل التعليل بالصدفة فيما هو أقل من هذا بكثير. حسبنا الله ونعم الوكيل.

أما أثر هذا التفجير على جماعة الأحرار وهيكلها وفكرها، فقد أدى بالفعل لتأخير الانشقاق، لكنه أدى أيضًا إلى مشكلة أكبر وهي زيادة الذين يميلون إلى الأخضر الفاتح داخل مجلس شورى الأحرار وزيادة الانقسام الفكري داخل مجلس الشورى وداخل الأحرار ككل، أخر ظهور هذا الانقسام للعلن تقدم الشيخ أبو جابر ليكون أميرًا لحركة أحرار الشام الإسلامية، وكان الشيخ أبو جابر يميل إلى الأخضر الغامق -كما هو الأصل والأساس الذي أسست عليه الأحرار وهو أيضًا فكر أغلب القادة الذين قتلوا في رام حمدان- وكان معه الشيخ أبو محمد الصادق شرعي الحركة العام الجديد وقادوا حركة أحرار الشام الإسلامية قيادة رائعة فترة سنة كاملة، لكن حدث خلال هذه السنة الكثير من الأحداث بين المكتب الشرعي الذي يمثل تيار الأخضر الغامق والمكتب السياسي الذي يمثل الأخضر الفاتح الذي يكاد يصل إلى الأبيض، وقبل أن نروي تفاصيل هذه الأحداث لابد أن نقف وقفة عند تنظيم الدولة وكيف تحول من تنظيم سني مجاهد إلى تنظيم خارجي؟ لأن هذا التنظيم كان انحرافه سببًا في انحرافات فكرية في

الساحة ككل سواء عند الموافقين له أو عند معارضيه الذين تولدت عندهم ردة فعل عكسية، وكان ظهوره حقيقة سببًا مباشرًا لزيادة نسبة المائلين للأخضر الفاتح القريب من الأبيض في الساحة ككل، كما جرت عليه السنة المطردة في الأمة منذ ظهور الخوارج الأُول أنه بعد كل موجة خارجية تأتي –كرد فعل مباشر لها– موجة إرجائية، هكذا في جدلية نكدة لا مناص منها ولا تخلف عنها في التاريخ الإسلامي المديد، نسأل الله أن يخلص المسلمين من الاثنين.

بداية تنظيم الدولة كانت في سنة ٢٠٠٣م حين قام الشيخ أبو مصعب الزرقاوي بتأسيس جماعة التوحيد والجهاد كجماعة مجاهدة في العراق لجهاد الاحتلال الأمريكي للعراق، ثم في سنة ٢٠٠٤م قام بمبايعة تنظيم قاعدة الجهاد بايع الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله مؤسسًا تنظيم "القاعدة في بلاد الرافدين"، في سنة ٢٠٠٦م كوّن "حلف المطيبين" وهو عبارة عن حلف جمع الكثير من الفصائل السنية المجاهدة داخل العراق لكنه كان مبايعًا لتنظيم القاعدة، وقد سمى نفسه بعد ذلك بعدة سنوات تنظيم "دولة العراق" لكنه كان ما زال مبايعًا لتنظيم القاعدة، قتل أبو عمر البغدادي أمير تنظيم دولة العراق سنة ٢٠١١م، بعده تولى أبو بكر البغدادي إمارة تنظيم "دولة العراق" وبدأت في نفس السنة أحداث الجهاد الشامي، فأرسل أبو بكر البغدادي جزءًا من التنظيم إلى الشام تحت مسمى "جبهة النصرة"، جبهة النصرة كانت جزءًا من تنظيم دولة العراق لكن دولة العراق كانت جزءًا من تنظيم القاعدة وعندما أُرسل تنظيم جبهة النصرة إلى داخل الشام أراد أبو بكر البغدادي أن يفرض سياسة تنظيم دولة العراق التي يقوم بها في العراق على جبهة النصرة نتيجة للقياس الفاسد.


الشيخ أبو مصعب الزرقاوي

لنفهم ماهية هذا القياس الفاسد نعود للوراء سنة ٢٠٠٦م حين أنشأت أمريكا

"الصحوات" من رجال القبائل السنية الموالين لها في العراق بغرض أن تقاتل الصحوات تنظيم دولة العراق، هذه المجموعات كانت حليفة للقوات الأمريكية وتقاتل مع القوات الأمريكية ضد المجاهدين فلا شك في ردة هؤلاء الذين يقاتلون المسلمين مع الكفار.
بعد أن أرسل أبو بكر البغدادي جبهة النصرة إلى سوريا على رأسها الشيخ أبو محمد الجولاني طلب منه أن يتعامل مع الجيش الحر في سوريا مثل ما يتعامل تنظيم دولة العراق مع صحوات العراق، لكن الواقع أن الجيش الحر في سوريا مختلف تمامًا عن صحوات العراق، وبدأ تنظيم الدولة يبحث عن الحجج مهما كانت ضعيفة ليكفر بها الجيش الحر في سوريا ويلحقه بالصحوات.

ممثلوا الجيش الحر خارج سوريا فعلًا يريدون العلمانية أو ينادون بها -هذا الظاهر منهم- أما الجيش الحر داخل سوريا فأغلبه يريد تحكيم الشريعة حقيقةً، وهذا عن معرفة قريبة لي بهم، كما سنفصل أكثر بإذن الله، الشاهد أن هذا الأمر -تكفير الجيش الحر والتعامل معه بالمفخخات وما شابه كصحوات العراق- كان مثار خلاف كبير بين جبهة النصرة والجماعة الأم في العراق إلى أن أتى أبو بكر البغدادي إلى سوريا وجلس مع الشيخ أبي محمد الجولاني

أبو بكر البغدادي

- حكي لي الشيخ أبو محمد الجولاني هذا الأمر- وطلب منه ليس فقط أن يتعامل مع الجيش الحر على أنه صحوات بل أيضًا أن يأخذ احتياطات أمنية مشابها للاحتياطات الأمنية التي يأخذها تنظيم دولة العراق في العراق، والأمر في سوريا مختلف جدًا عنه بالعراق، ففي العراق الحرب مع أمريكا بتطورها التقني وسياستها الحربية وما إلى ذلك من الأمور، أما في الشام فالحرب ضد النظام السوري في الأساس مع مساندة غير مباشرة -في هذا التوقيت- من روسيا لم تكن تتطلب مثل هذه الاحتياطات الأمنية، فرفض الشيخ الجولاني تنفيذ هذه الأوامر فتطور الخلاف بينهما وأدى في النهاية أن يعلن أبو بكر البغدادي حل جبهة النصرة وضمها إلى

دولة العراق وتسمية تنظيمه "دولة الإسلام في العراق والشام" هنا قام الشيخ الجولاني بحركة ذكية قام بتصعيد البيعة -كما ذكر- فنشر بيانًا صوتيًا قال فيه إنه يبايع الشيخ أيمن الظواهري مباشرة، على أساس الشيخ أيمن هو قائد هذا التنظيم كله كما سبق وقلنا، وحيث إن دولة العراق لم تعلن في هذا التوقيت أنها تركت بيعة القاعدة أو حلت نفسها منها، فاستأذن الشيخ الجولاني من الشيخ أيمن وأعلن البيعة المباشرة للدكتور أيمن الظواهري، هنا رفضت "دولة الإسلام في العراق والشام" هذه البيعة وزعمت أنها منذ فترة طويلة تركت بيعتها لتنظيم القاعدة، وهذه الدعوى ليست صحيحة، وإن كان هذا الأمر حدث ضمنًا بطريق غير معلن أي أن قادة الدولة تواطئوا على هذا فيما بينهم ولم يعلنوه.

الشيخ أبو محمد الجولاني

بعد ذلك كفّر تنظيم الدولة الدكتور أيمن وجبهة النصرة مع تكفير باقي الفصائل في الشام، هذا التكفير في الحقيقة تكفير سياسي، أنا أعلم جيدًا أنهم كانوا غير مقتنعين بكفر من كفروهم، فإن من يجلس في الشام يعرف جيدًا أن الجيش الحر لم يقع في مكفر ولا جبهة النصرة ولا أحرار الشام ... إلخ، لكنهم من أجل الحفاظ على تماسك تنظيمهم ومن أجل تبرير قتال باقي الفصائل قاموا بتكفير هذه الفصائل فوقعوا في العلة الجامعة للخوارج وهي تكفير المسلمين بغير مكفر واستحلال دمائهم وأموالهم على هذا الأساس، وقد ألفت في أمرهم بحثًا أواخر سنة ٢٠١٤م نشرته باسم "العلة الجامعة للخوارج" بينت فيه تحقق وصف الخارجية فيهم وتنزيل أحكام الخوارج عليهم، خاصة أنهم قد بدأوا يطبقون مقتضيات تكفير الفصائل فقاتلوهم وسفكوا دماءهم بوحشية واستحلوا أموالهم، بالرغم من كل هذا كان هناك تورع عند أهل الشام عن قتالهم، كانوا يقولون "لا نقاتلهم !، فإن كثيرًا منهم مهاجرون نافرون من دولهم، وكثيرًا منهم ينادون بتحكيم الشريعة، هذا هو الظاهر عليهم، فلماذا نقوم بقتالهم، حتى لو قاتلونا وقتلوا منا"

وهذا الأمر أجبرني على الاشتراك في قتال هؤلاء القوم لأشجع أهل البلد على هذا القتال، فقد كان هذا التنظيم الخارجي يبث الكثير من الشبهات عند الناس وكان له إعلام قوي، فكان أهل البلد لا يريدون المشاركة بسبب هذه الشبهات في قتالهم بل وصل الأمر أن جلس معي مرة الشيخ أبو الخير الأبيض -وكما قلنا كان في هذا التوقيت الرجل الأول في الأحرار- فقال لي لم أستطع أن أجمع أكثر من مئتين أو ثلاثمائة مقاتل لصد تقدم هذا التنظيم علينا، كان هذا التنظيم في هذا التوقيت قد ترك قتال النظام النصيري [تنظيم الدولة عند التحقيق كان يقاتل النظام النصيري ويقاتل الفصائل المجاهدة أيضًا في نفس الوقت، لكن قتاله للنظام النصيري كان أقل وتركيزه الأكثر على تحرير المحرر كما تفاخر الهالك العدناني متحدثه الرسمي] الشاهد أنه في هذا التوقيت كان التنظيم قد ترك قتال النصيرية والروافض وتوجه بكل قوته لتحرير المحرر وكانوا يتقدمون في اتجاه قرية أخترين غرب حلب ليتمددوا منها ويسيطروا على إدلب وباقي المناطق المحررة، وكنت على يقين أنهم إن سيطروا على المناطق المحررة لن يقيموا دولة -ولو دولة خوارج تحكم ببعض شرع الله، لن يمكّن لهم في الأرض ولن تعاد الخلافة عبر دولة الخوارج، كما كنت في مصر على يقين من أن طريق الإخوان لن يوصل إلى إقامة الدولة المسلمة المنشودة، الطريق الخطأ لا يوصل إلى إقامة الحق بل لا يوصل إلا إلى ضلال، وإن ظهر بوادر أمل في بدايته فإن هذا الأمل كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء فإذا أتاه لم يجد إلا ضياع البوصلة وذهاب الريح وتسلط الأعداء، فكنت أعلم يقينًا أن سيطرة هذا التنظيم على الشام ضياع للدين والدنيا، فلن يصلحوا دنيا ولن يهدوا إلى سبيل رشاد ينجي في الآخرة.

كانت الدول تتركهم يفعلون ما يريدون لأنه في النهاية عندما يسيطرون على المناطق يسهل استهداف كل هذه المناطق بالقصف الشديد المبرر في الرأي العام الدولي وتوأد الثورة الإسلامية تمامًا، وهو ما رأيناه عيانًا بعد ذلك فيما سيطروا عليه من مناطق في العراق والشام.

نعود لمعركة أخترين ضد الخوارج، خرج قلة قليلة من أهل الشام لهذا القتال ومنعت الشبهة وتلبيس الحق بالباطل الباقين، فاضطررت للمشاركة لأحمسهم على القتال، وبالفعل جُمع حوالي أربع مئة

مقاتل فقط وذلك في حدود الشهر التاسع ٢٠١٤م قبل مقتل القادة في رام حمدان، وذهبنا لأخترين لنصد عادية الخوارج ونوقف تقدمهم، وكان عدد الخوارج أمامنا يفوق الألف بلا ريب فلم يكن عندهم شبهة في قتال من يعتبرونهم مرتدين، لكن في مكان تجمعنا أتى طيران النظام النصيري وقام بقصفنا بستة عشر صاروخًا وكان أحد الصواريخ قريبًا مني للغاية ربما ثلاثة أمتار أو أقل ونجاني الله ﷻ، ونجى الله أغلب المجتمعين إلا خمس إصابات خفيفة رغم تكدسنا في مكان واحد، وكانت هذه أول مرة أشاهد فيها بعيني كرامة من كرامات الجهاد الشامي، ستة عشر صاروخًا مركزة في مكان أصغر من ملعب كرة قدم يتجمع فيه أكثر مئتي مقاتل (لم يكن قد اجتمع الجميع بعد) ولا يصاب إلا خمسة بإصابات طفيفة، وبفضل الله تتكرر مثل هذه الكرامات بشكل مطرد في الجهاد الشامي، رأيت الكثير منها بعيني وكل من شارك في هذا الجهاد رأى من هذا النوع من الكرامات ومن غيره الكثير.

نتج عن هذا القصف انسحابنا من هذه المنطقة بسبب انكشاف التجمع ومساندة النصيرية للخوارج (ولو كان بدون تنسيق)، وكنا نتوقع أن تكون النتيجة أن يجتاح الخوارج جميع المناطق ووصل الأمر إلى أن بدأت حركة الأحرار في التفكير في فكرة "الملاذ الآمن" وملخصها أنه إذا استمر الخوارج في تقدمهم سنجلس في مكان آمن يكون في الجبال وأخذوا خطوات بالفعل في ترتيب هذا المكان، لكن قدر الله ﷻ أن يُسلط على الخوارج غباؤهم فقاموا بذبح صحفيين أجانب وتصوير الذبح ونشره، وقاموا بقتل الإيزيديين وهم طائفة مرتدة خارجين عن الإسلام بأعيانهم لهم ديانة خاصة بهم تنتسب للمسلمين زورًا، لكن العالم يعتبرهم أقليات، فقام الخوارج بتعمد قتلهم علنًا وسبي نسائهم مما ذعر عليهم العالم الغربي الذي يتحسس للغاية مما يسميه "اضطهاد الأقليات"، ثم استهدفوا أيضًا حزب البي.كي.كي. الكردي ولا شك أن هذا الحزب علماني شيوعي ملحد لكن العالم يتعامل معه أنه ممثل عن أقلية لها تحالفات ومصالح مشتركة مع أمريكا والغرب، وقد كان هذا الحزب تركهم يتقدمون ضد النظام النصيري وضد النظام في العراق ولم يتدخل ضدهم بحال رغم

علمه أنهم يعتبرونه هدفًا، وقد كان الخوارج فعلًا على بعد خطوات قليلة من الاستيلاء على بغداد عاصمة العراق، لكنهم بدلًا من المسير إلى بغداد بدأوا بقتال حزب البي. كي. فذعّر عليهم العالم أكثر وأكثر، وأصبحت الدول لا تستطيع الصمت ولا تمرير أفعالهم أمام شعوبها فأدى هذا إلى إجبار العالم الغربي على دخول المعركة ضدهم، دخلوا مجبرين لأنهم كانوا يريدون أن يتركوهم إلى أن يستولوا على كل المناطق المحررة ثم يأخذوها منهم بعد ذلك، كما حدث فعلًا بعدها وأخذوا منهم كل مناطقهم وقُتل خليفتهم المزعوم أبو بكر البغدادي في النهاية، نسأل الله عز وجل أن يعاملهم بما يستحقون فقد كانوا فعلًا أكثر معول هدم في الجهاد الشامي، لم يستطع الروس ولا النصيرية أن يهدموا في الجهاد الشامي كما فعل خوارج البغدادي.

لكن قبل أن ننهي الحديث عن تنظيم الدولة أو تنظيم خوارج البغدادي لابد أن نجيب عن سؤال مهم يثار كثيرًا: هل هذا التنظيم تابع للمخابرات؟ وهل تحركه المخابرات العالمية فعلًا؟

عند التحقيق وبمتابعة وتحليل ومقارنة أحداث كثيرة وشهود كثر سواء من كان معه وتاب أو انشق أو من خالطهم عن قرب جندًا وقادة، لا نستطيع أن نجزم بهذا، بل نقول إنه تنظيم ضل السبيل وسُلط عليه سفهه، واستغل العالم هذا السفه، فمثل عميلًا غبيًا ينفذ ما يريده العالم وينفذ ما يريده أعداء الجهاد دون أن يدري أنه عميل، ينفذ هذا بإخلاص ظنًا منه أنه يحسن صنعًا وصدق فيهم قوله سبحانه "قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا"

فتجدهم يأخذون المناطق من المجاهدين ويأتي بعد ذلك النظام الدولي فيجد مسوغًا لدخول هذه المناطق، وهذا تكرر كثيرًا بصورة مضطردة، على سبيل المثال لا الحصر مخيم اليرموك في الجنوب حيث كانوا يقاتلون المجاهدين في الوقت الذي يحاصرهم ويقاتلهم فيه النصيرية ومن ثم يُضعفون المجاهدين ثم بعد أن يُقضى على المجاهدين –بعد أن صبروا أمام النصيرية والخوارج أشهرًا طويلة لعلها سنتين وهزموهم في أكثر من معركة– ويستولي النصيرية على مناطقهم، يقضي النصيرية بعدها على

الخوارج، أي يتركهم النظام النصيري حتى يؤدوا المهمة التي يريدها –وليس التي كلفهم بها– ثم يقضي عليهم، نفس الشيء نجده يتكرر في مثال ثان (والأمثلة كثيرة جدًا) في قتال شرق السكة في أواخر سنة ٢٠١٧م وأوائل ٢٠١٨ م كان الخوارج يدخلون مناطق المجاهدين بعد أن يمهد لهم النظام النصيري في وقائع كثيرة في هذه المعركة ثم في النهاية بعد استيلائهم على المنطقة قضى عليهم، وقد قابلت أبا حمزة المصري –بعد أن أسرناه– والي محافظة حماة لخوارج البغدادي والذي كان قائد قطعان الخوارج الذين خرجوا من منطقة عقيربات باتجاه مناطق المجاهدين في منطقة شرق السكة ليكونوا عونًا للنصيرية عليهم، وسألته هل كنتم تنسقون مع النظام النصيري ومع الروس؟ فقال لي، والرجل قد حسنت توبته فعلًا بشهادة الكثيرين وأفادنا كثيرًا في القبض على الكثير من الخوارج وجلست معه مناظرة طويلة وجدت فعلًا أنه قد ترك هذا الفكر ثم قتل بعد ذلك في القصف الروسي، نسأل الله ﷻ أن يتقبل توبته.



أبو حمزة المصري

الشاهد أن هذا الرجل قال لي صراحةً: "لم نكن أبدًا ننسق معهم، كنا نعلم جيدًا أنهم يمهدون لنا وأنهم يضربونكم ونحن نتقدم بناءً على هذا الضرب، ولكن كنا نقول هذا فقط توافق مصالح" هذا هو التحقيق في الأمر، وإن كان لا يمنع أنه يوجد الكثير من أفراد المخابرات قد اخترقوا فعلًا هذا التنظيم ويساعدون المخابرات الدولية في توجيه دفة هذا التنظيم. وكنت قد كتبت مقالًا عن لقاءاتي ومناظراتي مع أبي حمزة المصري بعنوان الأمير التائب أنقله هنا بحروفه لتفيد في رسم تصور أكثر دقة عن هذا التنظيم الضال.

الأمير التائب

زرته في سجنه يوم العيد وقد انعقد عزمي أن أفضح كذب توبته وأبين للمحققين كيف خدعهم، رأيته فتذكرت شرق السكة وكيف كان سببًا في هزيمتنا من النصيرية بعد أن فتح الله لنا "أبو دالي" و"مشيرفة" وعلى أعتاب فتح كبير آخر، فأتت طعنته من الخلف قاتلة، فار الدم في رأسي وتمنيت أن أراه ممزقًا إربًا، وددت أن أثبت أنه عميل للمخابرات المصرية، "مؤكد عميل، ما فعله لا يصدر إلا عن عميل" هكذا حدثتني نفسي،

سألته بغلظة عن أصله ونشأته في مصر فأخبرني بكل شيء،

تُحقق من المعلومات وثبت صدقها وأنه معروف بالتدين والالتزام وإن لم يكن طالب علم، أخبرنا بقصة نفيره إلى الشام وأنه لم يعزم على الالتحاق بالخوارج بل كان الكل عنده سواء، لكن في مكان التجمع في تركيا أُقنع بالذهاب إلى دولة البغدادي، هناك أُشرب تكفير المجاهدين في الدورات وعبر الإعلام المضلل والترويج المسموم عن عدم تحكيم الشريعة وموالاة الكافرين، ترقى في المناصب ليصبح أميرًا للبغدادي على محافظة حماة، عانوا حصارًا خانقًا في منطقة "عقيربات" بحماة، فقرروا فكّه بالهجوم على مناطق المجاهدين (المرتدين في رأيهم)

– يقول "لم أتحمس للفكرة، ليس لعدم قناعتي بردتكم ولكن لأن نساءنا لجأوا عندكم، فأوحت لي فطرتي أن هذا ليس من المروءة، لكن الرأي الغالب كان عكسي فنفذته بحماس"

– يقول "سهّل لنا النصيرية عبور مناطقهم إليكم، اشتبكوا معنا اشتباكًا خفيفًا، وبعد أن وصلنا عندكم كانوا يمهدون لنا ونحن نتقدم عليكم لكن دون اتفاق، اعتبرنا هذا مجرد التقاء مصالح!"

فار الدم في رأسي أكثر وأنا أتذكر قتلانا –نحسبهم شهداء– الذين قتلوا بسبب هذا الغادر الخارجي وأصحابه، ووددت لو مُكنت من انتزاع عنقه، لكن التحقيق لم يكن قد اكتمل.

– ثم استطرد "عندما قبض عليّ عندكم إثر إصابتي في معركة وهروبي للعلاج، لم أكن أشك لحظة في ردتكم، لكن فوجئت بالمدعي يسألني عن أسباب الردة فأخذت أقيم عليه الحجة وأنا على يقين

تام من الحق الأبلج الذي معي، ففوجئت بما صعقني!!"

لم تكن المفاجأة أدلة شرعية عرضها المدعي بل كانت أضابير القضايا التي بها الأحكام الشرعية التي يحكم بها القضاء ليرى عين اليقين تحكيم الشريعة، وهنا كانت نقطة تحوله وصدمته الكبرى باكتشافه كيف خدعوه وكذبوا عليه.

ثم سألني –أبو حمزة– أسئلة خاصة بدولتهم وإعلان الخلافة ... إلخ، لاحظت أن الأسئلة حقيقية ومناقشته صادقة وليست تقية، لكن غضبي مما فعل ودماء الرفاق وسقوط المناطق وشماتة الضباع لم يكن ليبرده هكذا حوار.

خرجت من عنده وقد تغيرت نظرتي قليلًا لكن غضبي لم يفتر، جلست مع المدعي –وكان ممن حضر معارك شرق السكة وذاق منهم العلقم– سألته عنه فوجئت به يؤكد أنه تاب فعلًا ويستدل بمساعدات كثيرة قدمها –دون أن يطلب منه أحد أو يضغط عليه– ساهمت في القبض على خلايا كثيرة للخوارج في المحرر.

لم يقبل قلبي أن يقتنع فقد آذانا إيذاءً فادحًا ذكراه ترفع دخان الغضب إلى الرأس فيغطي على أي تفكير منطقي، بعد أشهر من اللقاء الأول أخبرني الإعلاميون أن أبا حمزة حكم عليه بالقتل وأن التنفيذ بعد يوم أو يومين مؤكدين أنه بعد علمه بالحكم مُصر على توبته وإن ظل يلح ألا يكون قتله على يد المجاهدين، ويَعرض تنفيذ عملية استشهادية على النصيرية أو الخوارج ويقدم كل ما يمكن من ضمانات في سبيل ذلك، ولم يكن تنفيذ هذا الطلب سهلًا لأن هناك تنافساً شديداً على هذه العمليات ودوره قد يكون الستمائة أو السبعمائة ولا يمكن تقديم دوره على المجاهدين بعلة استحقاقه القتل.

طلب الإعلاميون تصوير حوار معه، وجدتها فرصة لأتأكد من توبته، ذهبت إليه مسرعًا قبل أن ينفذ القتل وكان يوم جمعة، جلس أمامي طليق اليدين، تأكدت أن مسدسي ملقم في جرابه وقلت لحرس السجن "انتبهوا"،

صدرت عنهم عبارات تعجب تصب كلها في أن أبا حمزة يستحيل أن يصدر منه شيء، تعجبت من شدة اطمئنانهم له.

قبل أن أبدأ التصوير أكدت عليه عدم جواز التقية في إضلال الناس وأن ما يقوله سينشر وسيراه الشباب ويقتنعون به لأنه قيادي كبير فلا يحل أن يقول غير ما يراه حقًا ولا إكراه في إضلال.

رد بأنه لن يقول إلا ما يراه حقًا، بدأ التصوير وكان أبو حمزة أكثر من رائع وبين أتم بيان ضلال خوارج البغدادي وفسادهم، صافحته بحرارة بعد انتهاء الحوار، لم يعد عندي ذرة شك أنه صادق وكانت أول مرة أتعاطف معه.

خرجت من السجن مع رفيق لي حضر التصوير بدأت أتحدث عن أبي حمزة وصدقه وجرّنا الحديث إلى ما فعله بنا في شرق السكة والطعنة الغادرة فزال التعاطف وإن بقي تصديقي لتوبته.

أُجّل تنفيذ حكم القتل مرارا لأسباب مجهولة .

وقد كان يقول:"كثيرًا ما أدعو الله أن يكون قتلي على يد الكفرة وليس على أيديكم".

كان له أيضًا –في فترة حبسه– دور كبير في توبة الكثير من الخوارج الذين كانوا يشاطرونه سجنه مما عزز الاقتناع بتوبته، وبعد أشهر قصف الروس السجن الغربي في إدلب ليصيب صاروخ زنزانة أبي حمزة فيقتله فورًا، وقد استجاب الله دعاءه.

أسأل الله أن يتقبل توبته.

نعود مرة أخرى إلى قصتي مع الأحرار، بعد مقتل قادة الأحرار ذهبت إلى الشيخ أبي محمد الصادق وعرضت عليه الكتب الشرعية التي ألفتها وقلت له:

"أريد أن أعمل في العمل الشرعي، أنا أعمل الآن شرعي ومقاتل في لواء المدرعات وعندي وقت أريد أن أخصصه أكثر في العمل الشرعي".

فوجئت به بعد أسبوع من عرض هذه الكتب يطلب مني أن أذهب إلى قطاع الساحل [الأجزاء المحررة من محافظة اللاذقية الساحلية] لأعمل مسؤولًا شرعيًا للمكتب الشرعي لحركة أحرار الشام الإسلامية

هناك، ذهبت إلى هناك في شهر ١٢ سنة ٢٠١٤م، وقضيت في الساحل أيامًا من أجمل أيام حياتي في الجهاد وفي الدعوة وفي تعليم العلم النافع بفضل الله عز وجل.

قابلت في الساحل –على مدار الأشهر التسعة التي قضيتها هناك– الكثير من النماذج التي استطعت من خلالها أن أفهم وأتصور جيدًا واقع الجهاد الشامي والذي لا يفهمه الكثيرون أو لا يتصوره حق التصور حين يستقي معلوماته من الإعلام أو وسائل التواصل أو الحكايات المرسلة.

قابلت جماعات من الجيش الحر وبعض هذه الجماعات قائمة إلى الآن يطلبون مني أن أدرس في دوراتهم الشرعية، قلت لهم أنا سأقول:

"إن الديموقراطية كفر وسأشرح هذا لجنودكم"،

- قالوا: "ونحن نقول إن الديمقراطية كفر"،

تعجبت للغاية، أليس هؤلاء من يُقال عنهم "إنهم يشبهون علمانيي ستة إبريل وما أشبهها من الحركات الموجودة في مصر"،

- كررت السؤال "فعلًا تريدون أن أدرس أن الديمقراطية كفر"

- قالوا "نعم نحن نعتقد أن الديمقراطية كفر ونحن نريد أن نحكم شرع الله سبحانه وتعالى "

- "يا أخي طيب ماذا يقول ممثلوكم في الخارج؟ المجلس العسكري الائتلاف... إلخ"

- "هؤلاء يتحدثون ليأتوا بالدعم، أما نحن في الداخل فهذه هي العقيدة المستقرة في قلوبنا، ونحن لا نقاتل إلا لهذا السبب"!!

في واقعة أخرى وجدت قائد كتيبة من الجيش الحر في قرية البرناص (إحدى قرى اللاذقية) حيث كنت أقيم، يعلق الراية السوداء التي أشتُهر بها الخوارج والتي تُسمى راية العقاب، فقلت له ميز هذا العلم عن راية الخوارج، أي ضع اسم فصيلك أو ما شابه لئلا تختلط بهم، - فقال: "هل تريد مني أن أكتب على هذا العلم أني جيش حر"!!، قال هذه العبارة بازدراء

شديد لكلمة جيش حر، أي أنه يزدري أن يكون منتسبًا إلى الجيش الحر رغم أن هذا واقعه فعلًا، لكنه واقعه الذي اضطره إليه الدعم.

أذكر أيضًا أن أحد العناصر المنتمي للأحرار في الساحل والذي كان يميل لفكر الخوارج ويتعاطف معهم طلب مني ألا أتحدث بسوء عن تنظيم الدولة –الخوارج– في الدورات الشرعية، وأن هذا سبب رغبته عن حضور الدورة الشرعية الإلزامية التي فرضتها على كل عناصر الأحرار هناك!!

– فقلت له " أنا شرعي الأحرار في هذا المكان وأنت عليك السمع والطاعة فإن كنت لا تريد أن تسمع مثل هذا الكلام تفضل اترك الأحرار"

فترك الأحرار وانضم فورًا إلى الجيش الحر!.

عندما أتاني الخبر صعقت.

"انضم للجيش الحر !! الجيش الحر الذي نقول على الخوارج إنهم خوارج لأنهم يكفرون الجيش الحر ومن يتعاونون مع الجيش الحر!!"

لكنه انضم لهم فعلا وقُتل تحت رايتهم في المعارك، طبعًا أمر غريب.

هذا الوضع المعقد للغاية أريد أن أشرحه للناس ليفهموا أن من يضع تصورًا عن الشام وهو خارج الشام إذا آتى الشام سيجد الأمر مختلفًا كثيرًا.

بل ما يُسمى بجيش الإسلام الذي كان في الغوطة، روى لي الثقات [كما اتفقنا هذه الأحداث أحكي ما شاهدته بنفسي أو ما رواه الثقات] وعندما أقول الثقات فأنا أعني الثقات حقيقة وليس تساهلًا، رووا لي أن زهران علوش قائد جيش الاسلام كان يرى تكفير حكام السعودية، وهذا أمر مختلف تمامًا عن الفكر المدخلي الذي صار إليه ما يسمى بجيش الإسلام الآن والذي كان يظهر أنه منتسب إليه وقتها، الآن حدث تغيرات فكرية كثيرة بعد ٢٠١٧م الفصائل تطورت بعد ذلك وتطورت أفكارها وما أسرده من أفكار وحوادث مرتبط بالمكان والزمان الذي أحكي فيه وقد قلت إني لن أحكي ما حدث بعد ٢٠١٧م، ولابد أيضًا أن أشير أن من أسباب التطور السلبي لبعض

الفصائل كان سوء الظن بهم، وعدم مساندتهم بناء على سوء الظن هذا، وعدم الأخذ بأيديهم. لكن الشاهد هنا أنه في وقتٍ من الأوقات كان قائد جيش الإسلام يرى تكفير حكام السعودية بالإضافة لحكام الدول العربية، وهذا بعيد جدًا عن الفكر المدخلي الذي تطبع به حقيقة جيش الإسلام في الوقت الحالي، ولكن من قبل لم يكن الأمر كذلك فعلًا. كان الأمر مختلفًا تمامًا عما ينشر في الإعلام وعما يصل إلى البلدان الأخرى من صورة واقع الجهاد الشامي.

ولكي ندرك سبب هذا الاضطراب الفكري والتداخل ونتصوره تصورًا صحيحًا لابد أن نعود للوراء عقودًا ونرى حافظ الأسد -وبعده ابنه بشار- كيف جهّلوا الشعب السوري تجهيلًا تامًا، ومنعوا عنه مصادر العلم الشرعي الصحيح فترة طويلة جدًا، بل فوجئت أن كتب سيد قطب وكتب ابن تيمية كانت تمنع تمامًا إلى قيام الثورة في ٢٠١١م ومن يوجد معه شيء من هذه الكتب كان يحاسب حسابًا عسيرًا ويوضع في المعتقل، بل كانت تُصادر من الحُجاج السوريين عند عودتهم إلى سوريا الكتيبات الصغيرة التي كانت توزعها إدارة الحج في الجزيرة مثل كتيبات العقيدة المشهورة لمحمد جميل زينو وما شابه، فحين مُنعت هذه الكتب انعزل الشعب السوري عن الصراعات الفكرية والتخمرات الفكرية التي حدثت في البلدان الأخرى ، بعد الثورة وصلت هذه الأفكار بزخمها وكليّتها دفعة واحدة إلى الشام فكان تشرب الناس لها ليس تشربًا صلبًا مؤسسًا، كان يوجد تنقلات كثيرة في الأفكار فجأة تجد الرجل مع الجيش الحر ثم تجده يذهب إلى الخوارج وأحيانًا يكون مع الخوارج ثم يذهب إلى الجيش الحر، ويتنقل في الوسط بين تنظيمات كثيرة، الفكر لم يكن قد اختمر بعد، مع طيبة أهل الشام الشديدة أسأل الله عَجَّلَ أن يتقبل منهم وأن يجزيهم خيرًا، ومع سعة صدرهم وحلمهم مع المجاهدين خصوصًا ومع المهاجرين النافرين إلى أرض الشام بالأخص هذه الطيبة جعلتهم يقدمون النافرين في كثير من المناصب بغض

حافظ الأسد و بشار الأسد

النظر عن انتمائهم الفكري فكان يحدث نوع من الخلط والتشوش الفكري، ثم بعد ذلك انقلب الأمر وحدثت ردة فعل عكسية نتيجة لما فعله تنظيم الدولة أسأل الله ﷻ أن يعاملهم بما يستحقون.

ولفهم صورة ما يحدث في الشام أكثر لابد أن نشير أيضًا أن أهل الشام يتميزون بالحلم والقدرة الكبيرة على التحمل والتي قد لا تكون موجودة عند غيرهم، وأضرب على هذا الأمر مثالين فقط من مئات بل آلاف الأمثلة التي عايشتها وعايشها أهل الشام الأبطال:

- الأول: كان في سنة ٢٠١٦م قبل بداية رمضان بيوم، حيث دعيت لزيارة مدينة حلب لإلقاء دروس فكرية، كان مطلوبًا مني شرح كتاب إضاءات للشيخ أبي سارية في دروس مكثفة ليوم واحد، وكانت النصيرية والروس في هذا التوقيت يسعون لحصار حلب من أجل إسقاطها والقصف عليها كان شديدًا للغاية وانتشر وسم عالمي بعنوان #حلب_تحترق، وكنا -في إدلب- نسمع عن شدة القصف لكن لا نتخيل حقيقته التي تفوق كل خيال، دخلت حلب في رفقة بعض الإخوة عن طريق يسمى " طريق الكاستلو" في الطريق تعرضنا للاستهداف والقصف ورأيت سيارات مدمرة ومحترقة على جانبيه ورأيت سيارة مازالت النيران فيها مشتعلة ولا يقدر أحد على إسعافها، فسألت مرافقيّ:

- "ماذا يحدث؟"

قالا: " هذا أصبح أمرًا طبيعيًا الآن"!!،

بل عرفت بعد دخولي حلب أن نسبة النجاة في هذا الطريق الوحيد المتبقي لا تتجاوز ال ٥٠٪، أي من كل عشر سيارات تمر فيه تدمر خمسة وربما أكثر، ومازال الناس يدخلون ويخرجون من أجل جلب الطعام والمؤن لأهل المدينة، وفور دخولي حلب من طريق النار المذكور رأيت قصفًا مستمرًا لا يفتر، وأمامي على بعد ١٠٠ متر تقريبًا سقطت قذيفة دبابة على بعد أمتار قلائل (ربما ثلاثة أمتار فقط) من امرأة وأطفالها يعبرون الطريق ولم يصبهم أذى إلا الترويع، ومع كل هذا الجو المشحون بالنار والدمار والدماء كان الناس يفتحون محلاتهم

يبيعون ويشترون، بل كانت تسقط القذائف على بعض المحلات ثم يقوم صاحب المحل –إن ظل حيًا معافى– بإصلاح ما تضرر من محله واستئناف البيع والشراء بعد سويعات قلائل في نفس اليوم.

أثناء الدروس التي أعطيها كان القصف في كل مكان وكان الطلاب والمقاتلون يحضرون الدرس وينتبهون للمسائل ويسألون ويناقشون، بت ليلتي هناك ولم يهدأ القصف طوال الليل بل ربما اشتد، في الفجر سألت الإخوة:

-"هل نمتم الليلة؟"

- استغربوا السؤال:" ماذا حدث؟"

- قلت: " القصف طوال الليل وقريب للغاية"

قالوا:" هذا أصبح الوضع الطبيعي عندنا، بل أصبح لا يلفت انتباهنا أصلًا"

أنهيت شرح الكتاب ورجعت من نفس الطريق إلى محل إقامتي في إدلب في رفقة أمير حلب من قبل أحرار الشام الشيخ أبي أحمد الحلبي، وفي الطريق تكرر نفس القصف وشهدنا نفس المشاهد، ثم أحكم النصيرية الحصار على حلب بعد خروجي بيوم وقطع هذا الطريق أيضًا. ثم بعدها بفترة سقطت حلب نسأل الله تعالى أن يعيدها لأهل السنة قريبًا.

- المثال الثاني:

كان سنة ٢٠١٧م حين قام النظام النصيري بمساندة الروس بقصف مدينة خان شيخون بغاز السارين شديد السمية، وكنت مقيمًا بجانب خان شيخون في هذا التوقيت –وهي مدينة جنوب إدلب– في تلة بعيدة عن وسط المدينة فأصابني بعض هذا الغاز، ولأني كنت في التلة –في منطقة مرتفعة– لم يصلني إلا القليل وفعل فيّ الأفاعيل من وجع في الرأس لا يطاق وألم مبرح في العين لا يمكن وصفه ولم أشهد مثله، وتركز الغاز السام الثقيل في وسط المدينة فقتل من المدنيين أكثر من مئة وأصاب المئات والكثير من القتلى نساء وأطفال، فنزلت من

هذه التلة لأطمئن على الناس وأنا خائف منهم ومن رد فعلهم، فأنا أرتدي اللباس العسكري ومعي بندقيتي ومعي آخر على نفس الحال، وأخاف أن يثور علينا الناس "أنتم أتيتم لنا بالقصف وقُتل أطفالنا ... إلخ"، ورغم أننا بعيدون عن المدينة لكن معروف أن النصرية والروس يقصفون المدن والمدنيين من أجل أن يجبرونا نحن على الانسحاب ووقف المعركة، لكني فوجئت بالناس جميعًا يتبسمون في وجهي ويعاملوني معاملةً رائعة جدًا رغم أنه لم يمر سويعات على الفاجعة، وهذا من عظم تحملهم وعظم صبرهم.

هذان المثالان وما أشبههما مئات بل آلاف -كما ذكرت- يبينون المزية الخاصة لأهل الشام، ويتبين لنا بعضًا من معاني قول النبي ﷺ " إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة" [٨]، وبعضًا من معاني كفالة الله وتوكله بالشام الواردة في قول النبي ﷺ: "سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنودا مجندة جند بالشام، وجند باليمن، وجند بالعراق"، قال ابن حوالة: خر لي يا رسول الله إن أدركت ذلك، فقال: "عليك بالشام، فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده، فأما إن أبيتم، فعليكم بيمنكم، واسقوا من غدركم، فإن الله توكل لي بالشام وأهله"[٩].

لابد أن يعي العاملون للدين والمجاهدون الأهمية الكبيرة للشام، الأهمية القدرية والواقعية والفرصة الكبيرة التي قد لا تعوض من قيام سوق الجهاد فيها، فليعضوا عليها بالنواجذ.

بعد ذهابي إلى الساحل بحوالي تسعة أشهر انتقلت لأقيم في منطقة "باب الهوا" لأعمل رئيس مكتب الدراسات في المكتب الشرعي في حركة أحرار الشام الإسلامية، وكنت في نفس الوقت أميرًا للمكتب الشرعي في الساحل كنت أشغل المنصبين، وهنا بدأت استشعر الخلافات الكبيرة المستعرة داخل حركة أحرار الشام الإسلامية بين الجناح الشرعي الذي يقوده الشيخ أبو محمد الصادق الشرعي العام للأحرار وبين الجناح السياسي الذي يقوده لبيب النحاس

---

٨ رواه أحمد والترمذي وقال حسن صحيح.

٩ رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني

ومن ورائه أخوه كنان النحاس، وكان كنان النحاس يمثل الفكر ولبيب النحاس يمثل العضلات (التنفيذ)، وهذا موضوع يجهله كثيرون، يجهلون أن كنان النحاس يمثل أيديولوجية أو طريقة التفكير لهذا التيار ولبيب النحاس مجرد منفذ، كان لبيب الذي يظهر في الوسائل الإعلامية، لا يظهر بوجهه لكن بشخصه في الصحف والمجلات والكتابات بمنصب رئيس المكتب السياسي الخارجي للأحرار، أما كنان النحاس فهو الذي ينظّر لهذا التيار، حقيقة الخلاف بين التيار الذي يمثله الشيخ أبو محمد الصادق وبين كنان النحاس ولبيب النحاس كان في مآلات الجهاد؛ التيار السياسي يريد في النهاية أن نستسلم وأن نرضى بطريقة الإخوان في إدارة الأمور أي في النهاية نظهر فكرة الديمقراطية –بطريقة أو بأخرى ليس شرطًا بالتطابق مع طريقة الإخوان– ليرضى عنا المجتمع الدولي وندمج فيه، لم يصرحوا بهذا الكلام لكن هذا هو المآل الطبيعي لكلامهم شاؤوا أم أبوا، بل كانوا ينكرون عليّ بشدة حديثي عن مسألة لا "إكراه في إضلال" وتأصيلي لها وتوعيتي للكوادر والعناصر بأهميتها، وكان يحدث بيننا نقاشات كثيرة حول هذه المسألة [١٠] التي تغلق الباب أمام التفكير في حلول فيها ميوعة وتلبيس للحق بالباطل بدعوى المصلحة العامة أو الإكراه، وكان الشيخ أبو محمد الصادق والتيار الذي يمثله يريد أن يستمر في فكر السلفية الجهادية واستمرار الجهاد لإقامة المشروع المنشود، هذا الصراع بين الشرعي والسياسي لم يُحسم، بل نتيجة لمقتل أغلب قادة الأحرار الذين كان أغلبهم له أيديولوجية سلفية جهادية صحيحة وثابتة وراسخة –وإن كانوا على وشك حدوث انشقاق بينهم لأن بعضهم بدأ يتبنى الفكرة الأخرى لكن ليس ببشاعة وفظاعة الطريقة التي يريدها لبيب وكنان النحاس–، نتيجة لمقتل هؤلاء القادة ازدادت نسبة وعدد الموالين لفكر المكتب السياسي داخل مجلس شورى الأحرار بعد ضم الكثير منهم لمجلس

١٠ نشرت مقالات كثيرة حول هذا الموضوع في قناتي على التليجرام، ثم توجت الأمر بتأليف كتاب بعنوان " أصول وضوابط السياسة الشرعية" قدم لي فيه الشيخ أبو الحارث المصري والشيخ أبو قتادة الفلسطيني، وطبعته دار الكتاب العالمي، أصلت فيه المسألة أكثر.

الشورى فازداد الشقاق والخلاف، في النهاية أدى هذا الخلاف إلى انشقاق حقيقي داخل الأحرار هذا الانشقاق ظهر حين تولى في شهر تسعة ٢٠١٥م الشيخ أبو يحيى مهند المصري قيادة الأحرار خلفًا للشيخ أبي جابر الشيخ، في الحقيقة كان الشيخ أبو يحيى يميل لتيار السلفية الجهادية ولتيار الشيخ أبي محمد الصادق لكن نتيجة لضغط التيار السياسي والقوة التي وصل إليها ونتيجة أيضًا لدعم بعض الدول لهذا التيار وعداوتهم للشيخ أبي محمد الصادق -وهذه المسألة سنتحدث عنها بإذن الله- اضطر أبو يحيى إلى إحداث بعض التغييرات في المكتب الشرعي، كان يريد تغيير الشيخ أبي محمد الصادق أوإضعاف سلطات منصبه، شعر الشيخ أبو محمد الصادق بهذا الأمر ورفضه ، فحُلّ المكتب أبو يحيى الشرعي لحركة أحرار الشام الإسلامية، كان هذا الحل مصيبة كبيرة لأنه حدث أثناء معركة العيس التي كنا نسعى فيها لرد العدو الروسي والنصيري والرافضي مجتمعين، في هذا التوقيت كان النظام النصيري قد هُزم حقيقة في سوريا وكنا على وشك السيطرة تمامًا على جميع أراضي الشام وذلك بعد فتح مدينة إدلب وفتح مدينة جسر الشغور حيث حدث انهيار كبير داخل الجيش النصيري وشعرت روسيا بهذا فتدخلت مباشرةً سافرة عن وجهها القبيح – حيث كانت قبل تدخل من وراء ستار بشار-وأعلنت ذلك رسميا في ٣٠ سبتمبر ٢٠١٥م بل وتبجحت وقالت إنها ستنهي الجهاد الشامي في أربعة أشهر فقط، وقامت بقصف شديد للمناطق المحررة لم يشهد له العالم مثيل منذ الحرب العالمية الثانية، بل دخلت قوات برية روسية في صورة مستشارين وقوات خاصة تستخدم عند الاستعصاءات والمواقف الصعبة، هذا أدى إلى تراجع كبير للمجاهدين وصل إلى منطقة تسمى العيس شرق إدلب، هذه المنطقة كانت استراتيجية للغاية وكان الحفاظ عليها مهم جدًا، في هذا التوقيت الحرج قام الشيخ أبو يحيى بحل المكتب الشرعي لحركة أحرار الشام الإسلامية وبعزل الشيخ أبي محمد الصادق، حين حدث هذا الأمر كانت صدمة كبيرة للجنود فقد كانت حركة أحرار


الشيخ أبو يحيى

الشام الإسلامية حركة مؤدلجة، والحركة المؤدلجة أثبت واقع الجهاد الشامي -أيًا كانت الأيدولوجية التي تتبناها- تستطيع أن تثبت أكثر بكثير من الحركات غير المؤدلجة التي وصفناها أنها أخضر فاتح يميل إلى البياض، ومن عاصر أحداث حلب وسقوطها كان يشهد أن الحركات المؤدلجة -ولو كانت أيديولوجيتها صوفية- أكثر صبرًا وثباتًا بكثير من الحركات التي لا تتبنى أدلجة معينة فقط أدلجة ثورية عامة، الشاهد أن هذه الهزة الأيديولوجية في الأحرار كانت سببًا أو أحد أسباب الضعف الشديد للأحرار بعد ذلك، والذي أدى في النهاية لانتهائها، وقد كنت أمر على الجنود وقت احتدام معركة العيس وأُفاجأ بأسئلتهم الكثيرة حول موضوع حل المكتب الشرعي، وسبب ذلك، والتشويش الذهني والفكري الذي أصابهم بسبب هذا الأمر وقت احتدام هذه المعركة المصيرية.

قام أبو يحيى ،بعد حل المكتب الشرعي، بتوزيع مهامه بين مكتب دعوي أنشأه ومكتب إفتاء، وفُصل بين مكتب الدعوة ومكتب الإفتاء، مكتب الإفتاء هذا كُوّن من أربعة : الشيخ موفق الحموي والشيخ أحمد نجيب والشيخ أيمن هاروش والشيخ عبدالرزاق المهدي، هؤلاء الأربعة لم يصدروا إلا فتوى واحدة وهي الفتوى التي تبيح للأحرار المشاركة مع قوات التحالف الدولي في معركتها ضد خوارج البغدادي، وكانت هذه المسألة بالذات من أهم أسباب حل المكتب الشرعي وتصاعد وظهور الخلاف بين التيار الشرعي والسياسي في الأحرار، فقد رفض الشيخ أبو محمد الصادق إصدار مثل هذه الفتوى وأفتى بتحريم هذه المشاركة وكنت شريكًا له في هذا الأمر بفضل الله تعالى، وقد استشرنا العديد من أهل العلم فيها داخل وخارج الشام منهم مشايخ كبار -لا يمكن ذكر الأسماء هنا لئلا يصابوا بأذى خاصة أن بعضهم أسير الآن- فكانت هذه المسألة من أهم أسباب عزل الشيخ أبي محمد الصادق حيث إن تركيا بطريقة أو بأخرى ضغطت على الأحرار لعزل الشيخ، وهذا أثر من أثار قبول الدعم الذي كانت تقبله الأحرار منها وهو أمر لابد فيه من وقفة.

فمشكلة الدعم كانت تمثل مشكلة كبيرة بين حركة أحرار الشام الإسلامية وجبهة النصرة، وقد ذكرنا قبل أن حركة أحرار الشام الإسلامية عند التحقيق لا يوجد خلاف حقيقي بينها وبين فكر جبهة النصرة، حركة أحرار الشام الإسلامية قريبة للغاية من فكر السلفية الجهادية بل هي على فكر السلفية الجهادية، وجبهة النصرة -عند التحقيق- لم تكن تتبنى الجهاد العالمي الذي كان السمة المميزة لتنظيم القاعدة، كانت مبايعة لتنظيم القاعدة حقيقة لكن كانت ترى عدم القيام بعمل خارجي لمضاره الكبيرة على الجهاد الشامي، وهذا كان الفارق الأساسي بين حركة أحرار الشام الإسلامية وتنظيم القاعدة، إذًا طالما الأمر هكذا وطالما أن جبهة النصرة وحركة أحرار الشام الإسلامية هما أقوى قوتين في الجهاد الشامي، لماذا لا يندمجون سويًا لتزداد القوة وتحل مشكلة كبيرة من أكبر مشاكل الجهاد الشامي وهي مشكلة تعدد الفصائل المجاهدة وهي مشكلة مدمرة واقعًا وشرعًا وقدرًا، -والحمد لله ﷻ أن نجا الله الجهاد الشامي منها بعد ذلك وإلا كادت أن تودي به تمامًا- ؟

الشاهد كان الأحرار والجبهة يجلسون جلسات لمحاولة التقارب والسعي للاندماج، وقد حضرت بعض هذه الجلسات، وكان مدار النقاشات في الجلسات حول مسألتين؛ جبهة النصرة تطلب من حركة أحرار الشام الإسلامية أن تتوقف عن أخذ دعم من الدول الخارجية لأن هذا يؤثر على استقلالية قرارها وسيؤثر بالتالي على استقلالية الكيان الجديد إن حدث اندماج، وحركة أحرار الشام الإسلامية تطلب من جبهة النصرة أن تفك ارتباطها بالقاعدة لأن هذا يؤدي إلى تذعير العالم علينا دون داع أو مصلحة. هذا كان الفارق الوحيد ، لم يكونوا -عند التحقيق- يتناقشون في أي مسائل فكرية أخرى، وأنا شاهد عيان حضرت جلسات منها جلسة حضر فيها الشيخ الجولاني بصفته القائد العام لجبهة النصرة والشيخ أبو عبدالله الشامي عبدالرحيم عطون بصفته الشرعي العام -أو أحد أعضاء المجلس الشرعي- للجبهة، وحضر الشيخ أبو محمد الصادق بصفته الشرعي العام للأحرار والشيخ أبو جابر الشيخ بصفته أمير الأحرار، وكان مدار الحوار حول هذين الأمرين واتُّفق فعلًا على حلهما والاندماج الفوري

لكن حدثت في الأمر أمور وتعرقل الاندماج وذلك على إثر تولي الشيخ أبي يحيى إمارة الأحرار وحل المكتب الشرعي وتوقيع الأحرار على وثيقة الرياض وهي أمور لا يحتمل هذا المختصر تفصيلها.

لكن أود أن أقف وقفة قصيرة مع مشكلة الدعم، يتضح الأمر في حوار حدث بيني وبين الشيخ أبي الفرج المصري الشيخ أحمد سلامة –قبل أن يُقتل بسنتين على يد الدرونز الأمريكي رحمه الله وأسأل الله أن يتقبله شهيدًا– وقد كان رحمه الله معي في المعتقل –كما رويت في الجيل الرابع– ونفر إلى الجهاد الشامي بعد خروجه والتحق بجبهة النصرة، فجلسنا جلسة في لواء المدرعات بحضور الشيخ أبي السعد المصري وكان الحوار حول كيفية الدمج بين الأحرار والنصرة وتطرقنا لمسألة الدعم الخارجي، – فسألت الشيخ رحمه الله:


الشيخ أبو الفرج المصري

"لماذا لا نتوحد؟ نحن وأنتم؟"

– فقال: "أنت تعرف مشكلة الدعم"

ثم ذكرني بقصة كانت تحدث داخل سجن العقرب، حيث كان يأتي أمن الدولة ويقدمون لنا أموالًا كراتب شهري ثلاث مئة جنيه، هذا المبلغ كان يساوي في هذا التوقيت في حدود التسعين أو الثمانين دولارًا، وكان أمن الدولة يقدم هذا لكل المحكومين، كان هناك مجموعة من الإخوة يرفضون هذا الدعم الشهري الذي يقدمه أمن الدولة و كنت أنا واحداً من هؤلاء ومعي اثنان أو ثلاثة من مجموعة الحاكمية التي تحدثت عنها في الجيل الرابع، أيضًا كان يرفض هذا الراتب الشيخ أبو الفرج المصري وغيره من المشايخ الذين يرفضون المبادرات، كانت فكرتنا في عدم قبول هذا الدعم رغم أن ظاهره أنه غير مشروط أبدًا، أننا نعلم جيدًا أن أمن الدولة لن تطلب منا شيئًا وستظل لا تطلب شيئًا إلى أن نعتاد على هذا المبلغ المالي ونعوّد أسُرنا خارج السجون عليه، ثم بعد ذلك لا نستطيع أن نتخذ مواقف أو قرارات أو نعارض أي إجراءات تريد أن تأخذها أمن الدولة لأننا وأهلنا صرنا أسرى هذا المبلغ. أغلب الإخوة في السجن كانوا يعطون المبلغ لزوجاتهم أو أولادهم، فإن كنت من الأساس لا تعطيهم

هذا المبلغ كانوا يدبرون أمرهم بطريقة أو بأخرى ولو بإحسان بعض المحسنين، أما إذا عودتهم على هذا الأمر مدة سنة أو اثنتين بعد ذلك حين تريد أن تقطعه عنهم يحدث هزة عندهم ونوع ضياع فيكون هذا الراتب عاملاً من عوامل إكراهك وتوجيه مواقفك صراحة أو ضمنًا.

نفس الأمر فكرة الدعم للحركات المجاهدة أو الثورية، تقدم الدول الدعم لها ولا تطلب منهم شيئًا في البداية إلى أن يعتادوا على هذا الدعم ويعتاد الجنود على مبلغ شهري يقدم لهم كراتب أو منحة، وتعتاد الحركة على صرف مبالغ ثابته من هذا الدعم للذخيرة والتسليح والأمور الإدارية، ثم بعد ذلك تريد الحركة أن تقوم بعمل جهادي في مكان ما، فتقول الدولة الداعمة: "لا!" "وإذا أردتم أن تقوموا به سأوقف الدعم عنكم".

فالحركة التي بنت نفسها على الطريقة المذكورة في الدعم إذا توقف عنها الدعم ستنهار، فتكون الحركة بين خيارين أحلاهما مر ، إما أن تنصاع لهذا الإملاء وتترك الجهاد في هذه المنطقة لكن تستمر في مناطق أخرى مثلًا وهذا أمر مؤقت، وإما أن ترفض هذا الإملاء فتخسر الدعم وتنهار.

هذه كانت فكرة وجيهة للغاية عند جبهة النصرة في الاعتراض على موضوع الدعم.

وحقيقةً فإن مشكلة الدعم هذه كانت من أسباب انحراف حركة أحرار الشام الإسلامية، فعندما رفضت الاشتراك في معركة درع الفرات بناء على فتوى مكتبها الشرعي—وذلك في ظل إمارة الشيخ أبي جابر الشيخ- هددتها الدول بقطع الدعم، بل وصل الأمر إلى أن يُعيّن أحد الإخوة الشرعيين بالاسم على إثر تغريدة له في موقع تويتر تعارض القتال مع التحالف الدولي ضد الخوارج، وقيل:

- "إن لم تقوموا بفصل هذا من الحركة سنقوم بقطع العلاقات بيننا وبينكم".

وقد حكى لي الشيخ أبو جابر الشيخ هذا الأمر وقال إنه بناء على هذا التهديد عقدنا اجتماعًا لمجلس الشورى وفي هذا الاجتماع كان هناك ثلاثة آراء:

رأي يرى أن نفصله، ورأي يرى أن نبقيه ولا نستجيب للضغط بحال، ورأي يرى أن نتوسط فنفصله من المكتب الشرعي ويظل عضوًا في الحركة، واخترنا الأخير لأنه شيء في الوسط؛ لم نرفض الإملاء تمامًا وفي نفس الوقت لم نستجب له استجابة تامة لئلا يعتادوا بعد ذلك على الضغط علينا بهذه

الطريقة، ولكن كما ذكرت كان هذا سببًا –أيضًا– في عزل الشيخ أبي محمد الصادق وحل المكتب الشرعي لحركة أحرار الشام الإسلامية –في عهد الشيخ أبي يحيى–، وإبداله بمجلس الإفتاء المكون من الأربعة الذين سبق ذكرهم والذي لم تصدر عنه إلا فتوى واحدة وهي جواز القتال مع التحالف الدولي ضد الخوارج، لكن –بالمناسبة هنا– فإن أحد أعضاء هذا المجلس وهو الشيخ عبدالرزاق المهدي –حفظه الله– تراجع عن هذه الفتوى واستقال من هذا المجلس.

لابد أن أشير هنا أنه بسبب فتوى الشيخ أبي محمد الصادق فإن الأحرار لم يشاركوا فعلًا في هذه المعركة المحرمة لمدة سنة كاملة إلى أن حُل المجلس واستبدل، لكن في هذه السنة حدثت مشاكل كثيرة بسبب الفتوى المذكورة داخل حركة أحرار الشام، منها ما قام به شخص يسمى أبو العباس التوت هذا الرجل كان سببًا في طبع صورة أحرار الشام الإسلامية على أنها تابعة أو قريبة من جماعة الإخوان فقد كان فعلًا ممن أسسوا حركة أحرار الشام الإسلامية، ولكن بذهابه إلى تركيا وتركه الداخل فقد الكثير من تأثيره واتجهت الحركة للفكر الجهادي السلفي، فعندما رفض المكتب الشرعي لحركة أحرار الشام الإسلامية الاشتراك مع التحالف الدولي في ضرب الخوارج لأن هذا إعانة لكافر على مبتدع مسلم، وإن كان هذا المبتدع يجب قتاله لكن قتاله يكون بيد المسلمين المجاهدين، كما أنه كان عندنا قدرة حقيقة لقتاله وانتصرنا عليه في مواقع كثيرة فما بالنا وقد أنهكته الحرب وضعفت قوته؟!!

الشاهد هنا أن أبا العباس التوت قام مع مجموعة من التابعين للمكتب السياسي أو للتيار السياسي للأحرار بشق مجموعة من كتائب وعناصر الأحرار تحت مسمى "جيش الشام" وأراد أن يذهب هذا الجيش ليقاتل مع التحالف ليستجلب دعمًا ورضًا أيضًا، وهذه كانت مسألة فصال كبيرة ومشكلة كبيرة سواء داخل الأحرار مع المؤيدين والداعمين لهذا الانشقاق أو مع هؤلاء المنشقين عن الأحرار أنفسهم، وقمت بكتابة فتوى من ثلاث عشرة صفحة أحرم فيها قيام جيش الشام المنشق والانضمام إليه، وعرضتها على الشيخ أبي محمد الصادق فأقرها وأحدثت صدى كبيرًا وكانت بفضل الله من أهم أسباب فشل هذا الجيش المزعوم، وإن تركت حقدًا دفينًا عند كثير من مؤسسيه وداعميه على رأسهم بلا شك أبو العباس

التوت، وحربًا إعلامية شرسة ضد العبد الفقير.

بعد عزل الشيخ أبي محمد الصادق ظللت مع الأحرار لعلي أستطيع أن أصلح شيئًا أو أأخر فسادًا أو أعرقل عمل المنبطحين الساعين لسحبها إلى مستنقع الأخضر الفاتح أو الاستسلام.

لكن قبل أن أكمل أريد أن أناقش مسألة الدعم مناقشة موضوعية؛ فالقاعدة العامة المضطردة أن الدول لا تقدم دعمًا بلا مقابل هذا مستحيل أن تقوم به دولة في عالمنا المعاصر.

لكن الامتناع عن أخذ الدعم تمامًا قد يؤدي إلى قطع الجهاد، فالكثير من الأسلحة تأتي من هذه الدول ولا طريق للحصول على هذه الأسلحة إلا هذه الدول بالذات الأسلحة المتطورة تقنيًا مثل مضادات الدروع المتطورة كالتاو وما شابه، ومن جانب آخر فالاعتماد على الدعم يؤدي إلى رهن قرارك بيد هذه الدول كما حدث في جنوب الشام، فالدول الداعمة في الحقيقة هي التي أسقطت الثورة والجهاد في الجنوب، حين أصدرت قرارًا للتابعين لها والمعتمدين على دعمها بوقف القتال فتوقفوا عن القتال تمامًا أشهرًا طويلة إلى أن بيعت هذه المناطق في النهاية للروس بأمر الداعمين أيضًا تحت مسمى المصالحات، في حلب حدث نفس الشيء -وإن كان بصورة أخف- الجهات الداعمة صارت تتحكم في من تدعمهم وصار خلل وخور داخل هؤلاء الناس حتى سقطت حلب في النهاية نسأل الله العفو والعافية، صحيح كان في الجنوب مخلصين غير مرتهنين لأمر الداعم وفي حلب كذلك لكن كثر الخبث فأتى الهلاك.

نعود لموضوعنا: ما الحل لمشكلة الدعم؟

أرى أن يقتصر قبول الدعم على السلاح النوعي والاستراتيجي وعلى المسائل التي لا تمس معيشة الجنود، فإن حياة أي تنظيم جهادي هو جنوده، فلا يصرف هذا الدعم على رواتب الجند بل يُنفق على رواتب الجند من المصادر الداخلية بحيث إذا قطع الدعم لا تنقطع رواتب الجند فيؤدي إلى انهيار الفصيل، فإنه إذا اعتمد الجندي على الراتب الآتي من قبل الداعم ثم قطع الراتب يذهب ليبحث عن عمل ليعول نفسه وأهله ويترك الجهاد، وهذا حل جزئي وإن كان الأمر يحتاج تفصيلًا أكثر من ذلك ولكن نحن كما قلنا في عجالة واختصار.

أما العائق الثاني في الاندماج بين الجبهة والأحرار فكان من طرف جبهة النصرة وارتباطها بتنظيم القاعدة في الخارج، وهذا فعلًا كان يسبب خطرًا كبيرًا على الجهاد الشامي وعائقًا حقيقيًا أمام اندماج جبهة النصرة مع باقي الفصائل على رأسها حركة أحرار الشام الإسلامية القريبة جدًا من النصرة في هذا التوقيت، وقامت فعلًا جبهة النصرة بالانتقال إلى مرحلة جبهة فتح الشام وكان انتقالًا صوريًا نوعًا ما فلم يوقف تصنيف جبهة النصرة أنها فرع من أفرع القاعدة ولم يوقف استهداف جبهة النصرة من قبل أمريكا، ثم حدث بعد ذلك انتقال حقيقي وفك ارتباط حقيقي لجبهة النصرة عن تنظيم القاعدة وذلك عند إنشاء هيئة تحرير الشام واندماج جبهة فتح الشام في هيئة تحرير الشام مع عدد كبير آخر من الفصائل منها ما ينتمي للأخضر الغامق مثل جيش الأحرار ومنها ما ينتمي للأخضر الفاتح مثل جماعة نور الدين الزنكي، أما تفاصيل ما نتج عن هذا الاندماج وما حدث بعده من أحداث فهذا ما قلنا أننا لن نحكي عنه، لأن هذا بعد الفترة الزمنية التي التزمت بألا أحكي عنها، ولكن يحتاج الأمر توضيحًا بخصوص موقف الأحرار من هذا الاندماج وكيف أثر الجناح السياسي على قرارها.

كان في هذا التوقيت قد تولى أبو عمار علي العمر قيادة الأحرار خلفًا لأبي يحيي الحموي على إثر خلافات كبيرة حدثت داخل الأحرار بين تيار الأخضر الغامق (الذي كان يقوده المكتب الشرعي قبل حله لكن التيار ظل موجودًا فقد ظل الشيخ أبو محمد الصادق عضوًا في مجلس شورى الأحرار وظل كثيرون في الشورى موالين لهذا التيار) وبين الأخضر الفاتح التابع للمكتب السياسي والذي تنامى نفوذه أكثر وأكثر بعد إضعاف التيار الآخر.

أبو عمار العمر

وكانت الأحرار بتياريها مجمعة على عدم إمكانية الاندماج مع جبهة النصرة طالما الجبهة لم تفك ارتباطها بالقاعدة، فلما حدث الفك الشكلي والتحول لجبهة فتح الشام بدأت مفاوضات جدية

وخطوات حقيقية للاندماج ولكن تيار المكتب السياسي في الأحرار أصر أن يكون فك الارتباط حقيقيًا، وعندما قامت فعلًا جبهة فتح الشام بفك الارتباط تمامًا بتنظيم القاعدة وانتهت كل حجج الأحرار، قام قائد حركة أحرار الشام الإسلامية أبو عمار علي العمر وقتها بالتوقيع على بيان الاندماج، وكان الاتفاق أن يكون هو رئيس التجمع الجديد هيئة تحرير الشام، لكن بعد توقيعه حدث اجتماع طارئ لقادة الأحرار في مكان ما في قطاع الساحل وصرح فيه كنان النحاس وتياره أنهم لن يقبلوا الاندماج مع الجبهة مهما عملت، وهنا اقترح أحد الحضور أن يُطرح شرط تعجيزي على الجبهة من باب حفظ ماء وجه أبي عمار لكن رفض كنان هذا العرض بحجة أن الجبهة قد تقبله أيضًا، فاضطر أبو عمار – رغم أن فكره كان جهاديًا لكنه كان رجلًا ضعيفًا يسيطر عليه التيار السياسي الذي كان سببًا في وصوله للقيادة بعد انتهاء فترة ولاية أبي يحيى الحموي- إلى الانسحاب من بيان الاندماج.

وأؤكد هنا ما قلته وكررته كثيرًا أن تيار المكتب السياسي هؤلاء كانوا قد قرروا في النهاية أنهم سيسلّمون ولكن يبحثون عن طريقة يسلمون بها بغض النظر عن موقفهم الآن، وإن كنا قد نرى أو نظن خيرًا في كنان النحاس ونقول إن عنده خطأ في التفكير وبعض التأويلات ولكن أخاه لبيب النحاس لا يُظن فيه خير لأنه كان يمتهن الكذب، وكذب عليّ كثيرًا، وكذب في كثير من المواقف، وعنده تلاعبات كثيرة، أسأل الله ﷻ أن يعامله بما يستحق، لأنه كان من أهم أسباب انهيار حركة أحرار الشام الإسلامية.

أشرنا قبل إلى مشكلة أساسية في الجهاد الشامي بل هي المشكلة الكبرى وهي تعدد الفصائل، هذه المشكلة أثرت على الجهاد تأثيرًا كبيرًا وكان سببها الأساسي الهوى وحب الرئاسة وأموال الداعم التي يُخشى أن تنقطع إن اندمج الفصيل، وإلا فالخلافات الفكرية –خاصة في بداية الجهاد- لم تكن تبرر أبدًا هذا التشتت والانقسام والذي كان سببًا للنزاع وذهاب الريح وتأخر النصر مصداقًا لقول الله تعالى "وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ" ثم كان بعد ذلك سببًا لتطور اختلافات فكرية لتبرر

الانقسامات على الأرض، وهذه المسألة تحتاج تفصيلًا طويلًا لا تسمح بها هذه الإطلالة الموجزة وربما نفرد له مؤلفًا يومًا ما أو يفرد له غيري.

المشكلة الأخرى الكبرى التي أثرت على الجهاد الشامي كانت منظري الخارج الذين كانوا يتدخلون كثيرًا في الشأن الشامي بما يفسده حقيقةً، سواء على الطرف الأيمن طرف الغلو أو على الطرف الأيسر طرف التميع والرغبة في مشاريع الاستسلام والانبطاح والديمقراطية وما إلى ذلك من الأمور.

المنظرون في الخارج يمكن أن يقسموا إلى قسمين:

قسم تنظيرهم مفيد للجهاد الشامي، وهو التنظير العام، فكما قلنا كان يوجد فترة تجهيل كبيرة للشعب الشامي ولأهل السنة في الشام فكانوا في النهاية يحتاجون إلى مصادر خارجية يستقون منها الفكر الصحيح ويستقون منها العلم الشرعي، وللإنصاف كان لا يوجد غنى عن منظري الخارج بالذات في بدايات الجهاد خاصة مع وجود تنافسات وخلافات فصائلية داخلية تمنع التجمع على مرجعية فكرية واحدة إن وجد من عنده الأهلية ليحتل هذه المكانة، ولكن قسم أخر من منظري الخارج كانوا يفسدوا أكثر بكثير مما يصلحون، كانوا سببًا حقيقيًا ومباشرًا في الكثير من الفساد والشقاق الذي حدث في الجهاد الشامي.

على سبيل المثال في طرف الغلو نجد طارق عبد الحليم نزيل دولة كندا، عنده الكثير من الجهل والرعونة والغلو، ورغم جهله بالتفاصيل الدقيقة للكثير من الأحداث بل بكثير من الأمور الواضحة كان يحشر أنفه في أدق التفاصيل، ومن يعايش هذه التفاصيل على الأرض يوقن قطعًا بأن هذا الرجل يتحدث بما لا يعلم ويفسد أكثر بكثير مما يصلح، بل صار –بسبب ذلك– مثار سخرية عموم المجاهدين من كل الأطياف، وشاكلته كُثر وإن كانوا درجات متفاوتة.

أما مثال طرف التمييع والتفريط والانبطاح من منظري الخارج الذين أفسدوا في الجهاد الشامي شخص يسمى مجاهد مأمون ديرانية مقيم في دولة الأردن ويسعى بتنظيراته لإفساد الجهاد الشامي وحرفه عن الحق وعن الطريق المستقيم ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وإن كنا نظن في

طارق عبدالحليم أنه يفعل هذا من تلقاء نفسه، أي غلوه وجهله نابعان من ذاته دون إملاء، ولكن مجاهد ديرانية يوجد شكوك كبيرة أنه عميل للمخابرات الأردنية ويفعل ما يفعله تنفيذًا لأجندات المخابرات وعلى شاكلته كثر أيضًا، وهذا أمر خطير للغاية أن يكون لمنظري الخارج ارتباط مخابراتي فتُفتح لهم المنابر ويمنحون الدعم المادي والإعلامي والترويجي وقد ارتدوا مسوح الناصحين المشفقين فينطلي الأمر على كثير من السذج حسني النية أو يستغله لأغراض دنيئة بعض الخبثاء.

أما أمثلة المنظرين الذين أفادوا الجهاد حقيقة نجد الشيخ أبا قتادة الفلسطيني والشيخ عبد العزيز



الشيخ الطريفي والشيخ أبو قتادة الفلسطيني

الطريفي فك الله أسره، فقد كانوا ينظرون تنظيرًا عامًا ويتركون التفاصيل لمن هم على الأرض لأنهم أدرى بالتفاصيل، فمثلوا إضافة حقيقة مفيدة ونافعة للجهاد الشامي، نسأل الله أن يجزيهم خيرًا.

الأمر الثالث الذي كان يمثل ضررًا كبيرًا على جهاد الشامي هو وسائل التواصل الاجتماعي مثل فيس بوك وتويتر والتليغرام والواتس واليو تيوب ... إلخ لأن هذه الوسائل في الحقيقة في أيدي أعداء الجهاد يتحكمون فيها كما يشاؤون وفيما يريدون، فكان يُفسح المجال لبعض الحسابات وتُدعم لنشر توجهات معينة فكرية وحركية وإخبارية بها رسائل مبطنة، ويُضيّق على حساباتٍ أخرى أو تُحذف لأنها تساعد الجهاد حقيقة أو تُنمي وعيًا صحيحًا عند المسلمين، ومعركة الوعي –عند التحقيق– أضخم معركة على الإطلاق تدور رحاها بين الأمة الإسلامية وأعدائها منذ عقود، وثورات الربيع العربي كانت لها تعلق شديد بوسائل التواصل خاصة موقع فيس بوك ثم تويتر.

من الحسابات المؤثرة المنتشرة والمتروكة -أو بالأحرى مدعومة- مخابراتيًا حساب مزمجر الشام وهو حساب على منصة تويتر وكان يسعى سعيًا حثيثًا لإحداث قتال بين حركة أحرار الشام وجبهة النصرة، فبينما كان أي حساب جهادي أو ثوري لا يسمح له بتجاوز عتبة ال٥٠ ألف متابع ثم يحذف بعدها كان حساب مزمجر يتعدى بسهولة المئة ألف متابع [لاحظ أني أتحدث عن الوضع قبل ٢٠١٧م] وكان هذا الحساب يحصل على الكثير من الأخبار الموثقة ويوجهها توجيهًا واضحًا للعيان في اتجاه شق الصف وضرب الفكر الجهادي، وهذا الحساب وإن ظنّ البعض أن مالكه مجهول أو صُدر مالك مزيف له ككبش فداء أو تيس مستعار ، ولكن تُوصل إلى كثير من الخيوط التي تؤكد ما ذكرته عنه ولعلي أوضح حاله أكثر بالأدلة الموثقة في موضع آخر إن شاء الله.

ولابد ألا أختم هذه الإطلالة الموجزة وتلك الإضاءات قبل أن أتحدث عن مسألتين:

- الأولى: شيء يسمى معضلة حركة أحرار الشام الإسلامية، وذلك لتكون عبرة ودرساً لما بعد ذلك من الأجيال، هذه المعضلة كتبت فيها مقالًا سريًا-وقتها- بعنوان "معضلة أحرار الشام" في شهر تسعة تقريبًا سنة ٢٠١٦م ، قدمته إلى الشيخ أبي يحي الحموي بصفته القائد العام لأحرار الشام في هذا التوقيت وأرسلت نسخًا منه أيضًا إلى كثير من أعضاء مجلس شورى حركة أحرار الشام، وهو مقال طويل اختصاره أني بينت فيه بالأدلة والوقائع والأمثلة أن المعضلة الأساسية للأحرار أنها سعت إلى أن تكون حركة جامعة دون أن تحسم أمرها في موضوع التوجهات الداخلية فيها والتيارات التي في داخلها، بمعنى أنها لو كانت حسمت أمرها لصالح الأخضر الفاتح كانت ستكون في وضع أفضل بكثير للجهاد والساحة أولًا ولنفسها ثانيًا من أن تظل في منطقة ألّا استقرار منطقة ألّا قرار لا أخضر غامق ولا أخضر فاتح بل التردد بينهما والتقلب، وقد أدى الجمع الكبير أو بالأدق العشوائي للناس، دون ضوابط للصعود والترقي في صفوف الحركة إلى وصول بعض أصحاب الانحرافات الفكرية

والمنهجية بل العقدية في النهاية إلى مراكز صنع القرار حتى سببوا شللًا كاملًا للحركة ثم سيطروا بعد ذلك على الحركة بعد أن فرغوها من مضمونها وشقوا صفها وقادوا دفتها في النهاية إلى اتجاه الاستسلام الذي أدى إلى حل الحركة وانتهائها حقيقةً وإن ظلت مجرد لافتة واسم، بل الاسم نفسه غُيّر، وعندما أقول إن حركة أحرار الشام الإسلامية قد انتهت نتيجة للتجاذبات الداخلية التي حدثت فيها أقصد الحركة التي تحدثت عنها فيما مضى، أما وريث هذه الحركة الآن الذي تغير اسمًا ومضمونًا فهذا له إسهامات في الجهاد لا تنكر ولكن ليست هي الحركة التي تحدثنا عنها سابقًا والتي كان عليها آمال كبيرة في الجهاد الشامي وأفسدها الشقاق الداخلي بين قياداتها وبين التيارات التي فيها، والتي تسبب فيها التجميع العشوائي للناس، واختراق البعض لهذه الحركة، لا أقصد اختراقًا مخابراتيًا ولكن اختراقًا من أفكارٍ وتوجهات أخرى، إن أعظم خطأ وقعت فيه الحركة ويقع فيه غيرها للأسف هو الخلط بين الاحتواء والاختراق، فالأول معين والثاني مبير، وأكررها بصدق وصراحة وشهادة لله وللتاريخ وأصرخ بها من قلب مكلوم: إن أكثر ما أفسد العمل للدين في عصرنا الحديث الخلط بين الاحتواء والاختراق، فلا يصح عقلًا ولا شرعًا أن يُقلّد من ليس هدفه الصريح ونهجه الثابت تحكيم الشريعة وإعلاء كلمة الله بعقيدة سليمة ووسيلة صحيحة أي ولاية في صفوف العاملين للدين خاصة في مرحلة البناء، النبي ﷺ لم يمنع ابن سلول -رأس النفاق- من حضور الغزوات وكفنه في قميصه، لكن لم يسلم ﷺ منافقًا قيادة جيش ولا قضاء ولا ولاية قط.

بعد هذه الرسالة التي أرسلتها للشورى وللشيخ أبي يحيى كنت أعلم جيدًا أن الحركة في أسوأ حالاتها وأن الخلاف بين التيارات فيها يهلكها ويشلها، صحيح أنه ظلت هناك كتلة في مجلس الشورى تسعى إلى الحفاظ على توازن الأحرار وعلى توجهها الجهادي وعلى رأسها الشيخ أبو محمد الصادق ولكنها كانت تضعف مع الزمن كما قلنا، كان يوجد أيضًا إشكال آخر وهو أن من يرى التوجه الجهادي الصحيح في مراكز القيادة يشارك في المعارك، ومن

يريد التوجه الاستسلامي كان بعيدًا عن المعارك بل بعضهم بعيداً عن أرض الجهاد نفسها يقيم في تركيا أو غيرها ويشارك في صناعة قرار الداخل، فكان هؤلاء الجهاديون يُقتَلون كما حدث مع الشيخ جميل قطب والذي كان من صقور حركة أحرار الشام الإسلامية ومن صقور التوجه الجهادي وبعد مقتله في معركة فتح إدلب سنة ٢٠١٥م ظلت الحركة في انحدار إلى أن وصلت إلى ما آلت إليه في النهاية.

الشاهد أن الصراع بين التيارين أدى عند وقت التجديد لأبي يحيى الحموي –وقت التجديد أو التبديل لأمير الأحرار يحل في الشهر التاسع من كل سنة في ذكري مقتل القادة المؤسسين في مغارة رام حمدان– لم يستطيعوا حسم القرار في الأمير الجديد فمُدد لأبي يحيى ثلاثة أشهر أخرى وقبل انتهاء الأشهر الثلاثة وُلي أبو عمار علي العمر إمارة الأحرار وقد كان قبلها نائب أبي يحيى الحموي مهند المصري فترة السنة التي تولى فيها إمارة الحركة، بعد إعلان تولى أبي عمار الإمارة أيقنت أن الحركة قد وصلت إلى طريقٍ مسدود وأن علاقتي مع الحركة واستمراري معها فقد أي مبرر شرعي أو عملي، فهذه الحركة بحالتها وشللها لن تستطيع أن تدفع العدو الصائل وستظل في حالة شلل إلى ما شاء الله ﷻ فقررت تركها، وعندما أخذت هذا القرار وصل الأمر إلى مجموعة الأخضر الغامق في مجلس الشورى وكانوا ثمانية وهم أيضًا الذين رفضوا تولي أبي عمار الإمارة ولكن غلبهم كثرة التيار الثاني، جلس معي بعضهم ثم جلسنا جميعًا بعد ذلك وقالوا:

"لماذا تترك الحركة؟، نحن أيضًا نريد أن نترك ويريد الكثير من ألوية الحركة وكتائب الحركة – الجهاديين المؤدلجين الذين يمثلون حقيقة أنياب ومخالب الحركة– ترك الحركة، وإذا تركوها سيجلس بعضهم في منازلهم وينضم البعض الأخر إلى فصائل أخرى والبعض الآخر يظل كتيبة مستقلة ثم نتيجة قلة الدعم والتضييق سيتحلل ويتلاشى، فلماذا لا نُكوّن تكتلًا داخل الأحرار "

- وهذه هي النقطة الثانية التي أود الحديث عنها قبل الانتهاء وهي تكوين جيش الأحرار، فبعد هذه الجلسة عُقد أكثر من اجتماع تحضيري آخر ثم أصدرنا بيانًا باسم "جيش الأحرار" وصدرناه بآية " وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا " وقد أشرت إلى هذا البيان في بداية هذا الجيل وقلت إن فكرة جيش الأحرار كانت اعتصامًا وهي كذلك فعلًا، فقد كان الهدف أن نجمّع هؤلاء الذين يريدون ترك الحركة ويتشتتون في غيرها أو يتركون الجهاد سواءً كانوا كتائب أو ألوية أو حتى أفرادًا، وتولى الشيخ أبو جابر الشيخ إمارة الجيش، والشيخ أبو صالح الطحان العسكري العام للجيش –وقد كان العسكري العام السابق للأحرار قبل أن يُعزل بضغط من تيار المكتب السياسي لأنه كان محسوبًا على تيار الشيخ أبي محمد الصادق–، وعُينت الشرعي العام للجيش، وقررنا في مجلس شورى الجيش (والذي كون من الثمانية الذين في مجلس شورى الأحرار، وبعض من قادة الألوية والكتائب السبعة عشر التي انضوت في الجيش، ومني العبد الفقير) أنه إذا انصلح حال أبي عمار –يعني قدر على القيام بواجبات القيادة بقوة وكفاءة– أو انصلح حال الأحرار عمومًا يعود الجيش للاندماج في الأحرار كما كان، أما الآن يظل تكتلًا له نوع استقلالية داخل الأحرار ولا ينشق من الأحرار .

لكن حُورب هذا الجيش حربًا لا هوادة فيها بل حورب دوليًا أيضًا من الجهات التي كانت تدعم الأحرار، وقُطع الدعم عنه تمامًا مما أدى في النهاية إلى إجبار الشيخ أبي جابر الشيخ إلى إعلان حل جيش الأحرار، لأعلن بدوري –في نفس اليوم– استقالتي من حركة أحرار الشام الإسلامية، وبعد حوالي خمسة أيام أو ستة أيام تحديدًا في ٢٨ من شهر يناير سنة ٢٠١٧م أُعلن تكوين هيئة تحرير الشام لتكون اندماجًا من عدة فصائل تحت إمارة الشيخ أبي جابر الشيخ فأعلنت انضمامي لها، لتبدأ مرحلة جديدة وفصل جديد من فصول الجيل الخامس والذي قلت إن الأوان لم يحن بعد لنفصل أحداثه.

كانت أهم مزايا هذا الجيل أنه أفضل جيل جهادي مر على الحركات الجهادي والتاريخ

الجهادي منذ بداية العمل الجهادي لإعادة الخلافة الإسلامية سنة ١٩٢٨م إلى الآن نسأل الله ﷻ أن يبارك فيه وفي ثمراته ويتمم أمره على خير.

وقد حل الكثير من المشاكل التي كانت موجودة في الأجيال الأخرى سواء مشكلة التنظيم العنقودي أو مشكلة الإيواء والتدريب المتطور الآمن، بل ومشكلة العدد، فإن هذا أكثر جيل يستطيع أن يحقق حديث النبي ﷺ "لن يغلب اثنا عشر ألفًا من قلة" وإن كان الأمر ليس بالسهولة المتخيلة، بل أظن أن مثل هذا العدد لم يجتمع في معركة واحدة في الشام إلا في معركة فتح مدينة جسر الشغور حين اجتمعت كل الفصائل العاملة على الأرض في غرفة عمليات واحدة وحضرت الاجتماع العسكري التحضيري للعمل، ووقتها سأل الشيخ أبو عمر سراقب –رحمة الله–، الأمير العسكري لجبهة النصرة والأمير العام للعمل، كل فصيل عن عدد ما قدم من جنود، فأحصينا العدد فوجدناه قد اكتمل اثني عشر ألفًا فاستبشرنا بالنصر بفضل الله ﷻ وأذللنا النصيرية وحلفائهم ذلًا كبيرًا رغم دفاعهم المستميت واستخدامهم كافة أنواع الأسلحة من طائرات ودبابات ... إلخ وتفوقهم علينا عددًا وعدة بعشرات الأضعاف، وانتصرنا بفضل الله نصرًا مؤزرًا في أقل من أربعة أيام وفتحنا المدينة الاستراتيجية المهمة وقتل من العدو المئات وأسر العشرات.

كان من أكثر عيوب هذا الجيل الذي أثرت فيه كثيرًا والتي ما زال يعاني من بعضها إلى الآن مشكلة تعدد الفصائل الجهادية التي تعمل لدفع الصائل، ومشكلة منظري الخارج السيئين لأن هناك من يفيد في تنظيره فعلًا، ومشكلة الإعلام والإنترنت والإشاعات وتحكم أعداء الجهاد في هذا السلاح الخطير سلاح الإعلام.

أسأل الله ﷻ أن يغفر لنا تقصيرنا وأن يتمم لنا أمرنا ويحقق هدفنا وينعم علينا بنصر قريب، وأن ينصر الإسلام والمسلمين في كل مكان نصرًا مؤزرًا.

وما كان في كلامي من صواب فمحض فضل وتوفيق من الله سبحانه فله الحمد كله والشكر

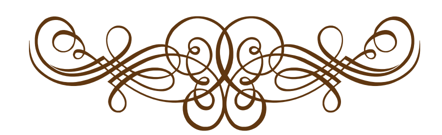
كله والثناء كله وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله ﷺ منه بريئان.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

فُرغ من مراجعة التفريغ مع التعديلات والإضافات عصر ٢٩ رمضان ١٤٤٢ هـ

بمدينة إدلب العز.

أبو الفتح يحيى بن طاهر الفرغلي.



حلقات الطريق إلى الخلافة



موقع الأرشيف



موقع آخر

ملحق بأسماء الكتب التي ذكرت في الكتاب

قام أحد الإخوة مشكورًا بجمع ما ذكرت اسمه من كتب أثناء السرد –بترتيب ورودها– فرأيت أن ألحقه هنا للفائدة:

١ -"الإسلام وأصول الحكم" علي عبد الرزاق

٢ -"نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم" محمد الخضر حسين

٣ -"الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ" محمود عبد الحليم

٤ -"مذكرات الدعوة والداعية" حسن البنا

٥ -"ابن القرية والكتاب" يوسف القرضاوي

٦ -"الإخوان المسلمون" ريتشارد ميتشل

٧ -"النقط فوق الحروف: الإخوان المسلمون والنظام الخاص" أحمد عادل كمال.

٨ -"سيد قطب من الميلاد الى الاستشهاد" صلاح الخالدي؛ رسالة دكتوراه بإشراف محمد قطب

٩ -"هذا الدين"، "المستقبل لهذا الدين"، "في ظلال القرآن" سيد قطب

١٠ -"معالم في الطريق" سيد قطب

١١ -"الإخوان وعبد الناصر: القصة الكاملة لتنظيم ١٩٦٥" أحمد عبد المجيد.

١٢ -"البوابة السوداء: صفحات من تاريخ الإخوان المسلمين" أحمد رائف

١٣ -"أيام من حياتي" زينب الغزالي

١٤ -" التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين" علي عشماوي

١٥ -" تنظيم ٦٥ الصحوة والزلال" محمد الصروي

١٦ -"دعاة لا قضاة" حسين الهضيبي

١٧ -"واقعنا المعاصر" محمد قطب

١٨ -"صفحات مجهولة من تاريخ الحركات الإسلامية" طلال الانصاري

١٩ -"رسالة الايمان" صالح سرية

٢٠ -"إن الله هو الحكم" محمد شاكر الشريف

٢١ -"فرسان تحت راية النبي ﷺ" أيمن الظواهري

٢٢ -"الجهاد: الفريضة الغائبة" محمد عبد السلام فرج

٢٣ -" كلمة حق" عمر عبد الرحمن

٢٤ -"شخصية مصر" جمال حمدان

٢٥ -"الإصلاح بين العشيرة والأهل في مسألة العذر بالجهل" أبو الحارث أسامة قاسم [غير منشورة]

٢٦ -"الشهادة: شهادة الشيخ صلاح أبو إسماعيل في قضية تنظيم الجهاد" صلاح أبو إسماعيل

٢٧ -"نظرية السيادة وأثرها على شرعية الأنظمة الوضعية" صلاح الصاوي

٢٨ -"دولة القرآن" أبو الفتح يحيى الفرغلي

٢٩ -"خريف الغضب" محمد حسين هيكل

٣٠ -"الجماعة الاسلامية المسلحة في مصر" سلوى العوا

٣١ -"محاكمة فرعون" شوقي خالد

٣٢ -"العمدة في اعداد العدة" سيد إمام

٣٣ -"الجامع في طلب العلم الشريف" سيد إمام

٣٤ -"نظرية النصر في الإسلام" أبو الفتح يحي الفرغلي

٣٥ -"تحقيق الزاد لتحقيق الجهاد" سعيد عبد العظيم

٣٦ -"ميثاق العمل الإسلامي" مجموعة مؤلفين من إصدارات الجماعة الإسلامية في مصر

٣٧ -" حكم الطائفة الممتنعة عن بعض شعائر الإسلام " عاصم عبد الماجد وعصام دربالة

٣٨ -"الرسالة الليمانية في الموالاة" من إصدارات الجماعة الإسلامية في مصر

٣٩ -"وجوب العمل الجماعي" من إصدارات الجماعة الإسلامية في مصر

٤٠ -"العذر بالجهل" عبد الآخر حماد –على الأغلب–

٤١ -" الحوار مع الطواغيت مقبرة الدعوة والدعاة" من إصدارات جماعة الجهاد في مصر

٤٢ -" تكفير الحاكم بالقانون الوضعي" من إصدارات جماعة الجهاد في مصر [عنوان الكتاب ليس دقيقًا لكن هذا موضوعه]

٤٣ -" الحصاد المر: الإخوان المسلمين في ستين عامًا" أيمن الظواهري

٤٤ -" المبادرة: رؤية شرعية ونظرة واقعية" من إصدارات الجماعة الإسلامية في مصر بعد المبادرة بالإضافة لكتب أربعة أخرى تدور في نفس الإطار منهم كتاب عن النصارى وأحكامهم غير منشور.

٤٥ -كتاب في مسألة الحاكمية لعاصم عبد الماجد وأسامة حافظ [غير منشور]

٤٦ -" الرد على كتاب الحاكمية نظرة شرعية ورؤية واقعية لناجح إبراهيم" أبو الفتح يحي الفرغلي [غير منشور]

٤٧ -"وثيقة ترشيد العمل الجهادي" سيد إمام

٤٨ - " التبرئة: تبرئة أمة القلم والسيف من منقصة الخور والضعف" أيمن الظواهري

٤٩ -"دعوة المقاومة الإسلامية العالمية" أبو مصعب السوري

٥٠ - "إدارة التوحش" أبو بكر ناجي

٥١ -"سبيل الناجين عند اختلاف المجتهدين" أبو الفتح يحي الفرغلي

٥٢ -"درر شيخ الاسلام: ملخص ٣٩ مجلدًا من كتب وفتاوى ابن تيمية" أبو الفتح يحي الفرغلي.

٥٣ -" مناط العلة في حكم الخوارج" أبو الفتح يحي الفرغلي

٥٤ -" أصول وضوابط السياسة الشرعية" أبو الفتح يحي الفرغلي

٥٥ -"إضاءات على منهج الجماعة المجاهدة" أبو سارية الشامي

٥٦ -"معضلة حركة أحرار الشام الإسلامية" أبو الفتح يحي الفرغلي [غير منشور]

